رحلتي مع التأليف

عبد العزيز أحمد الرفاعي



مقدمة :

أستميح مجلة (عالم الكتب) عذراً ، إن أنا غيرت العنوان الذي اقترحته عليَّ ، وهو : (أنا والتأليف) ، إلى هذا العنوان الذي اخترته ، والذي يراه القارىء في رأس هذا الكلام .. وهو : (رحلتي مع التأليف) .

أما لماذا فعلت ذلك .. ؟ فلأن هناك مشاكلة بينه وبين عنوان آخر ، سبق أن كتبت تحته ، هو (رحلتي مع المكتبات) .. وأحسب أن هذا العنوان الأخير ، كان حافزاً لأصدقائي في المجلة ، على أن أكتب لهم في هذا الاتجاه ، بعد أن لخصوا مقالي الأول عن المكتبات .

ولولا أن يمتعض هؤلاء الأصدقاء ، إن أنا اعتذرت لهم عن الكتابة في هذا الموضوع .. لفعلت .. ذلك أنني أحاول أن أضع نفسي حيث هي في واقعها .. فإني أعلم تماماً أنه لا يصح أن أسلك نفسي في عداد المؤلفين .. وليس لي في عالم التأليف ، إلا رسائل صغيرة متواضعة جداً .. لا تجعلني في مصاف المؤلفين ، ولو جمعت كل ما نشرته من هذه الرسائل الصغيرة في مجلد واحد لما بلغت صفحاته المائتين .. أي أنها لا تبلغ حجم كتاب واحد فقط ، مما يضع المؤلفون من كتب .. فكيف بأولئك الذين وضعوا العديد من المجلدات .. ماذا أكون تجاه أحمد أمين ، وهيكل ، وطه حسين ، والعقاد ، والجاسر ، والسباعي ، والأنصاري .. الخ . بله أولئك القدامى الذين بهروا التاريخ الفكري بغزارة مؤلفاتهم كالسيوطي ، والجاحظ والطبري وابن كثير .. الخ .

لكن .. ما دام الإخوة في مجلة (عالم الكتب) وعلى رأسهم الصديق العزيز الدكتور (يحيى ساعاتي) ، يحسنون الظن بي إلى درجة أن يظنوني مؤلفاً ، فليكن إذن لهم ما أرادوا .. وليغضّ النقاد طرفاً عن قامة قمئة تريد أن تطاول العمالقة .. لتقف في صفهم وأنّى لها ذلك ..؟

محاولات :

بعد هذه المقدمة التي كان لا بد لي منها ، فإني سأحاول أن أسترجع صور الماضي ، لعلي أتبين بين ملامحها المختلطة ما يعين على التعرف على الخطوات الأولى التي خطوتها نحو محاولة التأليف .. وهذا يتطلب الحديث عن النفس بعض الشيء .. على الرغم مما في هذا الحديث من ثقل ..!

منذ صباي الباكر ، تعلقت بالقصة والشعر ، وأحسب أن أول ديوان شعري وقع في يدي ، وأنا في سن مبكرة جداً ، كان ديوان أبي نواس .. ولكنني ما اقتنيته على أنه ديوان .. بل اقتنيته لأن ذلك المجلد كان يضم إلى الديوان (نوادر أبي نواس) ، مجلد شعبي ورقه أصفر ، ضم تلك النوادر وضم الديوان ، أو ما اختاره الناشر فجعله ديواناً .. لقد اقتنيته تماماً كما اقتنيت (نوادر جحا) ، ولا فرق في عالم النوادر بين جحا وأبي نواس .. إلا أنه لم يؤثر عن جحا ، أنه كان شاعراً .. فقد كان في حكمة الرجل ، تلك الحكمة الساخرة ، ما يغنيه عن الشعر .. أما أبو نواس ، فهو إن لم يؤثر عنه أنه صاحب نكتة ، وأنه كان في شعره الساخر أيام الشباب ما يصده عن الحكمة ولو إلى حين .. لكن الأدب الشعبي ، أراده صاحب نوادر .. وهكذا كان .. ومن دأب الأدب الشعبي أن يجعل من الحبة قبة .. وهكذا كان لعنترة الفوارس من البطولات والخوارق .. ما يتجاوز منطقة المعقول إلى ساحة اللامعقول ..!

كان من الطبيعي ، وقد قرأت في تلك السنّ ، نوادر أبي نواس مراراً وتكراراً .. أن أتجاوزها إلى الاطلاع على أشعاره .. وكان في تلك الأشعار .. أشياء من المجون ، ربما تُغري الصبيان وهم على أبواب المراهقة ، أن يقرأوها .. وأحسب أن أول محاولة لي لكي أخربش شيئاً في دنيا الأدب ، هو أن أصنع أبياتاً على طريقة أبي نواس .. ولكني تخيرت في تلك المحاولة ، أن أجعلها ميّالة إلى الحكمة .. وقد وجدت في ديوانه أبياتاً في الحكمة والزهد ، وإن لم

أدرك آنذاك أن هذا الزهد ، وتلك الحكمة إنما أتيا مع الزمن .. ومع السن ..

مهما يكن الأمر فقد كتبت أبياتاً في الحكمة ، ليس مهماً أن تكون ذات وزن ، ولكن المهم أن تكون ذات قافية ، وقد يغني عن الوزن .. استعمال (المساحة) ألا يكفي أن تكون الأبيات متساوية من حيث الطول .. ثم أليست المقاسات الطولية داخلة في عالم الأقيسة والمعايير ؟

هكذا كانت البداية في عهد الدراسة الابتدائية ..

أما وقد انتقلت إلى المعهد العلمي السعودي ، وأصبح من بين مواد دراستنا ، دراسة الأدب العربي في شتى عصوره .. وقد انطلقت إلى قراءات حرة متنوعة .. وقرأت من الشعر ديوان شوقي ، ورباعيات الخيام ترجمة البستاني ، وقرأت للجارم ، وعلي محمود طه ، وتابعت شعراء مجلة الرسالة ، وأتيح لي أن أقرأ شيئاً من مسرحيات شوقي الشعرية ــ أما وقد فعلت ذلك ، فقد وجدت في مسرحيات شوقي الشعرية ، شيئاً طريفاً راق لي ، واتسق مع مزاجي في الإقبال على القصة والرواية ، فحاولت أن أكتب شيئاً في هذا الاتجاه .. وكان أن أتيح لي أن أقرأ قصة الزباء ملكة تدمر ، ووزيرها قصير ، الذي قيل عنه المثل المعروف : (لأمر ما جدع قصير أنفه) ، وحيلته في الجمال المحملة بالرجال ، داخل صناديق البضاعة ، والشعرالذي قيل عن هذه الحادثة :

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلاً يحملن أم حديدا
أم الرجال جثّماً قعودا

أثارتني هذه القصة وبهرتني بأحداثها ، وما في هذه الأحداث من حركة وتنوع وشعر ، فرأيت أنها صالحة لكتابة مسرحية شعرية .. وفعلاً حاولت أن أكتب شيئاً في هذا الاتجاه .. ولا أدري الآن أأكملت تلك المسرحية أم لم أكملها ؟ ولا أدري أين مصيرها .. ؟ فقد ضعفتْ مع الأيام ثقتي بذلك الشعر البدائي الذي كتبته .. ولا أدري من أي الموازين هو ..؟ وأين مكانه من البحور أو المحيطات .. لقد طويت الأمر وأنسيته .. ولو أتيح لي أن أصادفه .. لكان من الطريف حقاً.. أن أطالع تلك الصفحات الغلامية التي أعدها خطوة أولى نحو التأليف ولو كان في عالم الشعر ..وفي عالم الشعر المسرحي .. هكذا دفعة واحدة ..!

كان هذا قبل تخرجي من المعهد .. وكان عمري آنذاك حوالي الثامنة عشرة ..

وحينا كانت تقام مسامرات المعهد أو مسامرات المعهدين ، أعني المعهد العلمي السعودي ، الذي كنت أدرس به ، ومدرسة تحضير البعثات .. كنت أساهم فيها ببعض ما يتيسر لي . وأذكر أنني ساهمت ذات خميس .. وكان ذلك نهاراً ، وليس في المساء ، فألقيت قصة كتبتها .. لعلها أول قصة جرأت على التصريح بها .. وخُيّل إليّ حين إلقائها ..أنها تكفلت بإعطاء المستمعين من الأساتذة والطلاب ، فرصة طيبة للإغفاء والراحة .. وأنهم عندما انتهيت .. فصفقوا لعلهم كانوا يعبرون عن فرحتهم بانتهائها !

وكان طبيعياً أن أكتب القصة ، فقد كانت مطالعاتي لترجمات القصص العالمي كثيرة .. بل كنت مستغرقاً في مطالعة القصة ، لدرجة الإدمان .. وكان يبدو على عينيَّ أثر الإجهاد .. ولعل ذلك مما جعلني أستعمل النظارة وعمري حوالي السابعة عشرة . ولم يبخل علي زملائي في المعهد بإطلاق لقب أدبي .. فقالوا : (قصصي المعهد) .. ولكني بعد تخرجي ، لم أكتب من القصة إلا النزر اليسير ، ولو جمعت كل ما كتبت من قصص غثة ، لما جاءت في حجم كتاب صغير .. ولئن واتتني الظروف على جمع هذا الغثاء لجمعته .. ليصدِّق القراء أي غثاء هو !

على أنني مع تقدم العمر والأيام .. لم يزل بي حنين إلى القصة .. ومنذ سنوات قليلة بدأت أكتب رواية طويلة بعض الشيْء .. لكني لم أواصل كتابتها وذلك من حسن حظ القراء .. بل لم أنشر منها شيئاً .. وما زالت في الأبجديات الأولى .. ولولا أن الشيء بالشيء يذكر ، لما بحت بسرِّها ..

هذه المحاولات التي ذكرت ، كانت في الاتجاه الأدبي ، في الشعر والقصة .. وكانت قبيل تخرجي من المعهد العلمي السعودي ..

أما بعد تخرجي .. فقد اتجهت المحاولة إلى التأليف المدرسي .. لماذا ؟ لأنني فور تخرجي ، تعينت مدرساً في المدرسة العزيزية الابتدائية بمكة المكرمة ، وهي المدرسة ذاتها التي كنت أدْرُس بها .. فلم أغب عنها إلا سنوات ثلاث .. غادرتها تلميذاً ، وعدت إليها معلماً .. وأسند إلي من المواد ، تدريس الرياضيات .. الحساب والهندسة .. وهذا من عجائب الزمان .. ولكن مواد تخرجي دلت على تفوقي في الرياضيات ، ومن هنا كان إسنادها إلي .. والواقع أنني كنت مغرماً بهذه المواد إبان الطلب .. وكنت أجد في حل المسائل الحسابية والهندسية متعة .. فكيف أصبحت الآن في هذه المواد من أكثر خلق الله جهلاً ..؟

وأسند إلي غير الرياضيات ، تدريس مادة السيرة النبوية .. وكانت هذه الحصة محببة إلي جداً .

من أجل ذلك فكرت في أن أضع كتاباً في الهندسة للسنة الخامسة الابتدائية ، وهي السنة التي كنت أدرِّس بها هذه المادة .. وأن أضعه على الطريقة الحديثة ، مستخدماً الوسائل التربوية التي تعلمتها في

المعهد .. أو هكذا زعمت لنفسي ، وسوّل لي غروري ذلك .. وفعلاً قطعت شوطاً طيباً في هذا المجال .. وأحسبني لا أزال محتفظاً بالدفتر الذي ضمّ هذه المحاولة .. التي كان من حسن حظ الطلاب أنها لم تتم ..

وفي السيرة النبوية ، اتجه عزمي أيضاً إلى وضع كتاب للصبيان ، أقصّ فيه قصة السيرة النبوية في سرد قصصي ، محاولاً استعمال لغة سهلة ، وتعابير مشوقة .. وكنت في هذه المحاولة أكثر تصميماً .. وما زلت أذكر ، كيف كتبت رسالة إنشائية حبَّرتها تحبيراً ، وذهبت إلى مديرية المعارف ، في مقرها في باب علي (الخاسكية) أمام بيت (باناجة) أمام الحرم الشريف ، وقدمت الرسالة إلى مدير المعارف أيامها ، وهو السيد محمد طاهر الدباغ ، الرجل الذي أسس مدرسة تحضير البعثات ، فوضع اللبنة الكبرى في الابتعاث ، كانت الرسالة عرضاً للفكرة التي اعتزمتها ، مع طلب تزويدي بالمراجع اللازمة ، من مستودع مديرية المعارف ، وكان أمين المستودع هو (يوسف صبان) — يرحمه الله — وقد أصبح فيما بعد زميلاً من زملاء العمل ، بعد أن انتقلت من التدريس إلى الإدارة والتحرير في جهاز المديرية ذاته .

تحمس مدير المعارف رحمه الله ، فأشر على رسالتي لمراجعة مأمور المستودع ، لإعطائي ما يتوفر لديه من المراجع منحة من المديرية ، وهكذا حصلت على عدد من المراجع وبينها رسالة لطيفة من تأليف السيد طاهر الدباغ نفسه عن السيرة النبوية ، لعله كتبها لطلاب المدارس أيضاً .. وأحسب أن مصدر حماسه ، أنه رأى في شخصي المتواضع ، صورةً لشبابه حينما وضع تلك الرسالة .. لكنه كان أصدق مني عزماً وتصميماً ، فقد طبع رسالته ، ولم أطبع رسالتي لأنني لم أتمها ..

أما لماذا لم أتم هاتين المحاولتين ..؟ فقد كان ذلك لأنني لم أقض في التدريس أكثر من سنة دراسية واحدة ، أو على التحديد ثمانية أشهر فقط .. ثم أصررتُ على مغادرة التدريس .. إذ وجدته مرهقاً . وخيل إلي أنه لا يتسع لطموحي .. فقد رأيت التدريس أيامها ضيق المجال .. فغادرته .. إلى مديرية المعارف ذاتها ، محرراً في ديوانها .. وترتب على ذلك إهمال تلك المحاولات في التأليف المسرحي ..

ولكن شاء الله أن أدخل غمار التأليف المدرسي دون سعي مني .. فقد كان الأستاذ الشيخ عمر عبد الجبار — يرحمه الله — أستاذي في المعهد . وكان مساعداً لمديره الأستاذ السيد (أحمد العربي) حفظه الله . وكان يوليني رعاية خاصة .. ويحاول أن يشجعني .. وكان مهتماً بوضع عدد من الكتب المدرسية المختلفة .. للمدارس الابتدائية .. ولم يكن هذا الاهتمام جديداً عليه .. فقد كان يؤلف الكتب العربية للطلاب في أندونيسيا حينما هاجر إليها في حقبة من حياته .. وكان يتبع أسلوباً جديداً في تأليفه يتفق مع أحدث النظريات التربوية آنئاك . وبدا له أن يؤلف — ضمن مؤلفاته المدرسية — سلسلة كتب في المطالعة ، أطلق عليها اسم (المطالعة السعودية) وعرض عليَّ أن أراجع بعض أجزاء هذه السلسلة .. وكنت أعلم أن هذا الطلب نوع من التشجيع ، يعمد إليه بعض كرام المدرسين لبث الثقة في نفوس طلابهم ..

وقد رأيت أن أبذل قصارى جهدي ، لأثبت لأستاذي أنني كفء للعمل الذي وسّده إلي .. فنسقت واقترحت وأضفت .. فما كان من الأستاذ الفاضل إلا أن وضع اسمي إلى جوار اسمه حينما صدرت السلسلة ، وكنت أعلم أن جهدي فيها لا يصل إلى درجة المشاركة في التأليف ، فقد كان جلّ العمل من اختياره وجهده هو .

وكان سروري عظيماً حينما رأيت اسمي في اكليشيه على أغلفة السلسلة .. ولم يقتصر مكسبي على الجانب المعنوي ، وقد كان وحده يكفيني .. ولكن أستاذي الكريم ، أضاف إليه كسباً مادياً .. فعاد عليّ ببعض ما عاد عليه من مكاسب مادية .. وساهم ذلك في تحسين وضعي المادي .. الذي لم يكن مُنْتَعِشاً ..

كانت هذه أول تجربة لي في التأليف .. وهو التأليف المشترك .. وفي الحقل المدرسي ..

على أن هذه السلسلة لم تعمر طويلاً .. فقد احتجبت بعد أن حل غيرها محلها ..

وخلال عملي في مديرية المعارف ، كنت وثيق الصلة بمعهدي الذي تخرجت فيه ، وأعد نفسي من أسرته .. فكنت أحرص على أن أشارك في نشاطه الأدبي ، بحضور مسامراته .. في أمسيات الخميس .. أو في حفلاته الكبرى .. كحفلات التخرج ، أو المناسبات التي كان يدعو فيها نائب جلالة الملك في الحجاز ، أعني الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيما بعد) .. وأذكر أني قدمت في إحدى هذه الحفلات مسرحية بعنوان (بالمفتشرى أحسن) .. وهي في نظري الآن عمل بدائي ساذج .. تدور الفكرة فيه على أن الصراحة أو (المفتشرى) أحرى أن تسُود بين أوساط الناس .. والمسرحية تنديد بخلق الغيبة .. كما كانت تهدف في الوقت نفسه إلى تحسين أوضاع المدرسين ، الذي كان حظهم من حيث الراتب ضئيلاً .. وكان الأمير فيصل مهتماً بالنهضة التعليمية ، يحدب عليها ، ويهب المعهد رعاية خاصة . وقد كنت في هذه المسرحية ، مؤلفاً ومخرجاً .. بقدر الإمكان ، ولكن لم يفتني الاستعانة بالأستاذ طاهر زمخشري يرحمه الله ، الذي كان له نشاط أدبي وإذاعي ملحوظ ، ليمدني بخبرته ، ولم يبخل علي بذلك ، كعادته .. وأعانني على العمل بعض الزملاء ، ولا يسعني أن أقول الآن بعد كل تلك السنوات التي مرت على ذلك الحفل ، لا يسعني أن أقول شيئاً عن

نجاح المسرحية أو عدم نجاحها ، كما لم أعد أذكر من هم الأبطال الذين وقع عليهم الاختيار .. بل لم أعد أعلم مصير تلك المسرحية بين أوراقي .. وأغلب الظن أنني اعتبرتها عملاً صبيانياً لا ينبغي الاهتمام به . ولكني فضلت أن أذكرها هنا تسجيلاً لهذه المرحلة .. وتأكيداً لما كنت أهتم به مما يتصل بالقصة .. وهو فن لم أحاول — فيما بعد — أن أواصل مسيرتي فيه ، إلا في خطرات قليلة .. متفاوتة الزمن .

ويخيل إلي أن السرد القصصي ، لا يزال يغلب على أسلوبي في الكتابة ..

في المراجعة والتحقيق :

ويشاء الله أن يكون عملي التالي في دنيا التأليف ، عملاً مشتركاً أيضاً ، ولكن الاشتراك هذه المرة لم يكن مع أستاذ من أساتذتي ، ولكن كان مع زميل من زملاء الدراسة ، ولم يكن عملاً مدرسياً ، بل لم يكن تأليفاً ، وإنما كان محاولة لتحقيق كتاب تراثي ..

وقبل أن أتطرق إلى التفصيلات ، يهمني أن أقول إن الزميل ، هو الصديق العزيز رفيق الدرب ، الأستاذ (أحمد محمد جمال) الكاتب الإسلامي الشهير ..

أما الكتاب فهو (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) لعبد الكريم القطبي .

ولهذا الكتاب قصة ينبغي أن تروى ، فقد تكون مفيدة للتاريخ الأدبي ، وتاريخ حركة النشر في المملكة .. فقد أنشأ مجموعة من الشباب ، كنت أحدهم ، لجنة للتأليف والنشر ، مكونة من عشرة أشخاص ، من ضمنهم رجلان لهما مكانة في العلم والأدب ، أحدهما الأستاذ الأديب الكبير (محمد سعيد العامودي) والآخر الشيخ (عبد الوهاب دهلوي) ومن بين أعضاء اللجنة الصديق الأستاذ (أحمد محمد جمال) ..

قامت هذه اللجنة بنشر قصة طويلة للأستاذ الكبير : (أحمد السباعي) هي قصة (فكرة) .. ثم نشرت كتاباً في تاريخ الحركة الفكرية هو (ماذا في الحجاز ؟) للأستاذ أحمد جمال ، ثم كتاباً تراثياً هو (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) .. وقد اشتركت في مراجعته وتحقيقه مع الأستاذ أحمد جمال .

حقاً لقد كان الكتاب مطبوعاً من قبل في (ليبزج) من قبل أحد المستشرقين .. ولكن الشيخ (عبد الوهاب الدهلوي) ، أشار علينا بإحيائه ، خاصة وأنه يختصر كتاب القطبي الكبير في تاريخ بناء المسجد الحرام اختصاراً جيداً ، ومؤلفه ، أعني المختصر ، هو ابن أخيه ..

راقت لنا الفكرة .. وبدأنا في مراجعته .. فاقتسمت النص مع الصديق الأستاذ أحمد جمال .. ولم يكن أمامنا إلا النسخة المطبوعة



من المختصر .. والنسخة المطبوعة من كتاب القطبي ذاته .. فبذلنا الجهد في مطابقتهما ، وأرجعنا في الهامش بعض ما حذفه المختصر .. وقد لاحظت خلال مراجعتي للكتاب ، أن المختصر حذف موضوعات مهمة جداً ، ما كان حقها الحذف ، مثل تاريخ مدّ عين زبيدة إلى مكة المكرمة ، وهو مشروع حيوي ضخم قامت به الخاتون شقيقة السلطان سليم العثماني ، الذي بنى ووسع الحرم المكي الشريف في صورته القديمة القائمة حتى يوم الناس هذا .. وإن هذا المشروع المائي الكبير له أهميته القصوى تاريخياً ، ولكن يبدو أن المؤلف أراد الاقتصار على ما يتعلق ببناء المسجد الحرام فحسب ، وقد أرجعت وزميلي مثل هذه الموضوعات المهمة إلى الكتاب ، وجعلناها في هامشه ، إتماماً للفائدة .

وقد طبع الكتاب طبعات عدة ، وصدر في طبعتيه الأخيرتين ، بعد أن انضم إلينا في مراجعته الدكتور عبد الله الجبوري .

لقد مرت هذه المرحلة من عمري ، وهي مرحلة الشباب ، دون أن أستقل بعمل أدبي خاص .. فلم أنشر باسمي — منفرداً — أي كتاب . حتى جاوزت حد الأربعين . وإن كنت قد بذلت بعض النشاط في الصحف والمجلات والمؤتمرات الأدبية والإذاعة .. ولكن كل ما كتبت في هذه الوسائل ظل أوراقاً لا يجمعها كتاب حتى كان عام ١٣٨٩ هـ .

في عام ١٣٨٩ هـ، اشتركت في مؤتمر الأدباء السابع الذي انعقد في بغداد .. وألقيت به محاضرة مختصرة بعنوان (توثيق الارتباط بالتراث العربي) ، وهذا الموضوع أحد الموضوعات المقترحة من قبل مؤتمر الأدباء ذاته ..

وعقب عودتي ، عقدت العزم ، على أن أبدأ في نشر بعض كتاباتي التي يصح أن تصدر في كتيبات صغيرة يضم كل كتاب موضوعاً معيناً .. أي أنني لم أفكر في جمع مقالاتي من ذوات الموضوعات المتباينة .. ورأيت أن أبدأ بهذه المحاضرة ، وبدا لي أن أسمّي هذه الإصدارات (المكتبة الصغيرة) . مشيراً إلى صغر حجم هذه الكتيبات ، ولا أعني طبعاً أن أخصصها للصغار .. ولم يخطر ببالي أن يسهم في هذه الإصدارات أي كاتب آخر غيري ..

أما لماذا اخترت أن تكون هذه المحاضرة ، هي أول تلك الإصدارات .. فلعل ذلك يعود ، إلى أنها أقربها إلى يدي ، وأن الأمر فيها لا يتطلب عناء بحث ولا مراجعة .. ولا نبشاً في أوراقي القديمة .. وربما أيضاً لأنني كنت أوثر الحث على العناية بالتراث القيم الذي لم يتهيأ له النشر .

وكان أن صدر الكتاب الأول فعلاً يحمل عنوان المحاضرة .. صدر في وريقات قليلة جداً .. وفي طباعة متواضعة .. وبغلاف عادي .

وبرغم اعتزازي بهذا الكتيب .. فإني أدرك تماماً أنه لم يأت بجديد .. فالأفكار التي ضمّها عادية .. متداولة . كل ما فعلته أنني جمعتها من هنا وهناك .. مع بعض الاجتهادات الطفيفة .. ولعل مرد اعتزازي به أنه الابن البكر .. وأنني حاولت فيه أن أنبِّه إلى بعض الدعوات الخطرة التي أخذت تطل برءوسها ، لتفصل هذه الأمة عن تراثها .. لأهداف سيئة بعيدة المرمى .. وقد أخذنا الآن نرى كيف تطورت تلك الدعوات ، وكيف أخذت تنتشر شيئاً فشيئاً .

صدر الكتيب الأول من سلسلة (المكتبة الصغيرة) في صفر عام (١٣٨٩ هـ) ووجد تشجيعاً من بعض الوزارات والجهات .. مما أتاح طبعه للمرة السادسة في ربيع الآخر من عام (١٤٠٨هـ) ، كما لقي من الأصدقاء ترحيباً وتأييداً .. الأمر الذي حفزني على أن أختار مقالاً طويلاً بعض الشيء نشرته لي مجلة (قافلة الزيت) (القافلة) الآن ، عن جبل طارق والعرب . ويشكّل هذا المقال ، جزءاً من مشروع كتاب ، كنت أنوي تأليفه عن (بوابات الفتح) بدأته بجبل طارق ، ثم كتبت بعده شيئاً عن جزيرة (قبرص) وأهميتها للفتح الإسلامي .. ولكني لم أنشره في كتيب .. ولم تتهيأ العودة إليه ، ولا إلى المشروع الذي ظل فكرة تلوب في الخاطر ..

وكان أن طبعت المقال الخاص بجبل طارق ، بالأسلوب نفسه .. أي طباعة ينقصها الرواء .. إلا أن هذا الكتيب على صغر حجمه ، حمل في غلافه صورة جبل طارق ، واشتمل على بعض الصور الفوتوغرافية في الداخل .. وهذه الصور استمددتها من مجلة (قافلة الزيت) نفسها . وهكذا صدر الكتيب الثاني من سلسلة (المكتبة الصغيرة) في شعبان عام ١٣٨٩ هـ ولقي من التشجيع ما لقي الكتيب الأول . وتكرر طبعه أيضاً .

أما الكتيب الثالث .. الذي صدر في السلسلة عام ١٣٩٠ هـ في شهر رجب ، فهو جزء من مقالات كنت نشرتها عن رحلة قمت بها إلى بعض بلدان الشرق الأقصى .. وهذا الجزء خاص بماليزيا ، وقد نشرته بعنوان (خمسة أيام في ماليزيا) وهو لا يكاد يزيد من حيث الحجم الضئيل عن سابقيه .. وربما يعد من أدب الرحلات ..

والكتيب الرابع .. هذا يستحق وقفة صغيرة .. لأن الكتيبات الثلاثة التي سبقته ، كانت موادها جاهزة عندي .. فالأول محاضرة .. والثاني ، مقال ، والثالث ، جزء من مقالات .. أي أنني لم أقصد فيها قصْداً إلى التأليف . أما هذا الكتيب الرابع فالأمر فيه مختلف .. فقد قصدت تأليفه قصداً .. وقصته أنني كنت أقرأ في كتاب (رياض الصالحين) للنووي ، وهو كتاب أحبه ، فلفت نظري حديث التوبة لكعب بن مالك ، أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو صحابي جليل .. فأخذت بما في الحديث من بيان وقوة سرد واستيعاب وتصوير .. فعقدت العزم على أن أكتب له ترجمة ، وأن أجمع شعره ، وأن أشير إلى نثره الفني في هذا الحديث .. وكنت على أبواب عطلة عيد ، فانتهزت أيامها ، فجمعت الترجمة من أهم مصادرها ، وأخذت أجمع شعره كذلك ، وكدت أن أقف مطولاً عند نثره ، وأبرز ما فيه من جمال وإشراق .. ولكن بعد أن كتبت الترجمة ، وجمعت ما تيسر من الشعر ، رأيت أن حجم الكتاب قد تجاوز ما افترضت من حجوم (المكتبة الصغيرة) ، فكان أن غيرت موقفي من فصلين : الفصل المتعلق بجمع شعره ، فقد تبين لي أن الأستاذ الباحث العراقي (سامي مكي العاني) قد جمع من قبل ديوان كعب رضي الله عنه . فاكتفيت بإيراد نماذج من شعره ، أو ما تيسر لي إيراده منه .

أما الفصل الثاني .. فهو الكلام على نثره .. فقد اكتفيت بإيراد نص حديث التوبة .. ووضعت خطاً ، تحت كل عبارة جمالية تستحق التأمل .. وأمّلت أن يجد هذا الشاعر من بين الدارسين من يعنى به عناية مستفيضة . وقد تحقق شيء من ذلك مؤخراً ، عندما أصدر الأستاذ الدكتور (محمد علي الهاشمي) كتاباً ضخماً عنه ، وقد عُني عناية خاصة بنثره .. وقد أشار إلى كتيبي المتواضع في مقدمته ، وإن كان لم يجعله بين مراجعه .. ومع تسليمي بأنه لا يصلح أن يكون مصدراً ، فمصادر ترجمة كعب رضي الله عنه وشعره معروفة لكل باحث ، ولكنه قد يصلح أن يكون مرجعاً لأنه ألمع إلى نثره

ولفت الأنظار إليه .. وقد تكون هذه الناحية جديدة .

حقاً إن هذا الكتيب ليس دراسة لحياة الشاعر ولا لشعره .. ولكنه كتب في فترة ، لم تتوفر فيه عناية كافية تتفق مع مكانة هذا الشاعر الفحل الذي يعدّ أحد أركان الشعر الإعلامي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وظننت أن أحداً لم يعن به قبلي .. إلى أن اكتشفت خلال إعداده عمل الأستاذ الدكتور العاني ، في جمع شعره ، وهو عمل رائد بلا شك جدير بالتنويه .

وهكذا يرى القراء ، أنني مضيت في مكتبتي الصغيرة ، مطبقاً منهجي في أن أصدر من خلالها بعض أعمالي الشخصية في دنيا الأدب والفكر .. ولكن شاء الله أن ينفتح بابها .. وأن يفتح الباب شاب في مقتبل العمر .. وهب شبابه للكتب والمكتبات .

لقد زارني هذا الفتى في داري بالملز في الرياض .. ومعه بحث مختصر لأطلع عليه .. وقرأت البحث .. كان طريفاً حقاً .. وافق هوى في نفسي .. فهو تحقيق تاريخي عن شخصية أبي محمد البطال .. وأبو محمد هذا شخصية عجيبة .. تصنع العجائب .. شخصية من شخصيات ملحمة (الأميرة ذات الهمة) وهذه الملحمة من أهم كتب القصص الشعبي .. وإن لم تخنى الذاكرة ، فإن هذه القصة الطويلة ، تقوم على ثلاثة أبطال : الأميرة ذات الهمة البطلة الشجاعة .. وابنها عبد الوهاب ، البطل المحارب ، أما الشخصية الثالثة ، فهو أبو محمد البطال ، وهو رجل فكه صاحب حيلة ومكر ودهاء ، اختاره كاتب الملحمة ، أو كتابها يمثل دور العقل الذي يغلب الشجاعة ، ويحل من العقد ما لا تحل الشجاعة ..

كنت أظن أن هذه الشخصية من صنع الخيال المحض ، حتى جاء هذا الفتى ، ليقول في بحثه ، إنه شخصية واقعية لها وجود حقيقي .. وأن يدور بحثه حول إثبات ذلك .. ولم يخرج الفتى من زيارتي ، حتى كان هناك اتفاق أن يدخل هذا البحث المختصر في (المكتبة الصغيرة) ، وهكذا كان ، فصدر في عددها الخامس .. وكان هو الكتيب الأول الذي يصدر بقلم غير قلم صاحبها . وقد انفتح الباب بعده للآخرين على مصراعيه . وقد صدر من (المكتبة الصغيرة) حتى كتابة هذه السطور أكثر من خمسين عدداً .. لم يكن لي فيها إلا عشرة كتب . أو عشر رسائل على الأدق .

أما الفتى ، فهو اليوم الدكتور (يحيى محمود الساعاتي) رئيس تحرير هذه المجلة ، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومدير مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، الرجل الذي وهب نفسه للكتب والمكتبات ، وأخلص لخدمة الكتاب إخلاصاً يقل نظيره ، وقد طبع كتيبه ثلاث مرات ، وفي الطبعة الثالثة بعض الزيادات والإضافات ، ولولا أن يمتد قلم الصديق رئيس التحرير فيسطو على بعض سطوري ، لأوفيته حقه من المديح والثناء .



قلت إنني كتبت رسالتي عن (كعب بن مالك) في عيد الفطر من سنة ١٣٩٠ هـ ، وقد لاحظ العجلة فيه أحد النقاد جزاه الله خيراً .. وهي عجلة قد تجد عذراً في كتيب صغير ، وليس دراسة مستوفاة مستوعبة ..

ولكن سنة ١٣٩٠ هـ كانت سنة مباركة ، فقد أنجزت أيضاً في عيد أضحاها رسالة ثانية هي (أم عمارة) ، وهو كتيب صدر عام ١٣٩٢ هـ وطبع خمس طبعات آخرها سنة ١٤٠٩ هـ وكان الحافز لكتابته حافزاً شخصياً ، فقد استثارتني شخصية هذه الصحابية البطلة التي تحولت من ممرضة إلى محاربة ، ووقفت في موقعة أحد ، تناضل عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد أعجب بهذه الرسالة فضيلة الشيخ ناصر الحمد ، الرئيس العام لتعليم البنات أيامها ، وأبدى رغبته ، جزاه الله خيراً ، وحيّاه ، أن يجعل منها كتاباً للمطالعة الإضافية ، واقترح علي أن أعيد النظر فيه ، لأعده إعداداً خاصاً للفتيات في الشهادة الابتدائية .. فاستجبت للاقتراح ، وحاولت أن أيسر بعض عباراته ، مع الاحتفاظ ببعض معالم أسلوبه ، حرصاً على تزويد الفتيات ببعض الألفاظ التي قد تبدو غريبة لتكون في مدخراتهن اللغوية .. وقد طبعته رئاسة تعليم البنات طبعة خاصة بها ، وأحسبها لا تزال تطبعه لطالباتها .. على أن الطبعة الخاصة بسلسلة (المكتبة الصغيرة) لا تزال محتفظة باستقلالها كما وضعتها .. إلا أنني في الطبعة الأخيرة ، أدخلت زيادات طفيفة ، وأجلت النظر فيها .. وغني عن البيان أن أتحدث عن تطور الغلاف من صورته الأولى الساذجة المتواضعة ، إلى غلاف أنيق أعده فنان كبير ..

كانت صلتي بفضيلة الشيخ ناصر بن حمد الرئيس الأسبق لرئاسة تعليم البنات ، صلة ود واحترام متبادل ، وهو شخصية نادرة المثال خلقاً وعلماً وحزماً .

وقد سلف أن أشرت إلى اهتمامه برسالة (أم عمارة) ، وهنا أذكر أنه كان — أيضاً — صاحب الفضل في إصداري كتيبي السادس في سلسلة (المكتبة الصغيرة) ، وهو (من عبد الحميد الكاتب) .. فقد اقترح علي ، أن أعنى برسالة (عبد الحميد الكاتب) إلى الكتّاب .. وهي رسالة مشهورة ، ولكن الشيخ استحسن أن تصدر ضمن السلسلة ، لنفاستها وأهميتها ..

وبالرغم من أنه لم تكن لي عناية بأدب الرسائل بصفة عامة ، ورسائل عبد الحميد الكاتب بصفة خاصة ، إلا أن مكانة فضيلة الشيخ في نفسي ، جعلتني أستجيب لطلبه ، وأراجع ما كتبه عبد الحميد الكاتب ، وأطلع على بعض مصادر حياته ، وما وسعني مراجعته عن أدبه وعصره ، وخلصت من كل ذلك بهذا الكتيب الصغير .. الذي ترجمت فيه بإيجاز لعبد الحميد ، ثم أوردت رسالته وشرحتها ، ثم وضعتها في شبه دستور في مواد آملاً أن يهتم بها الموظفون .. وأسميته (من عبد الحميد الكاتب إلى الموظفين والكتاب) ، وطلبت منه فضيلة الشيخ ناصر بن حمد أن يكتب مقدمته ففعل مشكوراً .

وقد كان هذا الكتيب هو الوحيد فيما أصدرت من رسائل ، الذي اقْتُرِح عليَّ موضوعه .. وقد طبع مرتين .

أما الكتاب السابع الذي صدر لي ضمن سلسلة (المكتبة الصغيرة) وهو يحمل فيها الرقم السادس عشر فقد كان بعنوان (الحج في الأدب العربي) . وهو عبارة عن محاضرة كنت ألقيتها في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، الذي أقيم في مكة المكرمة ، وتبنته جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، حينما كان معالي الدكتور محمد عبده يماني مديراً لها ، وقد أقيم ذلك المؤتمر سنة ١٣٩٤ برئاسة الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف آنئاك . وكان من بين الموضوعات المطروحة للبحث ، موضوع (الحج في الأدب العربي) فاخترت أن أكتب فيه .. وقد فعلت في الحدود التي تعطي ملامح عاجلة عن الموضوع ، تصلح للمحاضرة ، ولا تصلح أن تكون بحثاً دقيقاً ولا دراسة مستوعبة .. ثم نشرت المحاضرة كما هي ، إلا من تعديلات طفيفة . لقد صدر هذا الكتيب سنة ١٣٩٥ هـ وطبع للمرة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

أما قصة الرسالة الثامنة التي صدرت في سلسلة (المكتبة الصغيرة) ، فقد دعيت من قبل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ابن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب لإلقاء محاضرة في نادي عنيزة الرياضي فلبيت .. ثم أجلت الفكر في اختيار موضوع ثقافي مناسب ، أتحدث به إلى شباب عنيزة .. ورأيت أن يمتّ الموضوع إلى (القصيم) بصلة .. وأخذت أبحث في تاريخ الصحابة ، عن صحابي يتمتع بشخصية مميزة يكون من أهل هذه المنطقة ..أجعله موضوع حديثي .. فوجدت طلبتي في الصحابي البطل الشاعر (ضرار بن الأزور) وهو من بني أسد وبلاده في عالية نجد ، يرحل قومه بين منطقة حائل ومنطقة القصيم ، فتوفرت على دراسة حياته بقدر ما استطعت .. وساقني البحث إلى حياة الشاعر (أرطأة بن سهية) ، حيث دلّت الدراسة أن ضراراً هو أبوه ، وإن يكن قد اشتهر بنسبته إلى أمه (سهية) .. كما استطرق الكلام إلى «خولة بنت الأزور» .. فكان أن شملت المحاضرة الشخصيات الثلاثة .. فطال نَفَسها .. وقد ألقيتها في مقر النادي سنة ١٣٩٤ هـ في ليلة شاتية ، في ساحة غير مغطاة إلا بعضها .. وقد تجلد بعض المستمعين معي إلى نهاية المحاضرة التي امتدت إلى ساعتين .. مع ما بذلته من جهد للاختصار ، وقد حذفت منها الجزء المتعلق بخولة . وقد دلتني هذه التجربة على أن على أي محاضر ، وخاصة في أوساط الشباب أن يحاول الاختصار، ما وسعه إلى ذلك سبيل .. ولا زلت أذكر بكثير من الإكبار أولئك الأبطال الذين صابروا وصبروا حتى فرغت من محاضرتي ليقولوا لي كلمة مجاملة ..

المهم أن هذه المحاضرة أثمرت ثلاثة كتب ، أولها عن ضرار بن الأزور ، شمل ترجمته ، ومحاولة جمع أشعاره .. على أني قد أجلت النظرة في المحاضرة كثيراً فأضفت وحذفت .

صدر هذا الكتيب يحمل الرقم ١٩ في السلسلة ، وذلك في سنة ١٣٩٧ هـ ، وطبع مرة ثانية سنة ١٣٩٨ هـ وثالثة سنة ١٤٠٤ هـ ، وقد جرى تعديل طفيف في بعض الطبعات ، وقد ضم الكتيب ما توصلت إليه من أشعار الشاعر .

أما الرسالة التاسعة ، فكان المفروض أن تكون عن (أرطاة بن سهية) ابن ضرار ، للصلة بين الشاعرين والموضوعين ، ولكني تريثت في أمر (أرطاة) ريثما أقف على المزيد من أخباره .. ولكي أقف على مصادر ، لم تتح لي ظروف المحاضرة أن أقف عليها . لذلك فقد قدمت كتيب (خولة بنت الأزور) عليه . وقد أخذ في السلسلة رقم ٢٤ . وهو كتيب ضئيل الحجم . انتهيت فيه إلى أن هذه البطلة التي دوّت شهرتها ، ليس لها وجود حقيقي في كتب التاريخ المعتمدة .. ويعدّ هذا الأمر مفاجأة للأوساط الأدبية والتاريخية .. ولكن هذه هي الحقيقة ..

صدرت الطبعة الأولى من هذه الرسالة سنة ١٣٩٧ هـ ، وصدرت الطبعة الثانية سنة ١٤١٠ هـ .. دون إضافة تذكر .

وقد وجدت بعض الباحثين ، أخذوا لباب بحثي ، ثم ضنوا بالإشارة إلى مصدره .. عفا الله عنهم .

وجاء الحديث عن (أرطاة بن سهية) في الرسالة العاشرة ، بعد أن فرغت من مراجعة المراجع التي كنت أحرص على الرجوع إليها ،

وقد تغير إعداد الموضوع عما كان عليه في المحاضرة ، كما صرفت النظر عن استقصاء أشعاره ، عندما عرفت أن هناك أكثر من باحث في العالم العربي ، يعنى بأمر هذا الشاعر ، وجمع شعره .. بل كاد ذلك يثنيني عن نشر كتيبي، ولكني رأيت أن أقدم جهدي على ضآلته ، لعل أن يكون فيه ما يفيد.

صدر هذا الكتيب في طبعته الأولى سنة ١٣٩٩ هـ وأخذ في سلسلة (المكتبة الصغيرة) الرقم ٢٨ . ثم لم يصدر لي بعده في هذه السلسلة شيء ، فقد ازدحمت بها الرسائل فرأيت أن أفسح المجال فيها لغيري .

بعد أن قررت ترك (المكتبة الصغيرة) لغيري من الكتاب والمؤلفين ، التمست وسيلة أخرى أنشر تحتها ما يتجمع لذي من بحوث ، مما يصح أن يكون شيئاً كالمكتبة الصغيرة ... فرأيت إصدار سلسلة جديدة تشبهها من حيث حجمها ، أخصها بما كتبتُ من موضوعات تتميز بوحدة موضوعية، فكان أن جاءت فكرة (من دفاتري) فأصدرت بها رسالة (الرسول كأنك تراه ــ حديث أم معبد) .. وقد صدر هذا الكتيب سنة ١٤٠٣ هـ في طبعته الأولى ، متضمناً وصف أم معبد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتخريج الحديث ، والكلام عنه بما ذكره المحدثون ، مع شرح غريبه ، ومع تحقيق لموضع خيمة أم معبد ، حيث قمت برحلة عملية لقديد .. وتحريت المكان ، وكان في عزمي ولا أزال ، أن أواصل السير في شرح أحاديث الشمائل ، ولكني انصرفت إلى اهتمامات أخرى تتوازعني ، بالرغم من نزوعي إلى هذا الجانب الروحي الحبيب إلي . وهكذا لم أصدر بعده في هذه السلسلة شيئاً .

في غير هاتين السلسلتين ، صدرت لي قصيدة مستقلة بعنوان (يوميات مئذنة مكية) ، عن أحداث الحرم المكي التي وقعت في غرة المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، وقد رصدت ما تجمع من بيعها حين طرحها تبرعاً للمتضررين من تلك الأحداث . ولم يكن قد صدر لي قبلها ولا بعدها من الشعر شيء .
وكانت هذه القصيدة من شعر التفعيلة .

وفي غير مجال دار الرفاعي ، وسلاسلها ، دعتني (تهامة) للمشاركة في إصداراتها ، وكان لديّ كتيب جاهز ، أعددته عن (زيد الخير) أعني (زيد الخيل) الشاعر الصحابي البطل ، ضمن ما أعنى به من إنصاف بعض الشعراء ، الذين لم ينالوا حظاً كافياً من عناية الباحثين والنقاد ، وكان هدفي هو الترجمة له ، وإلقاء بعض الأضواء على حياته ، وما راق من شعره ، أما جمع أشعاره ، فقد اضطلع بذلك الباحث العراقي المحقق الدكتور (نوري حمودي القيسي).

فكان أن قدمت لتهامة هذا الكتيب ، فتولت نشره ضمن إصداراتها ، وذلك في سنة ١٤٠٢ هـ .

وبعيداً عن دور النشر ، أعني عن (تهامة) و (دار الرفاعي) ، ومن قبلها سلسلة المكتبة الصغيرة ــ فهناك محاضرات كنت ألقيتها أو أعددتها لتلقى ، قامت بعض الجهات بنشرها .. ولو في نطاق ضيق ..

مما أذكره .. محاضرة كنت أعددتها لتلقى ضمن (الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون) ، وكان مقرراً لهذا اللقاء أن يتم في الرباط في أكتوبر سنة ١٩٧٥ م .

عنوان المحاضرة (تلميحات شواهد ابن زيدون) ، وأقصد شواهده في رسالته الجدية التي كتبها في سجنه بقرطبة سنة ٤٣٣ هـ يستعطف بها أبا الحزم بن جَهْور ..

وقد حالت بعض ظروفي دون السفر إلى الرباط لإلقاء المحاضرة ، كما بلغني أن المؤتمر لم ينعقد ، ولكن الجهة المسئولة عنه كانت قد طبعت المحاضرات ، كل محاضرة على حدة طبعة خاصة بالمناسبة ، ومن بينها محاضرتي التي جاءت في حوالي ثماني عشرة صفحة في حجم وسيط .

وقد دأبت المؤتمرات أن تفعل مثل ذلك ، بعضها قد يضيف إلى طبع المحاضرات طبعاً منفرداً ، تجميعها أيضاً في كتاب كبير ، يضم أعمال المؤتمر ومحاضره وقراراته .. وقد فعل ذلك مؤتمر الأدباء في بغداد الذي ألقيت فيه محاضرة (توثيق الارتباط بالتراث العربي) فقد طبعت هذه المحاضرة على حدة في رسالة صغيرة في قطع وسط في نطاق المؤتمر فقط ، وذلك قبل أن أصدرها في سلسلة (المكتبة الصغيرة) حيث كانت هي أول السلسلة وبدايتها .

ومحاضرة أخرى نشرت .. نشراً عاماً ، أعني غير محدود .. هي محاضرة (عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب) ، في سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م ، وكنت أسهمت بها في (المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفترة من ١٩-٢٣ من ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ .

نشرتها (مكتبة الملك فهد) بالرياض ، وكانت بداية سلسلتها الأولى ، حملت الرقم الأول في السلسلة .. بعناية وسعي الأستاذ الدكتور (يحيى ساعاتي) مدير المكتبة ، ورئيس تحرير هذه المجلة . وقد وقعت الرسالة في حوالي ٣٤ صفحة من الحجم الوسط .

وقد حاولت في هذا الكتيب أن أحصرثبت الكتب التي نشرها الملك عبد العزيز ، يرحمه الله ، أو ساعد على نشرها .. وأن أؤرخ لذلك قدر الإمكان ، ولا أزعم أنني بلغت فيه المدى ، ولكني حاولت ما استطعت .. وما زلت أرجح أن هناك ما لم أتوصل إليه من أطراف البحث .

وبعد ؛ فهذا تلخيص لما وعته الذاكرة عن رسائلي ، وهي ــ كما قلت ــ لا تملأ مجلداً واحداً لو جمعت بين دفتيه .. وهي بالنسبة

لمؤلف منتج كالسيوطي مثلاً لا تشكل جزءاً من الألف .. فهل بعد ذلك يصح أن أسلك في سلك المؤلفين ؟

إن صح ذلك ، فسأقلدهم فأقول : إن لي بعض الكتيبات تحت الطبع . فهناك محاضرة ألقيتها في رجب ١٤١٠ هـ في قاعة (ليلتي) بجدة ، بدعوة من بنك الرياض ، وكانت عن (ابن جبير في الحرمين الشريفين) ، وقد شرع البنك في طبعها .. وهي محاضرة طويلة بعض الشيء استغرق إلقاؤها حوالي الساعتين ، ضمت حديثاً عن أهم مشاهدات الرحالة الأندلسي الشهير في الحرمين الشريفين ، وفي مدينة جدة .. مع بعض التعليقات على صوره ومشاهداته .

ومما هو معد للطبع ، بل هو تحت الطبع فعلاً ، رسالتان صغيرتان أيضاً ، في سلسلة جديدة أسميتها (شعراء مغمورون) .. الرسالة الأولى عن (عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني) وهو شاعر مُجيد من القرن الثاني الهجري ، كنت قدمت عنه كلمة لدورة مجمع اللغة العربية في المؤتمر العام المنعقد في فبراير ١٩٨٩ م بالقاهرة ، وقد ضمنتها ترجمة له ، ومحاولة لجمع ما تيسر من أشعاره . فقد استلفت نظري أن شعر هذا الشاعر على جانب من الجودة يؤهله للشهرة والبروز ، ولكنه لم يشتهر .

أما الرسالة الثانية ، فهي عن شاعر آخر يشاركه الصفات نفسها ، والفترة الزمنية ذاتها ، وهو (خارجة بن فليح المللي) وقد قدمت كلمته أيضاً في الدورة التالية لمؤتمر المجمع ، وهي الدورة المنعقدة بالقاهرة في فبراير ١٩٩٠ م ، وتضمنت الكلمة أيضا محاولة لجمع أخباره وأشعاره ..

وهاتان الرسالتان تنتظمان مع سلسلة المحاولات التي بذلتها من قبل ، من أجل إنصاف بعض الشعراء المغمورين ، الذين تحدثت عنهم آنفاً ..

وبعد ، فهل هناك شيء تحت الإعداد ..؟ أعني الإعداد للنشر ..

هناك كتيب عن (ابن سيرين) كتبته منذ أكثر من ثلاث سنوات ، ولكني أود أن أعيد النظر فيه قبل أن أدفعه للنشر ..

وهناك ركام من كتاباتي المتفرقة ، فيها ما ينتظمه موضوع واحد ، أمني النفسي بين حين وآخر أن أفرغ له لأستخرج منه هذه الموضوعات ، ولكني أرى الأيام تبتلع الأمنيات ، والعمر أقصر من أن يتسع لها ، والله المستعان أولاً وآخراً .



المجلات الأكاديمية في المملكة العربية السعودية

دراسة ببليومترية على مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود

هشام بن عبد الله عباس
أستاذ مشارك بقسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز - جدة

المستخلص :

تتناول الدراسة بالتقويم والتحليل محتويات مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض ، بهدف التعرف على طبيعة وسمات بحوث المجلة ، والتعرف على إنتاجية المؤلفين والتأليف المشترك وقياس مدى التشتت الموضوعي واللغوي للإنتاج ...

المقدمة

تحتل الدراسات الببليومترية BIBLIOMETRICS مكاناً على جانب كبير من الأهمية في دراسات علم المعلومات ، حيث تستخدم الطرق الإحصائية والأساليب الرياضية في تحليل البيانات المتعلقة بالكتب والوثائق والدوريات ومقالات الدوريات وتقييم الأعمال العلمية والمؤلفين والناشرين ، ودراسة العلاقات المتبادلة بين التخصصات العلمية . (قاسم ، ١٩٨٠ ، ١٢) .

ومصطلح «القياسات الببليوجرافية» لم يظهر إلا مع بدايات هذا القرن ، حينما استخدم وندام هلم WYNDHAM HULEME لأول مرة في عام ١٩٢٢ لفظ الببليوجرافيا الإحصائية STATISTICAL BIBLIOGRAPHY في المباحث التي تهدف إلى إلقاء الضوء على التطور التاريخي للعلوم والتكنولوجيا اعتماداً على إحصاء الوثائق . (تمراز ، ٤١ — ٥٠) .

وتحاول هذه الدراسة تطبيق منهج القياسات الببليومترية على محتويات مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض ، وذلك للتعرف على خصائص وسمات الإنتاج الفكري المنشور بهذه المجلة ، التي تعتبر أول مجلة أكاديمية تصدرها كليات الآداب بجامعات المملكة العربية السعودية بهدف نشر البحوث العلمية في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانيات ، حيث أكملت عامها الخامس عشر بنهاية عام ١٤٠٨ هـ ، فضلاً عن أنها لا تقتصر على التخصصات التي تحتضنها الكلية ، وإنما تغطي مجالات علمية أرحب .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى ما يلي :

— وصف وتحليل طبيعة وسمات بحوث المجلة .

— التعرف على المجالات أو الموضوعات التي غطتها المجلة وتلك التي لم تغطها .

— التعرف على التشتت اللغوي لبحوث المجلة .

— التعرف على إنتاجية المؤلفين والتأليف المشترك .

تساؤلات البحث :

— إلى أي مدى تغطي الكتابات في المجلة جميع التخصصات المتوافرة بالكلية والتخصصات الأخرى التي نصت عليها سياسة تحرير المجلة ؟

— ما نسبة التأليف إلى الترجمة ؟

— من هم المؤلفون المكثرون والمقلون في المجال ؟

— ما مدى تنوع لغات الإنتاج الفكري الذي تنشره المجلة ؟

أهمية الدراسة :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من الوعي المتزايد بضرورة تحليل محتويات مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود إحصائياً ، حيث تعد العمود الفقري للبحث العلمي في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانيات ، وذلك لما تحويه من مواد علمية حديثة ، كما تستمد أهميتها من أنها وسيلة لتقويم مسيرة مجلة الكلية بهدف رسم الصورة الحقيقية لواقعها ، وذلك لمساعدتها على الصمود واستمرار الصدور وتقديم كل ما هو جدير في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانيات .

الدراسات السابقة :

تعد القياسات الببليومترية من أهم الطرق المستخدمة في قياس الإنتاج الفكري ، حيث استخدمت أساساً لإنتاج قوائم بأكثر الدوريات التي استشهد بها ، ويعد جروس GROSS وجروس GROSS أول من طبقا في عام ١٩٢٧ م طرقاً إحصائية بسيطة لترتيب الدوريات العلمية في مجال التعليم الكيميائي طبقاً لأهميتها النسبية (GRROSS, 385-389) وقد أجريت بعد ذلك سلسلة من الدراسات الأجنبية المشابهة على كثير من المجالات العلمية (المصري ، ١٦١ — ١٦٢) .

أما على مستوى العالم العربي فلم تحظ الدراسات الببليومترية إلا بقدر ضئيل من الاهتمام ظهر مؤخراً ، حيث توجد بضع دراسات عربية استخدمت المنهج الببليومتري في فصول منها ، أو في الدراسة بأكملها ، ويأتي في مقدمتها :

أولا : دراسة حشمت قاسم في عام ١٩٧٨ لعينة من الرسائل الجامعية العربية والمجازة في الستينات والسبعينات من القرن الحالي ،

وذلك بهدف معرفة اتجاهات هذه الرسائل ومدى اعتمادها على التراث العربي والدراسات الحديثة (KASSEM, 225) .

ثانياً : دراسة محمد المصري في عام ١٩٨١ للإنتاج الفكري للأطباء العرب في العصر الحديث ، وذلك بهدف معرفة السمات الأساسية للإنتاج الفكري الطبي العربي ، وبيان الخصائص البارزة في تطوره ، وكذلك تقويم الإفادة من هذا الإنتاج من جانب المؤلفين (المصري ، ١٦١ ــ ١٦٢) .

ثالثاً : دراسة عبد الجليل طاشكندي في عام ١٩٨٢ لظاهرة تضخم الإنتاج الفكري وتشتته وأثرها على الباحثين العرب (طاشكندي ، ٩٥ ــ ١١٧) .

رابعاً : دراسة فتحي أبو النجا في عام ١٩٨٤ م التي أفردت الفصل الثاني للدراسة الببليومترية عن الدوريات المصرية الزراعية في الفترة ١٩٠٠ ــ ١٩٨٠ ، وذلك بهدف التعرف على إنتاجية المؤلفين والتأليف المشترك ، وعرض سمات الإنتاج الزراعي ، وقياس مدى التشتت النوعي واللغوي والزمني (أبو النجا ، ٤٩٨) .

خامساً : دراسة أسامة السيد محمود في عام ١٩٨٧ التي تعرضت في الفصل الخامس منها إلى سمات الإنتاج الفكري في مجال المكتبات والمعلومات ، وإلى لغات النشر وهيئاته وشكل الأوعية ، والتشتت الموضوعي للإنتاج الفكري وتوزيعه على جزئيات التخصص ، وقياس إنتاجية المؤلف وعدد الترجمات وظاهرة التأليف المشترك .

سادساً : دراسة ربحي عليان ونجيب الشربجي في عام ١٩٨٦ لمجلة رسالة المكتبة التي تناولت بالتحليل محتويات المجلة إحصائياً منذ صدور العدد الأول منها عام ١٩٦٥ م حتى نهاية عام ١٩٨٥ م (عليان والشربجي ، ١٠) .

سابعاً : دراسة نسيم الصمادي في عام ١٤٠٦ لبحوث الأنظمة في معهد الإدارة العامة بالرياض خلال عشر سنوات من عام ١٣٩٢ إلى عام ١٤٠٤ هـ وذلك بهدف معرفة اتجاهات هذه البحوث ومدى اعتمادها على مؤلفات المشرفين على بحوث الباحثين في دراسات الأنظمة في معهد الإدارة العامة (الصمادي ، ١٧) .

ثامناً : دراسة زينب محمد أبو العنين محفوظ في عام ١٤٠٨ للإنتاج الفكري المصري في دوريات العلوم البحتة التي تناولت بالقياس إسهام المؤلفين ، ومدى التأليف المشترك ، وعدد الدوريات ، ونوعية الأوعية المستشهد بها في التخصصات المختلفة في مجال العلوم (محفوظ ، ١٦٧–١٧٦) .

تاسعاً : دراسة محمد عياش هاشم في عام ١٤١٠ لخصائص الاستشهادات المرجعية للباحثين في علم الأحياء بجامعتي الملك عبد العزيز بجدة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية (هاشم ، ؟) .

مجال البحث وحدوده :

تتناول هذه الدراسة بالتحليل والتقويم محتويات مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض بالمملكة العربية السعودية منذ صدور العدد الأول في عام ١٣٩٠ حتى نهاية عام ١٤٠٨ هـ .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث منهج القياسات الببليومترية الذي يقوم على الأساليب الإحصائية في تحليل وتقويم محتويات مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود .

الدوريات

تشكل الدوريات أحد المنافذ الرئيسة والهامة لبث الأفكار وتبادل الخبرات ونشر المعلومات الحديثة ، وذلك نتيجة للتطورات التي شهدها العالم في القرن العشرين ، والثورة التكنولوجية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وما صاحب ذلك من زيادة اهتمام الدول المتقدمة منها والنامية بالبحث العلمي ، ثم الزيادة الهائلة في عدد مراكز البحث ومحطات التجارب والمعاهد العلمية المتخصصة في مختلف المجالات وحرص هذه الهيئات على نشر نتائج بحوثها ، ولقد كانت الدوريات هي الوسيلة الملائمة لهذا النشر (قاسم ، ١٩٦٩ ، ١٢) .

وتتمثل القيمة الكبرى للدوريات في قدرتها على حمل أحدث المعلومات ، وقدرتها الفائقة على ملاحقة تطورات العلم أولاً بأول ، حيث تتفوق في درجة الجدة على نظيراتها من الكتب ، لأن محتويات معظم الكتب تعتمد أساساً على ما نشر في الدوريات . (قاسم ، ١٩٧٩ ، ٨١) كما أن بعض الموضوعات تتطور بدرجة سريعة ، فتبقى المعلومات المتصلة بها في الدوريات دون أن تتاح لها فرص الظهور في شكل كتاب (الهجرسي ، ٤٧–٤٨) . هذا بالإضافة إلى أن الدوريات قد تحتوي معلوماتها على تفاصيل دقيقة مما هو موجود في الكتب (قاسم ، ١٩٧٩ ، ٨٢) .

لذلك تشكل الدوريات جزءاً كبيراً من مجموع الإنتاج الفكري المستشهد به في مجالات العلم المختلفة ولا سيما في مجال العلوم والتكنولوجيا ، ففي مجال الكيمياء مثلاً تقدر نسبة الدوريات المستشهد بها بنحو ٩٣٪ وفي مجال علم وظائف الأعضاء ٩٠٪ وفي مجال علم الفيزياء ٨٨٪ وفي مجال الحيوان ٨٠٪ وأما في مجال الرياضيات فتقف عند ٧٦٪ (Osborn, 40) كما تستأثر الدوريات بنحو ٥٠٪ من الاهتمامات القرائية وذلك لارتباطها بالنهضة العلمية الحديثة التي بدأت في القرن السابع عشر (قاسم ، ١٩٧٩ ، ٨١) . وتشكل الدوريات العمود الفقري لمجموعات معظم المكتبات المتخصصة ، كما تتجاوز ميزانيتها ما يخصص لباقي الأشكال الأخرى

من الأوعية (قاسم ، ١٩٧٩، ٨١) .

ولا تقتصر أهمية الدوريات على مجال العلوم والتكنولوجيا فقط ، فإن الإنتاج الفكري المنشور في دوريات العلوم الإنسانية والاجتماعية أيضاً لا تقل أهمية . فالدوريات بالنسبة للمؤرخين هي التي تسجل أحداث العصر بكل تفاصيلها ، وليس من المتوقع — مثلاً — أن تسجل هذه الوقائع ، والأحداث مفصلة كما هي مرة ثانية في شكل كتاب ، وعلى الباحثين أن يرجعوا إليها في الدوريات عند الحاجة ليسترجعوا من محتوياتها ما يريدون (grefell, Viii) . وفي مجال الأدب فإن جميع المدارس الأدبية من إفراز الدوريات الأدبية .

ولعل ما يؤكد أهمية الدوريات ما جاء في تقرير اللجنة المشتركة للفهرس الوطني الموحد للدوريات بالولايات المتحدة من أن ٩٥٪ من مجموع طلبات الاستنساخ التصويري كانت للدوريات ، وأن معدل مجموع إعاراتها بين المكتبات بلغ ٦١٪ وذلك للفترة ما بين ١٩٤١–١٩٥٨ (٣٢ و .. Joint committee) ، أما في الوقت الحاضر فإن ٥٠٪ من طلبات الإعارة المتبادلة بين المكتبات في الولايات المتحدة كانت للدوريات ، ويقدر مجموع الطلبات التي تلقتها المكتبات الأكاديمية في الولايات المتحدة في الفترة ما بين ٧٤–١٩٧٥ م ، بأكثر من ٢ مليون طلب (Osborn, 347) .

وتشير الإحصائيات المختلفة بالرغم من تضاربها وتناقضها وعدم اتفاقها على رقم محدد إلى أن إنتاج الدوريات في العالم قد مر بتطور سريع ، وذلك نتيجة للتزايد المستمر في مجموع الإنتاج الفكري ، فمثلاً يشير كيومر KUMAR أنه قد صدر في بداية القرن التاسع عشر نحو مائة دورية ، وفي عام ١٨٥٠ أصبح ١,٠٠٠ ، وفي عام ١٩٠٠ تجاوز الرقم ١٠,٠٠٠ واقترب الرقم من ١٠٠,٠٠٠ عام ١٩٦٠ وبهذا المعدل نجد أن عدد الدوريات سيقترب من المليون دورية مع نهاية القرن العشرين (KUMAR, 94) .

كما أن الخولي يشير إلى تضاعف أعداد الدوريات في كل خمس عشرة سنة ، حتى وصل عام ١٨٢٥ إلى حوالي (٣٠٠) دورية ، واستمرت هذه الزيادة حتى أصبحت في عام ١٩٦٠ حوالي (٥٠,٠٠٠) دورية (بقي منها على قيد الحياة حوالي الثلثين) ويتوقع أن يصل عدد الدوريات العلمية منها بنهاية هذا القرن الحالي إلى حوالي مليون دورية . (الخولي ، ١٤) .

بينما يرى اوسبورن OSBORN أن عدد الدوريات في العالم قد وصل في عام ١٩٥٠ إلى (٦٠٠,٠٠٠) دورية ، وفي عام ١٩٧٠ قد وصل العدد بالفعل إلى (٩٠٠,٠٠٠) دورية ، وأنه بنهاية عام الألفين ميلادي سيصل العدد إلى (١,٥٠٠,٠٠٠) دورية ، وبزيادة (٢٠,٠٠٠) دورية في السنة الواحدة (OSBORN, 25) .

وفيما يخص دوريات العلوم والتكنولوجيا ، فإن برايس PRICE أشار إلى أن العدد قد قفز من (١٠) دوريات في عام ١٧٥٠ إلى (١٠٠٠) دورية في عام ١٩٠٠ ، ويتوقع أن يصل العدد بنهاية عام الألفين ميلادي إلى مليون دورية علمية . (PRICE, 166) كما أن عدد الدوريات المدرجة في مصدر WROLD LIST OF SCIENTIFIC PERIODICALS قد وصل إلى (٦٠,٠٠٠) دورية في عام ١٩٦٠ (World List, 7) .

وهكذا يبدو أن كل المؤشرات تدل على التطور السريع لأعداد الدوريات في العالم ، وذلك بغض النظر عن تناقضها ، كما أن جميعها يتوقع أن يصل عددها إلى ما يقرب من المليون دورية بنهاية القرن الحالي .

وتعتبر الدورية المسماة بـ Journal des Scavans أول دورية ظهرت في العالم وأصدرتها فرنسا في الخامس من يناير سنة ١٦٦٥ وشملت تخصصات الفيزياء والكيمياء والتشريح . وبعد ثلاثة أشهر من صدور هذه الدورية الفرنسية ، ظهرت أول دورية إنجليزية في العلوم البحتة بعنوان Philosophial Transactions of The Royal Society . وذلك في السادس من مايو سنة ١٦٦٥ ، أما ألمانيا فقد صدرت بها أول دورية بعنوان Miscellanea Curiosa في سنة ١٦٧٠–١٧٠٥ وارتبطت بالعلوم الطبية أساساً مع نشر بعض المقالات في النبات والمعادن والحيوان (Houghton, 12-19) .

وعلى مستوى العالم العربي ، فإن مصر تعد أول بلد عربي عرف الدوريات ، فقد صدرت (الوقائع المصرية) سنة ١٨٢٨ وظهرت بها أول مجلة متخصصة وهي (يعسوب الطب) سنة ١٨٦٥ (خليفة ، ٢٥) .

وعلى مستوى المملكة العربية السعودية ، فإن أول دورية صدرت هي (حجاز) في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) (حافظ ، ٢) وتعد صحيفة (أم القرى) أول دورية تصدر في العهد السعودي ، وذلك في عام ١٣٤٣ هـ (حافظ ، ١١٣) .

وبالنسبة للمجلات الأكاديمية المتخصصة في المملكة العربية ، فإن ظهورها قد ارتبط بإنشاء الجامعات ، حيث أصدرت جامعة الملك سعود — أقدم الجامعات السعودية — أول مجلة أكاديمية علمية متخصصة بعنوان **مجلة الجامعة** في عام ١٣٧٧ (١٩٥٩) (حافظ ، ٨٨) وهو يوافق العام الذي أنشئت فيه الجامعة .

وفي سنة ١٤٠٧ بلغ إجمالي ما تصدره الجامعات السعودية من دوريات أكاديمية تسعاً وأربعين مجلة علمية متخصصة كل في مجال تخصصه (الدرعان ، ٦٣ — ١١٦).

وهكذا يبدو أن الدوريات في العالم العربي عامة والمملكة العربية

السعودية بشكل خاص قد تأخر ظهورها بعض الشيء ، وذلك لعدة أسباب منها :

ــ أن الطباعة نفسها ــ وهي العامل التقني الذي لا غنى عنه للدوريات ــ قد دخلت إلى أكثر البلاد العربية للمرة الأولى ، متأخرة عنها في مواطن اختراعها بما يزيد على قرنين من الزمان ، بل إن وجود الطباعة بصورة مستقرة في أقدم البلاد العربية التي استخدمتها قد تأخر عقدين أو ثلاثة عن بداية القرن التاسع عشر نفسه ، هذا بالإضافة إلى أن دخول الطباعة قد لا يعني ظهور الدوريات مباشرة في كل الأحوال ، معنى ذلك أن كل دوريات الوطن العربي بصفة عامة لن تعود إلى بداية ظهورها إلى أبعد من العقد الثالث من القرن التاسع عشر . (الهجرسي ، ٧٧ ــ ٧٨) .

وإذا كان هذا الأمر ينسحب على الدوريات بصفة عامة ، فإنه من الطبيعي أن يكون ظهور الدوريات الأكاديمية في العالم العربي أكثر تأخراً ، وذلك لارتباطها بظهور الجامعات والتعليم العالي ، حيث يعود تاريخ إنشاء أول جامعة في العالم العربي إلى عام ١٩٠٨ حيث أنشئت جامعة القاهرة كجامعة أهلية .

مجلة كلية الآداب
بجامعة الملك سعود

نشأتها وأهدافها :

صدر العدد الأول من مجلة كلية الآداب في عام ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م أي بعد ثلاث عشرة سنة من إنشاء الكلية في عام ١٣٧٧ هـ وقد جاء في كلمة التصدير لهذا العدد أن إصدار هذه المجلة عن كلية الآداب إنما يأتي من كون كلية الآداب ... الموئل الأول للاهتمام بالدراسات المتعلقة بالتراث الفكري لهذه البلاد وتاريخها الإنساني الذي يضرب بجذوره في أعماق الزمن وذلك لتنميته تنمية علمية ..

والجدير بالذكر أن هذه المجلة كانت تصدر مرة كل عام ، وفي عام ١٤٠٤ م أصبحت تصدر مرتين في السنة ، وتقوم عمادة شؤون المكتبات بالجامعة في الوقت الحاضر بنشرها وتوزيعها وبيعها بثمن رمزي ، وفي عام ١٣٩٧ هـ صدر المجلد الخامس في ثوب جديد مغاير لما سبق تنظيماً وإخراجاً ، وذلك على إثر القواعد والتنظيمات التي أصدرها المجلس العلمي بالجامعة الذي أنشىء في عام ١٣٩٦ هـ ليتولى تنظيم ونشر الإنتاج الفكري والعلمي على مستوى الجامعة .

ملاحظات عامة :

تصدر المجلة في حجم (٢٤ × ١٧ سم) قطع الربع ، وتتراوح صفحات كل عدد ما بين ٣٦٨ (مج ٤، ١٣٩٥ هـ) وهو أصغر الأعداد من الناحية الكمية ، وبين ١١٢٣ (مج ١٣ ، ١٤٠٦ م) وهو أكبر عدد من الناحية الكمية ، وكان نصيب البحوث من الصفحات في المجلدات الخمس عشرة ٨١٤٤ صفحة بنسبة ٨٧,٥٢٪ في مقابل ١١٦٢ صفحة للأبواب الأخرى ، وبنسبة ١٢,٤٨٪ ، وكان نصيب الأبحاث العربية ٦٢٥٩ صفحة بنسبة ٧٦,٨٦٪ نظير ١٦٠٦ للأبحاث الإنجليزية وبنسبة ١٩,٧٢٪ أي أن البحوث العربية تشكل ثلاثة أضعاف البحوث الإنجليزية .

كما يلاحظ على المجلدين الأول والرابع تصدرهما بكلمة تصدير أو تحرير للمجلة انعدمت فيما عداهما من أعداد .

وابتداء من العام ١٣٩٥ هـ، أصبحت تتصدر الأبحاث مستلخصات باللغتين العربية والإنجليزية وهي مقننة بـ ٢٠٠ كلمة .

وفيما يتعلق بالمطابع ، فإنه يلاحظ أن نسبة ضئيلة جداً لا تزيد عن ٣٪ طبعت بمطابع خارج الجامعة . أما بقية الأعداد فقد طبعت بمطابع الجامعة التي أنشئت في عام ١٣٩٣ هـ أي بظهور المجلد الثالث من المجلة .

وبصدور المجلد السادس عام ١٩٧٩ م ، أصبح عنوان المجلة باللغة الإنجليزية Journal of the College of Arts وقبل ذلك التاريخ كانت تعرف بـ Bulletin of the Faculty of Arts .

أبواب المجلة

تحتوي المجلة على أربعة أبواب رئيسة ، وهي : البحوث ، ونقد الكتب ، ورسائل الدكتوراه والماجستير ، والببليوجرافيا ، حيث ظهرت جميعها بانتظام في كل عدد ، ما عدا باب نقد الكتب الذي اختفى فقط في عام ١٤٠٥ هـ ، وباب الببليوجرافيا الذي اختفى أيضاً ابتداء من العدد الثاني لعام ١٤٠٨ هـ .

وابتداء من عام ١٤٠٨ م قسم باب البحوث إلى قسمين : قسم خاص بالآداب واللغويات ، وقسم آخر للعلوم الاجتماعية .

وفي عامي ١٤٠٢ و ١٤٠٥ هـ خصص باب لعرض الندوات والمؤتمرات العلمية ، كما شهدت الأعوام من ١٤٠٢-١٤٠٤ وجود إعلانات تجارية لمجلات متخصصة .

باب نقد الكتب :

وقد اعتادت المجلة عمل مراجعة نقدية للكتب في كل الأعداد باستثناء مجلدين اثنين هما : المجلد الأول الصادر في عام ١٣٩٠ هـ ، والمجلد الثاني عشر الصادر في عام ١٤٠٥ م ، وقد تركزت المجلة على نقد الكتب العربية ، حيث يقدر عدد المقالات النقدية بـ (٢٧) مقالة ، منها (٢٥) مقالة لكتب عربية ، وكتاب واحد مكتوب باللغة الفرنسية ، ورسالة دكتوراه واحدة مكتوبة باللغة الإنجليزية .

ويلاحظ أن أكثر الأعداد نقداً للكتب هي مجلدات أعوام

(١٣٩١ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠) حيث وصلت إلى (٣) كتب في كل عدد على حدة ، وتليها مجلدات ١٣٩٧ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٤) فقد عالج كل منها كتابين فقط ، والبقية الباقية اكتفت بكتاب واحد .

وبلغ عدد النقاد الذين ساهموا في نقد الكتب (٢٦) ناقداً من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود ، باستثناء ناقد واحد من جامعة اليرموك بالأردن .

ومن أبرز النقاد سامي الصقار (١١) مقالة نقدية ، يليه أحمد الضبيب (٣) وأخيراً محمد السديس (مقالتان) .

باب البيليوجرافيات :

كما أفردت المجلة باباً للتعريف بالكتب الصادرة حديثاً في كل الأعداد باستثناء العدد الثاني من المجلد الخامس عشر .

وفي الأعداد الأربعة الأولى كان يطلق عليه اسم «الجديد في المكتبة السعودية» وابتداء من العدد الخامس أصبح يعرف بباب البيليوجرافيات . وقامت بإعداد مواده أيد متخصصة تعمل بعمادة شؤون المكتبات بالجامعة .

واعتباراً من المجلد الثالث عشر لعام ١٤٠٦ تصدرت البيليوجرافيات بتعريف بها وبأهدافها والسياسة المتبعة في إعدادها .

ويلاحظ على هذه البيبليوجرافيات تركيزها على الكتب العربية باستثناء عدد قليل من الكتب الإنجليزية ، كما يلاحظ عدم اقتصارها على مواد العلوم الاجتماعية والإنسانية ، بل تتعداها إلى كل مجالات المعرفة البشرية .

باب الرسائل العلمية :

كما اعتادت المجلة في كل مجلداتها ـــ باستثناء المجلد الثاني لعام ١٣٩١ هـ ـــ التعريف فقط برسائل أعضاء هيئة التدرس بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ، وقد بلغت ٨٩ رسالة ، منها (٦٣) رسالة دكتوراه بنسبة ٧٠,٧٨٪ و (١٦) رسالة ماجستير بنسبة ١٧,٩٧٪ ، وكانت نسبة المكتوب باللغة العربية ٢١,٣٥٪ منها (٣) رسائل دكتوراه و (١٦) رسالة ماجستير .

سياسة تحرير المجلة :

تقبل المجلة للنشر بحوثاً ومقالات ونقداً للكتب وببليوجرافيات في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانيات على ألا يكون قد سبق نشرها في دوريات أخرى . كما تقبل بحوثاً لأعضاء من خارج جامعة الملك سعود ، ويسمح بالنشر باللغة العربية وغيرها من اللغات العالمية وخاصة الإنجليزية . وتخضع جميع المقالات للتحكيم ، سواء كان محلياً وعالمياً أو محلياً فقط .

وتخصص مكافأة مادية للمحكمين لا تزيد عن ٥٠٠ ريال فقط في الوقت الحالي .

وقد حرصت هيئة التحرير ابتداء من المجلد الخامس عام ١٣٩٧ م على إعلان شروط النشر التي يجب أن يلتزم بها المؤلفون في كتابة مقالاتهم على ظهر صفحة العنوان ، وتتضمن تلك الشروط بعضاً من سياسة التحرير ، كتقديم ثلاث نسخ من المقال ، وإعداد مستخلص باللغتين العربية والإنجليزية لا يتجاوز ٢٠٠ كلمة ، وابتداء من المجلد الثاني عشر أضيفت قواعد الإشارة إلى المصادر مع إعطاء أمثلة .

هيئة تحرير المجلة :

تشرف على المجلة هيئة تحرير مكونة من أربعة أعضاء بما فيهم رئيس التحرير ، يمثلون مختلف التخصصات بالكلية ، باستثناء الثلاثة المجلدات الأولى ، فكان عدد أعضاء هيئة تحرير المجلدين الأول والثاني خمسة أفراد ، وفي المجلد الثالث ستة أفراد بما فيهم رئيس التحرير ، هذا بالإضافة إلى عميد الكلية . أما المجلد الخامس فاكتفى بذكر رئيس التحرير الذي جمع ما بين رئاسة التحرير وعمادة الكلية .

وأبرز رؤساء هيئة التحرير فهم منصور الحازمي وعزت خطاب ، حيث تكررت رئاستهما لهيئة تحرير المجلة خمس مرات ، ويليهما حسن شاذلي فرهود الذي تولى الرئاسة أربع مرات .

أما أبرز أعضاء هيئة التحرير فهم عزت خطاب ، حيث تكررت عضويته سبع مرات ، ويليه سامي الصقار ست مرات ، ثم حسن شاذلي فرهود وأحمد الشامخ خمس مرات ، ويليهما السيد البشري محمد ثلاث مرات ، وعبد العزيز الهلابي ومحمد السديس مرتين فقط .

وفيما يخص سكرتارية هيئة تحرير المجلة فقد أسند أمرها إلى معد البيليوجرافيا ، وذلك من عام ١٤٠٦ إلى وقتنا الحاضر . أما المجلدات الإثنا عشر الأولى من المجلة فقد اكتفت بهيئة تحرير للمجلة .

البحوث الصادرة

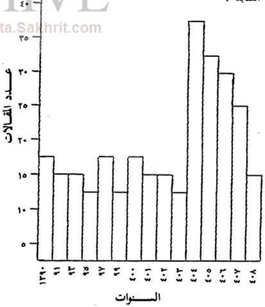
صدر خلال خمسة عشر عاماً من عمر المجلة واحد وعشرون عدداً تغطي الفترة من ١٣٩٠–١٤٠٨ هـ ، وقد احتوت هذه الأعداد على (٣٠٠) بحث ، كان من بينها (١٩٤) بحثاً باللغة العربية بنسبة ٦٤,٦٪ ، (١٠٦) بحوث باللغة الإنجليزية بنسبة ٣٥,٣٪ وهي نسبة معقولة ، حيث إن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الجامعات السعودية ، واللغة الإنجليزية هي اللغة الأجنبية الأولى في المملكة العربية السعودية (انظر الجدول رقم «١») .

جدول رقم (١)

البحوث الصادرة حسب السنوات

السنة	عدد الأبحاث		المجموع
	العربية	الإنجليزية	
١٣٩٠	١٥	٤	١٩
١٣٩١	١١	٤	١٥
١٣٩٣	١١	٤	١٥
١٣٩٥	١٠	٤	١٤
١٣٩٧	١٣	٦	١٩
١٣٩٩	٨	٦	١٤
١٤٠٠	١١	٨	١٩
١٤٠١	١٢	٥	١٧
١٤٠٢	١١	٦	١٧
١٤٠٣	٧	٩	١٦
١٤٠٤	١٩	١٧	٣٦
١٤٠٥	١٧	١٣٦	٣٠
١٤٠٦	٢٢	٧٣	٢٩
١٤٠٧	١٨	٧٢	٢٥
١٤٠٨	٩	٦٣	١٥
الإجمالي	١٩٤	١٠٦	٣٠٠

ويلاحظ من الجدول رقم (١) ومن الشكل رقم (١) أن عدد البحوث قد تفاوت من سنة إلى أخرى بشكل ملحوظ ، ففي السنوات الأولى من عام ١٣٩٠-١٤٠٣ هـ تراوح عدد البحوث بين ١٤ ، ١٩ بحثاً ، بينما شهدت أعوام ١٤٠٤-١٤٠٧ هـ تطوراً ملحوظاً في أعداد البحوث ، إذ وصلت إلى ضعف ما كانت عليه في الأعوام السابقة . ولم يتخذ هذا التطور خطاً صاعداً ، ففي عام ١٤٠٨ هـ انخفض العدد إلى نصف ما كان عليه في الأعوام السابقة .



شكل رقم (١)

نوعية البحوث :

وقد بلغ تحقيق النصوص من المقالات المنشورة بالمجلة ١٢ بحثاً بنسبة ٤٪ تليها الترجمة ٤ مقالات بنسبة ١,٤٪ ثم التقارير العلمية ٣ بنسبة ١٪ وأخيراً المقالات التي أساسها محاضرات ألقيت بالكلية ، وتبلغ مقالتين بنسبة ٠,٦٪ كما يوضح الجدول رقم (٢) .

جدول رقم (٢)

نوعية البحوث المنشورة

الأنواع	العدد	النسبة
الترجمة	٤	١,٤ ٪
التحقيق	١٢	٤ ٪
محاضرات	٢	٠,٦ ٪
تقارير علمية	٣	١ ٪
البحوث والدراسات الأخرى	٢٧٩	٩٣ ٪
الإجمالي	٣٠٠	١٠٠٪

المشاركون في الكتابة

أما عدد المشاركين في الكتابة فقد وصل إلى (٣٠٢) عضو هيئة تدريس ، منهم أربعة مشاركين يمثلون ١,٣٢٪ لا ينتمون إلى مؤسسات أكاديمية أو لا يحملون الألقاب العلمية المتعارف عليها بالجامعة . (انظر جدول رقم ٣) .

جدول رقم (٣)

المستوى العلمي للمسهمين في الكتابة بالمجلة

وكان نصيب التأليف المشترك بحثاً واحداً صدر في عام ١٤٠٦ واشترك في كتابته ثلاثة مؤلفين بنسبة ٠,٣٣٪ من مجموع المؤلفين . كما كان نصيب المشاركات من النساء أربعة بحوث بنسبة ١,٣٢٪ منها اثنان باللغة العربية واثنان باللغة الإنجليزية .

دكتوراه	ماجستير	غير ذلك	المجموع
٢٩٨	١	٣	٣٠٢

جدول رقم (٤)

المشاركون في الكتابة

حسب الجنس

الجنس	العدد	النسبة
ذكور	٢٩٨	٩٨,٦٨
إناث	٤	١,٣٢
المجموع	٣٠٢	١٠٠

ويعتبر المتخصصون في اللغات أكثر المؤلفين إسهاماً بالكتابة في المجلة ، حيث بلغ عددهم ٧٠ مؤلفاً أنتجوا ٦١ مقالة بمعدل ٠,٨٧٪ لكل واحد ، وأقل الأعداد إسهاماً هم المتخصصون في السياسة ، حيث لم يتجاوز العدد مؤلفاً واحداً فقط بمعدل مقالة واحدة . (انظر جدول رقم «٥») .

جدول رقم (٥)
عدد البحوث المنشورة موزعة على المؤلفين والموضوعات

الموضوع	عدد الأبحاث	المؤلفون	المعدل
آثار	١٢	١٤	٠,٨٥
اجتماع	٢٢	٢٥	٠,٨٨
أدب	٧٢	٦٩	١,٠٤٣
إعلام	١٧	٢٠	٠,٨٥
تاريخ	٤٩	٤١	١,١٩
تربية	١٠	٦	١,٦٦
دين	٢	٢	١
جغرافيا	٤٧	٤٥	١,٠٤
سياسة	١	١	١
علم النفس	٤	٤	١
لغة	٦١	٧٠	٠,٨٧
مكتبات	٣	٣	١
المجموع	٣٠٠	٣٠٢	٠,٩٩

ويتضح من الجدول رقم (٥) أن غالبية المؤلفين ساهموا بكتابة بحثين ، فمن بين ٣٠٢ باحثاً ، كتب ٣٣ منهم (١٠,٩٢٪) بحثين ، كما بلغ معدل عدد البحوث التي كتبها كل مؤلف ٠,٩٩ مقالاً لكل كاتب ، وتبدو النسبة ضئيلة جداً ، وذلك لأن غالبية المشاركين كتبوا مقالاً أو مقالين على أكثر تقدير .

وقد بلغ عدد مؤلفي القمة (٤) مؤلفين يمثلون ١,٣٢٪ من مجموع المؤلفين .

جدول رقم (٦)
عدد المقالات المنشورة مقارنة بعدد المؤلفين

عدد المقالات المنشورة	عدد المؤلفين	النسبة
١	٣١	٪ ١٠,٢٦
٢	٣٣	٪ ١٠,٩٢
٣	١٧	٪ ٥,٦٢
٤	١٢	٪ ٣,٩٧
٥	٥	٪ ١,٦٥
٦	٤	٪ ١,٣٢

وكان أبرز المؤلفين هم حسن فرهود وطلعت لطفي وعمر الخطيب وعيسى الشاعر ، كان نصيب كل فرد منهم (٦) بحوث ، ويليهم عبد الحميد الشلقان وعبد الرحمن البليهيد وعزت خطاب

وعلي جاد ومحمد محمدين، حيث نشر لكل منهم (٥) بحوث، ويليهم (١٢) مؤلفاً كتب كل منهم أربعة بحوث، و (١٧) مؤلفاً كتب الواحد منهم ثلاثة بحوث، و(٣٣) مؤلفاً كتبوا بمعدل بحثين، والبقية بمعدل بحث واحد (انظر جدول رقم «٦»).

كما استقطبت المجلة عدداً لا بأس به من الجامعات الأخرى، فوصل عدد المشاركين من خارج جامعة الملك سعود (٣٢) كاتباً بنسبة ١٠,٥٩٪ غالبيتهم من خارج المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم منسوبو الجامعات الأردنية، حيث وصل عددهم إلى إثني عشر مؤلفاً، يليهم أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية الأخرى حيث بلغ عددهم عشرة، وكان لجامعة الملك عبد العزيز الحظ الأوفر، حيث بلغ عدد المشاركين منها ستة مؤلفين. هذا إلى جانب ثلاثة مؤلفين من جامعات أمريكية وكندية كما يوضح جدول رقم (٧).

جدول رقم (٧)
مؤلفون من خارج المملكة

الجامعة	العدد
جامعة الملك عبد العزيز	٦
جامعة أم القرى	٢
جامعة الإمام محمد بن سعود	٢
جامعة الكويت	٣
جامعة الإمارات	١
جامعة اليرموك بالأردن	١٠
جامعة مؤتة بالأردن	١
الجامعة الأردنية	١
الجامعة السورية	١
جامعة الخرطوم	١
جامعة ترنتو بكندا	١
أمين مكتبة بالولايات المتحدة	١
جامعة جورج تاون	١
غير معروف	١
الإجمالي	٣٢
النسبة	١٠,٩٢ ٪

الموضوعات

ويستنتج من الجدول رقم (٨) أن أبرز الموضوعات التي عالجتها المجلة كانت في مجال الآداب، فقد كتب فيه (٧٢) بحثاً، بنسبة ٢٤٪ بينما كتب (٦١) بحثاً في اللغة بنسبة ٢٠,٣٣٪، وتأتي موضوعات المكتبات (١٪) والدين (٠,٦٦٪) والسياسة (٠,٣٣٪) في ذيل القائمة..

كما يلاحظ أن عدد البحوث المكتوبة باللغة العربية تصل إلى (١٩٤) بحثاً بنسبة ٦٤,٦٪ مقابل (١٠٦) باللغة الإنجليزية بنسبة ٣٥,٣٪ وجاء نصيب موضوعي التاريخ واللغة من الكتابة باللغة العربية (٤١) بحثاً لكل منها بنسبة ٢١,١٣٪ يليها الأدب (٣٨) بحثاً بنسبة ٢١,١٣٪ ثم الجغرافيا (٢٨) بحثاً بنسبة ١٤,٤٣٪ وهكذا... ويتصدر قائمة الموضوعات المكتوبة باللغة الإنجليزية الأدب، حيث وصل عدد ما نشر فيه بهذه اللغة (٣٤) بحثاً بنسبة ٣٢,٠٧٪ يليه اللغة (٢٠) بحثاً بنسبة ١٨,٨٦٪ والجغرافيا (١٩) بحثاً بنسبة ١٧,٩٢٪، ويأتي في ذيل القائمة المكتوبة بالإنجليزية موضوع المكتبات بنسبة ١٪ وتغيب موضوعات مثل الدين والسياسة وعلم النفس...

كما يلاحظ أن البحوث في كل الأعداد الخمسة عشر قد غطت إلى حد بعيد كل المجالات التي تدخل في نطاق كلية الآداب ما عدا موضوعات الآثار والاجتماع والإعلام والمكتبات والمعلومات، وكذلك الموضوعات الأخرى التي نصت عليها سياسة المجلة، مثل التربية والدين وعلم النفس والسياسة التي تغيب في كثير من مجلدات المجلة.

جدول رقم (٨)
التوزيع الموضوعي للبحوث

	عدد الأبحاث			
الموضوع	بالعربية	بالإنجليزية	المجموع	النسبة ٪
آثار	٩	٣	١٢	٤
اجتماع	١٩	٣	٢٢	٧,٣٣
أدب	٣٨	٣٤	٧٢	٢٤
إعلام	٥	١٢	١٧	٥,٦٦
تاريخ	٤١	٨	٤٩	١٦,٣٣
تربية	٥	٥	١٠	٣,٣٣
دين	٢	—	٢	٠,٦٦
جغرافيا	٢٨	١٩	٤٧	١٥,٦٦
سياسة	١	—	١	٠,٣٣
علم النفس	٤	—	٤	١,٣٣
لغة	٤١	٢٠	٦١	٢٠,٣٣
مكتبات	١	٢	٣	١
المجموع	١٩٤	١٠٦	٣٠٠	١٠٠

النتائج والتوصيات

تناولت الدراسة بالتحليل والتقويم محتويات مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض بهدف التعرف على سمات الإنتاج الفكري المنشور بها وقياس مدى تشتته الموضوعي واللغوي، وكذلك التعرف على إنتاجية المؤلفين والتأليف المشترك ... وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية :

ــ الأخذ بالمواصفات العالمية في كتابة وتنظيم المجلة وبحوثها .

ــ نسبة البحوث العربية إلى الإنجليزية ٦٤,٦٪ وهي نسبة معقولة .

ــ التذبذب الملحوظ في أعداد البحوث المنشورة ، فبينما وصلت في الأعوام من ١٤٠٤ إلى ١٤٠٧ هـ إلى ضعف ما كانت عليه في الأعوام السابقة نجدها في عام ١٤٠٨ هـ قد انخفضت إلى النصف .

ــ تنوع البحوث المنشورة بالمجلة ، فمنها تحقيق النصوص ٤٪ والترجمة ١,٤٪ والتقارير العلمية ١٪ ...

ــ عدم اقتصار الكتابة على الحاصلين على درجة الدكتوراه أو من يحملون الألقاب العلمية المتعارف عليها بالجامعة .

ــ كان نصيب المشاركات من النساء أربع عضوات هيئة تدريس بالجامعة بنسبة ١,٣٢٪ .

ــ استقطاب أعداد لا بأس بها من خارج المملكة وبنسبة ١٠,٥٩٪ للكتابة بالمجلة .

ــ تفاوت أعداد المساهمين في الكتابة ، فبينما تضاعف أعدادهم في السنوات ١٤٠٤ إلى ١٤٠٧ هـ عما كانت عليه في الأعوام السابقة ، نجدها في عام ١٤٠٨ هـ تتناقص إلى النصف .

ــ غالبية المؤلفين ساهموا بكتابة بحثين ، فمن بين ٣٠٢ باحث كتب ٣٣ منهم (١٠,٩٢٪) بحثين . كما بلغ معدل عدد البحوث التي كتبها كل مؤلف ٠,٩٩ مقالاً لكل كاتب ، وتبدو النسبة ضئيلة جداً، وذلك لأن غالبية المشاركين كتبوا مقالة أو مقالتين على أكثر تقدير .

ــ بلغ عدد مؤلفي القمة ٤ مؤلفين يمثلون ١,٣٢٪ من مجموع المؤلفين . وأعلى عدد للمقالات بالمجلة ٦ مقالات ، وأدنى عدد ٠,٩٩ مقالاً للمؤلف الواحد .

ــ أكثر المؤلفين إسهاماً في المجلة هم المتخصصون في اللغات ، حيث بلغ عددهم ٧٠ مؤلفاً أنتجوا ٦١ مقالة ، وأقل الأعداد إسهاماً هم المتخصصون في السياسة ، فبلغ عددهم مؤلفاً واحداً فقط .

ــ جاء في مقدمة التخصصات التي عالجتها المجلة تخصص الأدب ، حيث بلغ عددها ٧٢ مقالة ، أما تخصص السياسة فهو الأقل معالجة ، حيث حظي بمقالة واحدة فقط .

ــ الاتجاه الموضوعي للبحوث بالمجلة كان غير متوازن ، حيث نجد تفوق موضوعات الأدب واللغة على بقية الموضوعات الأخرى .

ــ لم يحظ التأليف المشترك باهتمام كبير ، إذ ظهرت مقالة واحدة اشترك في تأليفها ثلاثة مؤلفين .

وبناء على نتائج البحث ، فإن الباحث يوصي بما يلي :

١ ــ الاهتمام بدراسة الاستشهادات المرجعية لبحوث مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود لمعرفة اتجاهاتها وخصائصها ..

٢ ــ العمل على إعداد كشاف عربي لمجلة كلية الآداب والمجلات الأكاديمية المناظرة بالمملكة لتعم فائدتها جميع الباحثين والمستفيدين .

٣ ــ دراسة حجم الوسط العلمي المنتج للمعلومات ، لما في ذلك من أهمية لتخطيط شبكات المعلومات .

٤ ــ التوسع في تطبيق الدراسات الببليومترية على المجالات المختلفة للمعرفة بالمملكة العربية السعودية ، لما لها من أهمية في تقويم وتحليل الإنتاج الفكري ومعرفة اتجاهاته ومدى الإفادة منه .

٥ ــ الاهتمام بمجال الدراسات الببليومترية ، بحيث تصبح مادة أو مجالاً أساسياً في مجالات الدراسة بأقسام المكتبات والمعلومات بالمملكة .

المراجع

أبو النجا ، فتحي عثمان السيد . **وضع نظام عربي لاختزان واسترجاع المعلومات في قطاع الزراعة** . (رسالة دكتوراه) ، كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ١٩٨٤ .

حافظ ، عثمان . **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** ، ط١ ، ج ١ ، جدة : شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٣٩٨ هـ .

خليفة ، شعبان . **الدوريات في المكتبات ومراكز المعلومات** . القاهرة ، العربي ، ١٩٧٨ م .

الخولي ، أسامة . «الدوريات العلمية بين الحقائق والأوهام» **المجلة العربية للمعلومات** ، مج ١ ، ع ٢ ، ١٩٧٨ .

تمراز ، أحمد علي . «**الببليومتريقا**» : دراسة في القياس الكمي للبيانات الببليوجرافية «**عالم الكتب**» مج ٧ ، ع ١ ، س ١٩٨٦ ص ص ٤٢-٥٠ .

الدوعان ، فهد محمد بن سعود . **النشر في الجامعات السعودية** ، **دراسة تحليلية** (رسالة ماجستير) ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ .

الصمادي ، نسيم . **الاستشهادات المرجعية ودورها في البحث : دراسة تطبيقية على بحوث الأنظمة في معهد الإدارة العامة** ، الرياض : معهد الإدارة العامة ١٤٠٦ هـ .

طاشكندي ، عبد الجليل، «ظاهرة تضخم الإنتاج الفكري وتشتته وأثرها على الباحثين العرب» ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز** ، مج ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ٩٥ ـــ ١١٧ .

عليان ، ربحي مصطفى ونجيب الشربجي . «الكشاف التراكمي ١٩٦٥ ـــ ١٩٨٥ مع دراسة ببليوجرافية» ، **رسالة المكتبة** ، مج ٢١ ، ع ٤ ، كانون الأول ، ١٩٨٦ ، ص ص ١٠ ـــ ٢٧ .

قاسم ، حشمت . «تحليل الاستشهادات المرجعية وتطور القياسات الوراقية» ، **المجلة العربية للمعلومات** ، مج ٣ ، ع ٥ ، ١١٨ ، ص ١٢ .

قاسم ، حشمت . «الدوريات العربية وأدوات التعريف بها» **مجلة الكتاب العربي** ، ع ٤، يناير ١٩٦٩ ، ص ١٢ .

قاسم ، حشمت . **مصادر المعلومات ، دراسة لمشكلات توفيرها بالمكتبات ومراكز التوثيق** ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٩ .

محفوظ ، زينت محمد أبو العينين . **دراسة ببليومترية لخصائص الإنتاج الفكري المصري في دوريات العلوم البحتة** . (رسالة ماجستير) ، قسم المكتبات والوثائق ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ .

محمود ، أسامة السيد . **المكتبات والمعلومات في الدول المتقدمة والنامية : الاتجاهات ، العلاقات ، المؤسسات ، الإنتاج الفكري** . القاهرة ، العربي للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ .

المصري ، محمد . **الإنتاج الفكري للأطباء العرب في العصر الحديث** ـــ القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٢ .

هاشم ، محمد عياش حسن . **خصائص الاستشهادات المرجعية للباحثين في علم الأحياء بجامعتي الملك عبد العزيز بجدة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة** . (رسالة ماجستير) ، قسم المكتبات والمعلومات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤١٠ هـ .

الهجرسي ، سعد محمد . **دراسات ببليوجرافية لأوعية الفكر العربي : الأطروحات ، الدوريات** . القاهرة ، جمعية المكتبات المدرسية ، ١٩٧٠ .

Crenfell, David **Periodicals and serials : their treatment in special libraries.**, 2nd ed., London: Aslib, 1965.

Gross, P.L.K. and E.M. Gross ''college Libraries and chemical education'', sciene, 66, 280 oct. 1922 385-389.

Houghton, Bernard. **Scientific periodicals their historical development, characteristics, and control.** London, Clive Bingles, 1975.

Jounit committee on the Union List of Serials, INC. **Final Report on the Third Edition of the Union List of Serials.** Washington: Council, on library Resources, INC, 1966.

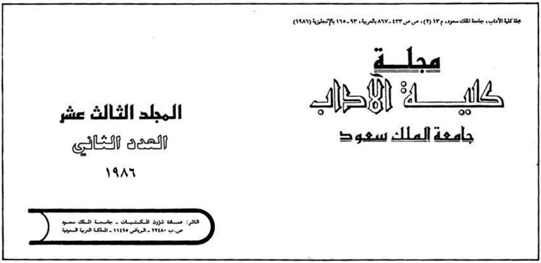
Kassem, Hishmat. Arabic in Specialist informations Systems a study in linguistic aspects of information transfer (Ph. D. Dissertation) University of London, 1978.

Kumar, Girja. - **Bibliography,** Krishan Jumar, New Delhi: Vikas Publishing, 1976.

Osborn, A.D. **Serial Pubication; their palce and treatment in libraries** -3d ed.-chicago; ALA, 1980.

Price, Derek J. de Solla. **Science Since Babybn.** N.Y, Academic Press, 1975, PP 164—167.

World List of Scientitific Periodicals. 4th ed. London, Butter world, 1963, V 1 P IV.



محمد بن عبد الكريم المغيلي
(... - ٩٠٩هـ)

دراسة تاريخية ببليوجرافية

فراج عطا سالم
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

مقدمة :

صاحبنا في هذا المبحث هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، أحد المصلحين البارزين الذين قاموا بإصلاح ما اعوج من أمور الناس والمجتمع ، وبخاصة أهل الذمة من اليهود وغيرهم . رحل إلى بلدان السودان الغربي لإصلاح ما فسد وإقامة المجتمع المسلم ونشر الإسلام على أسس وقواعد سليمة .

هذا وقد تحدثنا في البدء عن مولده ونشأته وإن كانت أغلب المصادر والمراجع قد أغفلت ذلك . ثم تحدثنا عن مواجهته لليهود في بلده توات ، وخروجه منها ، مهاجراً إلى بلاد السودان الغربي ، ومقابلاته للسلاطين والأمراء وفتاويه لهم التي ما زال معمولاً بها إلى اليوم ، ثم مقابلته للسيوطي . وأخيراً مؤلفاته . والله ولي التوفيق .

أولا : التعريف بالمغيلي

اسمه وكنيته ونسبه(١) :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المَغِيلي التلمساني التواتي المالكي ، من أهل تلمسان(٢) من أعمال المغرب ، ينتسب إلى قبيلة مغيلة(٣) بفتح الميم وكسر الغين وسكون الياء من قبائل البرابرة التبر وهم فرقتان ، أولاهما في المغرب الأوسط ، وثانيتهما التي ينتسب إليها المغيلي بالمغرب الأقصى من ضواحي فاس . والمغيليون من الأسر العلمية القديمة بسلا ، وما تزال بقية منهم فيها حتى اليوم(٤) .

مولده ونشأته وشبابه :

أغفلت أغلب المصادر تحديد مولده ، وإن كان القليل منها قد ذكر أنه كان حيا سنة ٨٨٦ هـ(٥). ولعل المغيلي لم يعتنِ كما اعتنى غيره بترجمة تاريخ حياته ، أو لعل جهاده المتواصل ونضاله المستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحمله في سبيل ذلك المشاق والصعاب ورحلاته في قلب القارة الأفريقية لنشر الإسلام ؛ ومحاربة المنكرات والبدع والأباطيل الوثنية ، نقول : لعل كل ذلك جعله ينسى أن يدون لنا شيئاً عن تاريخ حياته وخاصة طفولته وشبابه . ولكن نستطيع القول بأنه «عاش في شبابه بتوات (شمال وسط الصحراء) يعظ الناس ، وسرعان ما اكتسب احترامهم ومحبتهم وذاع صيته بينهم . وقيل إنه كان أكبر داعية للإسلام بين الطوارق الذين لا يزالون يذكرونه بكل تقدير ، وكان يلقب بالبغدادي مع أنه كان من أهل تلمسان كما سبق وأن ذكرنا»(٦).

أما مدينة توات(٧) التي عاش فيها المغيلي وشهدت سنوات جهاده الأولى ، والتي استولى عليها المنصور الذهبي(٨) زمن السعديين ، فقد كانت بمثابة القنطرة التي تعبر عليها وتجهز فيها ، وتنطلق منها أكبر القوافل التي تقصد السودان من جهة بلدان المغرب العربي . «وكان التواتيون في ذلك العهد ــ عهد الدولة السعدية ــ يتوافدون بكثرة على بلاد السودان وخاصة صنغاي . وعندما زار المغيلي صنغاي سنة ١٥٠٢ م . على أيام أسقيا الحاج محمد الأول وجد أبناء وطنه التواتيين يشكلون نسبة كبيرة من التجار الأجانب والأئمة والفقهاء في تمبكتو وغاو»(٩).

شيوخ المغيلي

أما عن شيوخ المغيلي الذي تتلمذ عليهم وأخذ عنهم فهم كثير ، منهم الثعالبي ، والسنوسي ، ويحيى بن بدير .. وغيرهم . وسوف نتكلم عن كل منهم بشيء من الإيجاز :

عبد الرحمن الثعالبي

هو العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، ذكر صاحب نيل الابتهاج(١٠) «قال عنه السخاوي ، كان إماماً علامة مصنفاً . اختصر تصنيف ابن عطية في جزأين ، وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين ، وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها » ... كما ذكر أيضاً : وقد عرّف هو بنفسه في مواضع من كتبه ، قال : رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن الثالث فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة ، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين ، أصحاب الفقيه الزاهد الورع عبد الرحمن الوغليسي ، وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس متوافرون يومئذ ... ثم دخلت تونس عام تسعة أوائل عشرة وأصحاب ابن عرفة متوافرون ، فأخذت عنهم كشيخنا واحد زمانه أبي مهدى عيسى الغبريني ، وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله الأبي ، وأبي القاسم البرزلي ، وأبي يوسف يعقوب الزغبي وغيرهم ... ثم رحلت للمشرق ، وسمعت البخاري بمصر على البلالي ، وكثيراً من اختصار الإحياء له ، وحضرت مجلس شيخ المالكية بها أبي عبد الله البساطي ، وحضرت كثيراً عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي ، وأخذت عنه علوماً جمَّة معظمها علم الحديث ، وفتح لي فتحا عظيماً ، وأجازني . ثم رجعت لتونس . ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث . أما تآليفه فكثيرة : كتفسيره الجواهر الحسان في غاية الحسن . اختصر فيه ابن عطية مع فوائد وزوائد كثيرة ، وروضة الأنوار في نزهة الأخيار ، وكتاب الأنوار في معجزات النبي المختار ﷺ ، والأنوار المضيئة الجامع بين الحقيقة ، في جزء ، ورياض الصالحين ، جزء ، وكتاب الدرر ، وكتاب الدر الفائق في الأذكار والدعوات ، والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة ، مجلد ضخم ، وشرح ابن الحاجب كما أسلفنا ، وقد جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون وابن خليل وغرر ابن عرفة مع جواهر المدونة وعيون مسائلها في سفرين ، وفي آخره جامع كبير نحو عشرة كراريس من القالب الكبير فيه فوائد ، وإرشاد السالك ، جزء صغير ، والأربعون حديثاً مختارة ، والمختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع ، وكتاب جامع الفوائد وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات ، وكتاب النصائح وكتاب تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن ، والذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز ، وكتاب الإرشاد في مصالح العباد ؛ وقد ذكر جميعها في فهرسته .

هذا وقد أخذ عن الثعالبي جماعة ، منهم : الشيخ العالم محمد بن محمد بن

مرزوق الكفيف ، والإمام السنوسي ، وأخوه لأمه علي بن التالوتي ، كما أخذ عنه صاحبنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي . وقد ولد الثعالبي عام ست أو سبع وثمانين وسبعمائة ، رتوفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة وعمره نحو تسعين سنة ، رحمه الله .

السنوسي[11]

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ، كان من أعلام العلماء . وتآليفه تدل على تحقيقه ، وغزارة علمه ، وعقائده[12] الخمس وشروحها من أفضل ما ألف في الإسلام ، وهي المقدمة ، والصغرى ، وصغرى الصغرى ، والوسطى ، والكبرى ، وشرح قصيدة الجزائري ، وشرح قصيدة الحوضي ، وصنف مكمل الإكمال شرح مسلم . وقد كان الشيخ ابن عمران موسى بن عقدة الأغضاوي ، إذا ذكر علم الكلام يقول : ما رأيت من غربل هذا العلم مثل هذا الرجل يعني السنوسي . وقد أشاد به الشيخ أبو محمد الهبطي بقوله : كلام السنوسي محفوظ من السقطات ، كما نذر الشيخ أبو محمد عبد الله الورياجلي على نفسه أن لا تفارقه عقيدة السنوسي الصغرى ، وأنه جعلها في جيبه على جلالة قدره وعظيم إنصافه . وقد اشترك مع ابن زكري في شيوخهما ، ومنهم العالم الرحال الأُبُلِّي — وهو أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب في الأزمنة المتأخرة — والشيخ ابن مرزوق شارح البردة ، والشيخ أبو العباس أحمد بن زاغ ، والشيخ أبو عبد الله بن الجلاب ، والشيخ أبو عبد الله بن العباس شارح لامية ابن مالك ، والشيخ أبو عبد الله اقرقار ، والشيخ أبو عثمان قاسم العقباني . وبالجملة فإن علماء تلمسان يذكرون الشيخ السنوسي ويعظمونه بالتحقيق والولاية كما يفضله علماء المغرب الأقصى من ناحية التحقيق والانقطاع إلى الله تعالى .

هذا ، وكان مولد السنوسي سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٨ م) وتوفي عليه رحمة الله سنة ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م)[13] أو كما ذكر البعض على رأس التاسعة[14] لهذا فقد اعتبر من جدد لهذه الأمة دينها[15] مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ .

يحيى بن بدير

هو يحيى بن بدير بن عتيق التدلسي أبو زكريا ، ذكره أحمد بابا في نيل الابتهاج[16] «الفقيه العالم العلامة ، قاضي توات ، أخذ عن الإمام ابن زاغو ، وعنه أخذ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، وتوفي بتمنطيطة سنة سبع وسبعين وثمانمائة» . وقد ترجم له المغيلي نفسه كما ذكر أحمد بابا في نيله .

تلاميذ المغيلي

تتلمذ على الإمام المغيلي الكثيرون ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : محمد ابن عبد الجبار الفجيجي ، والعاقب الأنصمني ، وأحمد بن عبد الواحد الونشريسي ، ولعل الأخير هو أكثرهم شهرة لذا سنبدأ بترجمته .

فهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي[17] . ولد بجبال ونشريس حوالي عام ٨٣٤ هـ . ونشأ بمدينة تلمسان ، حيث درس على جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن العباس ، شيخ المفسرين والنحاة . العالم المطلق كما يسميه الونشريسي وأبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني ، وولده قاضي الجماعة بتلمسان أبو سالم إبراهيم بن قاسم العقباني ، وحفيده القاضي محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ، ومحمد بن أحمد بن عيسى بن الجلاب ، ومحمد بن مرزوق الكفيف ، ومحمد بن محمد بن عبد الله اليفرني المشهور بالقاضي المكناسي[18] . ذكر ابن عسكر : «ولقد رأيته مرَّ يوماً بالشيخ ابن غازي بجامع القرويين ، فقال ابن غازي لمن كان حوله من الفقهاء ، لو أن رجلاً حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان باراً في يمينه ولا تطلق عليه زوجته ، وذلك لتبحر أبي العباس ، وكثرة اطلاعه وحفظه وإتقانه ، وكان من يطالع أجوبته وتآليفه يقضي بذلك»[19] .

هذا وكان للونشريسي كما لأستاذه المغيلي[20] واقعة مع السلطان أبي ثابت الزياني الذي غضب عليه لقوله الحق بدون خوف أو وجل ، وأمر بنهب داره فخرج إلى فاس ، ولقي من ترحيب وحفاوة فقهائها ، وإقبال طلبتها الشيء الكثير ممّا جعله ينسى الغربة ويتخذ من فاس موطناً له ولأبنائه من بعده . وقد أقبل الونشريسي في فاس على تدريس المدونة ، ومختصر ابن الحاجب الفرعي . وكان أكثر تدريسه للفقه فقط حتى ليقول من لا يعرف إنه لا يعرف غيره . وقد درس على يديه وتتلمذ ابنه عبد الواحد الونشريسي قاضي فاس ومفتيها ، ومحمد ابن محمد بن الفرديس التغلبي قاضي فاس وابن قاضيها ، ومحمد بن عبد الجبار الورتدغيري الذي عمَّر زاوية أبيه في فُكيك مدة طويلة بتدريس الفقه والحديث ، والحسن بن عثمان الجملي عالم تيوت الكبير بضاحية ترودانت ، وشيخ الفقهاء في ربوع سوس[21] . أمّا عن مؤلفات[22] الونشريسي فهي جدُّ كثيرة منها : المعيار المغرب عن فتاوي علماء أهل افريقية والأندلس والمغرب ، والمنهج الفائق بأحكام الوثائق ، وغنية المعاصر ، والتالي في شرح فقه وثائق الفشتالي ، وإيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ، والقصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب ، وإضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك ، ووفيات الونشريسي ، وفهرس الونشريسي ، وشرح الخزرجية في العروض ، وحل الربقة عن أسير الصفقة ، وتأليف في ترجمة محمد المقري ، وعدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق ، كما ألف بالإضافة إلى ذلك المبدي لخطا الحميدي ، ورسالة في المسائل الفقهية . والخلاصة أن الونشريسي قد فاق معاصريه وأساتذته في الدراسات الفقهية ، ومنهم : يحيى المازولي صاحب النوازل ، ومنهم العقبانيون ، والمرزوقيون ، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وعبد الرحمن الثعالبي وأحمد المغراوي ، ومحمد السنوسي ، وابن القنفذ[23] . وقد توفي الونشريسي رحمه الله في أواخر العشرة الأولى من القرن التاسع الهجري بمدينة فاس[24] . وقد ذكر البعض أنه توفي سنة أربعة عشر وتسعمائة للهجرة (١٥٠٨ م)[25] .

محمد بن عبد الجبار الفجيجي

ذكر صاحب الدوحة عنه الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الفجيجي : «كان فقيهاً عارفاً أديباً شاعراً ، ماجداً ، فاضلاً ، نزيهاً ، خيراً»[26] كما كان متوسعاً في الحديث ورواياته . قرأ على والده ، وعلماء فجيج قبل أن يرحل إلى فاس ، ثم تلمسان للأخذ عن ابن غازي ، وابن مرزوق الضرير ، وطبقتهما . وبعد رحلته العلمية استقر في مسقط رأسه يدرس مختلف العلوم الشرعية ، وبخاصة الحديث الذي كان له فيه باع طويل ، كما كان له سند عال يتصل به مسلسلات عدد من المحدثين المغاربة في فهارسهم طوال القرون التالية[27] . وقد توفي الفجيجي رحمه الله سنة ٩٥٦ هـ/١٥٤٧ م . أو ٩٥٨ هـ/١٥٤٩ م[28] م .

العاقب الأنصمني[29]

هو العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي . من أهل أكدس من صنهاجة .

قال عنه أحمد بابا: فقيه، نبيه، زكي الفهم، حاد الذهن، وقاد الخاطر، مشتغل بالعلم. في لسانه حدة، له تعاليق، من أحسنها تعليقه على قول خليل «وخصصت نية الحالف».

وقد اختصر أحمد بابا التنبكتي هذا التعليق مع غيره، وسماه: «تنبيه الواقف على تحرير، وخصصت نية الحالف». كما ألف الأنصمني جزءاً في وجوب الجمعة بقرية أنصمن خالف فيه غيره من شيوخ بلده، فأرسلوه إلى علماء مصر، فصوّبوه. وقد ألف أيضاً: الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير. وقد أجاب فيها عن أسئلة السلطان أسكيا الحاج محمد وغيرها.

هنا وقد أخذ الأنصمني عن الإمام المغيلي والإمام السيوطي عندما حج، وقد اختلف مع الحافظ مخلوف البلبالي. «وكان حياً قريباً من الخمسين وتسعمائة».

ثانياً: المغيلي واليهود

إن أوّل ما يتبادر إلى الذهن عندما نتكلم عن المغيلي هو خصومته مع اليهود ومحاربته إياهم، ووقوفه ضدهم.

وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن المغيلي واليهود علينا أن نقف برهة على أحوال اليهود بالمغرب زمن المغيلي[٣٠]: فقد تكاثر اليهود بالمغرب بعد سقوط مملكة غرناطة، حيث كانت محاكم التفتيش الإسبانية تمارس الاضهاد على المسلمين واليهود معاً، فقد كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون من الديانة الكاثوليكية. وقد تنصّر كثير من اليهود في تلك الفترة، ولكن السلطات زادت من اضطهاد تلك الفئة، لأنها اعتبرتهم منافقين انتهازيين، وهم أكثر شراً على البلاد من اليهود الباقين على يهوديتهم فلاحقوهم بأنواع التضييق والتعذيب، وأحرقوا منهم الآلاف.

لما كانت موجات الهجرات من الأندلس تقذف بمجموعات من المسلمين واليهود خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) إلى المغرب. وانتشر اليهود في مدن المغرب وقراه زمن السعديين من أقصى الشمال إلى تخوم الصحراء، وكما هي عادة اليهود، فقد استوطنوا بالمراكز التجارية التي تمر فيها أو تنتهي إليها قوافل الذهب الرابطة بين شمال افريقيا والسودان، واشتغلوا بالتجارة وصناعة الحلي وضرب النقود. ولمّا كانوا على جانب كبير من الثقافة ومعرفة باللغات الأجنبية، فقد أداروا كثيراً من معامل السكر التي أقامتها الحكومة المغربية آنئذ، وقاموا بأدوار الوساطة في الأعمال التجارية بين المغاربة والأجانب وفي عمليات افتكاك الأسرى. كما تولّوا أيضاً شئون أملاك الأمراء وكبار القوم، وقد فتح هذا الوضع أمامهم مجالات واسعة للاتصال بالطبقة الحاكمة من الأجانب على مختلف المستويات وتكوين ثروات طائلة[٣١]. هذا وقد ذكر عبد الله الهبطي[٣٢] في «الألفية السنية» تحذير الريفيين بالمغرب من اختلاط نسائهم بتجار اليهود المتكاثرين في الريف، وأورد الحسن اليوسي أن بعض جند المنصور قدموا من السودان، وقاسوا شدائد الفيافي والقفار، فلما لحقوا بإحدى القرى السوسية خرج منها نفر من اليهود، فحين بصر بهم جندي صاح قائلاً «مرحبا بوجوه الخير!» اعتباراً للنعمة التي لا تفارقهم بإقامتهم في الحاضرة موطن الخصب والرفاهية[٣٣].

هنا، وقد عاصر المغيلي هذه الفترة، ولاحظ سيطرة اليهود على الاقتصاد، وما خولهم ذلك من شغوف ودالة على رجال السلطة، واستخفافهم بالأحكام الشرعية، واحتقارهم لفقراء المسلمين. وبذلك فهم نقضوا عهد الذمة المبني على خضوعهم لسلطة المسلمين مقابل حمايتهم، والسماح لهم بالعيش بين أظهرهم[٣٤].

هذا وقد حدثت المواجهة بين المغيلي واليهود[٣٥]، حين قام عليهم عند استحداثهم بناء كنيسة لهم في توات، فقام بتحريض أهالي تمنقيطة وتوات على هدم كنائسهم، وبيعهم، وقتلهم، وإلزامهم الذل والصغار. وقد عارضه في ذلك قاضي توات الفقيه عبد الله العصنوني وتوقف أتباعه عن هدم الكنائس والبيع الخاصة باليهود لمعارضة بعض ذوي الأهواء لذلك. هذا وقد قام المغيلي والفقيه عبد الله العصنوني بمراسلة علماء مصر وتونس وتلمسان وفاس[٣٦] وذلك للفتيا وأخذ الرأي والمشورة في ذلك.

رسالة المغيلي «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»[٣٧]

وقد ألف المغيلي رسالته المسماة «مصباح الأرواح في أصول الفلاح». وهي كما قال في مقدمتها، جواب عن سؤال عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة والصغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان ... الخ.

وقد شرح المغيلي في الفصل الأول منها: ما يجب على كل مسلم ومسلمة من مجافاة اليهود.

وبيّن في الفصل الثاني ما يجب على أهل الذمة من الجزية والصغار، مُنبهاً إلى ضرورة منعهم من إحداث الكنائس. وهي مسألة كانت مثار نزاع كبير في الصحراء آنئذاك بقوله:

«لا يُمكّنون من إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، وإن أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهباً... ولا يستدل في هذا الزمن الكثير الشر بعمل الأمصار، وسكوت العلماء الأخيار، لأن الأمر اليوم، ومن قبله بكثير من أرباب الهوى، لا من أرباب التقوى...»

وقد تعرض في الفصل الثالث إلى ما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجور والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة، وخدمة السلطان كيهود توات، وتيكورارين، وتفيلالت، وكثير من الأوطان بافريقية وتلمسان، وقد حلت دماؤهم وأموالهم، وأولادهم، ونساؤهم، ولا ذمة لهم.

هذا وقد استدلّ المغيلي في آرائه هذه بمختلف الأدلة الفقهية من الكتاب والسنة، يقول المغيلي[٣٨]: قال تعالى:

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾[٣٩] والمؤمنون أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ... وقال تعالى **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله﴾**[٤٠] الآية، وهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحبابهم وقتلوا أبناءهم وآباءهم في مرضاة رسول الله ... فما أكْذَبَ قوماً يزعمون أنهم يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويحبونه، وهم مع ذلك يقربون من أنفسهم وأهليهم أعداءه، بل ويتولون أشد الناس عداوة له. حتى إنهم ما يأوون إلا اليهود إليهم، ويحاربون العلماء عليهم.

قال تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ..﴾**.

وقال تعالى **﴿وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ...﴾** إلى **﴿وهم**

صاغرون﴾[٤١]. أمر وجوب من الله تعالى لقتال اليهود والنصارى ، ولم يرفع السيف عن رقابهم إلا بشرط إعطاء الجزية وصغارهم ... وكلُّ ما يأخذه الخلائق من يهودهم بأيديهم ليس بجزية ، إنما هو رشوة على توليتهم ، وتصرف الجزية مصرف الفيء ... يشترط الله تعالى في أخذ الجزية منهم إلا أن تكون عن يد وهم صاغرون . أما الصغار فحاصله أن يلزموا الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم ... ولأجل ذلك لا يُمكّنون من إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين ... فلا خلاف بين علماء الأمة أجمعين أنه لا يحل إحداث الكنيسة» . ويضيف المغيلي قائلاً : «إن اليهود المذكورين كيهود توات ، ودرعا ، وتفيلالت[٤٢] وكثير من الأوطان بافريقية وتلمسان لا ذمة لهم .. وإنما تكون الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون» .

وختم المغيلي رسالته بقوله تعالى **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** (النور : ٣١) . **﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾** (آل عمران : ١٣٢) . **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ...﴾**[٤٣] .

آراء العلماء والفقهاء :

وقد اختلف العلماء والفقهاء في ردودهم على المغيلي ومواقفهم إزاءه ، فمنهم من وافقه ، ومنهم من عارضه بشدة ، ومنهم من وقف معه في البعض وعارضه في البعض الآخر . وكان ممن عارضوه الفقيه أبو محمد بن عبد الله بن أبي بكر العصنوني[٤٤] قاضي توات ، وكتب لفقهاء تلمسان وفاس ما نصه : «سيدي رضي الله عنكم ، وأدام بمنه عافيتكم ، ومتع المسلمين بطول حياتكم ، جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء ، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء ، فقد شغب علينا المغيلي وولده تشغيباً كاد أن يوقع في فتنة ، وذلك أني أفتيت بتقريرها ...»[٤٥] ثم قال ... «وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حل بها علماء فضلاء ، وقد شاهدوا الكنائس فيها وهم ممن يمتثل قولهم في الأحيان ، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة وعلى غلائفهم ، ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه ...»[٤٦] وأضاف العصنوني ... «واعلم سيدي أن الفجيجي في سؤله أهل الذمة بأوصاف توجب أن يكونوا ناقضين للعهد ونحن يا سيدي لا نعرفها ، ولا سيما يهود مدينة توات . وغاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائف لهم ما يوجب الزجر والأدب ، بل هم عند تفطنهم وزجرهم في غاية الذل والصغار»[٤٧] ... إلى أن قال ... «واعلم سيدي أن يهود توات لهم درب اختصوا به ولاسيما في خارجه إلا قليل منهم ، وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم ، جوابكم ولكم الأجر والسلام عليكم والرحمة والبركة»[٤٨] .

أما فقيه تلمسان ومفتيها أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري فقال ... «قلت وأنا لا أدري لهدم الكنائس المسئول عنها وجهاً ، أما أولاً فلأن الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا فيه لساغ لهم ذلك ، ولا يسوغ منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو إحياء ، إذ هم أهل ذمة على ما علم من حال اليهود في بلد مسلم ، إذ لا يعلم لهم فيها حرب ، فعقد الذمة لهم قديم . فقد نص مشايخ المالكية على جواز نقل الذمي جزيته من بلده لغيره من بلد الإسلام ، وذمة المسلمين واحدة في كل بلد من بلادهم ، فلا يتوقف في أمرهم»[٤٩] .. إلى أن قال « ... فكيف يستقيم هدم ما وجد مبنياً محوزاً بين الذميين المذكورين من الكنائس لها بأيديهم أمد طويل لا يعلم تاريخه ولا مانع من الإنكار عليهم عادة في تلك المواضع ولا في غيرها لما قد علم من حال اليهود في غالب أحوالهم فيما يجب القضاء بالملك لهم»[٥٠] .

وأجاب فقيه فاس ومفتيها الفقيه المحصل الإمام أبو مهدي عيسى بن أحمد الملواسي بما نصه « ... إن منزلة توات وغيرها من قصور الصحراء هي كلها ديار إسلام ، فلا ينبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار ، وإن قال به جماعة من العلماء ، إلا أن يكون شرطاً لهم في عقود جزيتهم فيوفى لهم بما عهد لهم في جزيتهم ...»[٥١] .

أما شيخ الجماعة أبو عبد الله بن غازي فقد أنصفه وكتب له على ظهر كتابه «هذا كتاب جليل صدر عن نصل عليل ، وعلم بالصواب كفيل ، وصاحبه غريب في هذا الجيل ، بيد أنه أطلق الكفر على التضليل . ومراده بقوله أطلق الكفر على التضليل أن المغيلي بنى قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾** ، في حكم التكفير ، وهو تضليل على رأي الشيخ ابن غازي ، لأن الكفر ضد الإيمان وهو التكذيب»[٥٢] .

أما أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي[٥٣] ، فقد أثنى عليه وكتب له كتاباً ذكر فيه « ... من عبيد الله سبحانه محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان ، وآخر الدهر من فريضة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر التي القيام بها في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية ، والغيرة الإسلامية ، وعمارة القلب بالإيمان ، السيد أبي عبد الله محمد ابن المغيلي بن عبد الكريم ، حفظه الله تعالى بحفظ القرآن العظيم ، أما بعد : فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية ، والشجاعة العلمية الإسلامية من تغيير إحداث اليهود دمرهم الله تعالى وأذلهم كنيسة في بلاد الإسلام ، وحرصكم على هدمها ، وتوقف أهل تمنقيطة فيه من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء ، فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه ، فلم أر من وفق لإجابة المقصد ، وبذل وسعه في تحقيق الحق ، وشفاء الغلة ، وخرج على أهل الإيمان في المسألة ، وما يأتي بقوة إيمانه ونصوع إيقانه بما يشير إليه الوهم الشيطاني ، ولم يلتفت لمداهنة ممن تتقى شوكته سوى الإمام القدوة الحافظ المحقق علم الأعلام الحجة أبي عبد الله التنسي[٥٤] متّع الله به وجزاه خيراً بما فيه من أهل لديانة الحق ونشر أعلامه»[٥٥] .

هذا وقد أجاب أيضاً في هذه المسألة غير هؤلاء الذين استعرضنا آراءهم باختصار شديد ، «الرصاع مفتي تونس ، والقاضي أبو زكريا يحيى بن أبي البركات الغماري ، وعبد الرحمن بن سبع التلمساني»[٥٦] .

موقف المغيلي[٥٧] :

ما إن وصل للمغيلي جواب التنسي والسنوسي حتى أمر جماعته فشمّروا عن سواعدهم ، ولبسوا آلات الحرب ، وقصدوا كنائس اليهود ، وأمرهم بقتل كل من عارضهم دونها ، فهدموها ، ولم يعارضهم فيها أحد ، وكما قيل «لم يتناطح فيها عنزان» . ثم قال لهم : من قتل يهودياً فله عليّ سبع مثاقيل .

مناظرة المغيلي والعلماء[٥٨] :

ولما اختلف العلماء على المغيلي كتابة فقد أصرّ على مناظرتهم وجهاً لوجه ، فقدم عليهم من توات إلى فاس ، ومعه مماليكه السودانيون الستة ، ويقال إنهم كلهم كانوا فقهاء يحفظون مدونة البرادعي عن ظواهر قلوبهم . وقد رحب به العلماء خارج مدينة فاس بكل مظاهر الإكرام والإجلال . غير أنه بادرهم بفتح

المناظرة والمناقشة طالباً من أحد مماليكه وكان يدعى الفقيه ميمون ، أن يتكلم معهم في مسألة اليهود ، فأنف الفقهاء من الكلام مع المملوك ، ورجعوا إلى ديارهم آسفين غاضبين .

المغيلي والسلطان :(٥٩)

فلما كان من الغد ركب العلماء إلى السلطان ودخلوا عليه ووشوا بالمغيلي عنده وحذروه منه قائلين : إن هذا الرجل مُراده الظهور والملك ، وليس مراده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فلما دخل عليه الشيخ المغيلي تكلم معه على نصرة الدين ، ومسألة اليهود ، فابتدره السلطان بقوله إنه يتعدى على هذه الديار ، وعليه قصد غيرها ، فخرج المغيلي غضبان أسفاً ، وترك البلد مهاجراً إلى الصحراء .

أثر ذلك على المغيلي(٦٠)

كان لذلك الموقف من السلطان على المغيلي تأثيراً كبيراً ، إلى جانب أنه كان ناقماً أصلاً على موقف أمراء المغرب العربي لتخاذلهم أمام الغارات الأجنبية وانحلالهم داخلياً . وقد ذكرنا فيما سبق أن الإمام المغيلي كان معاصراً لهجرة المسلمين من الأندلس، وسقوط غرناطة ، كما كان على مسمع مما حدث في المشرق من جور المماليك وظلمهم . نقول : إن كل هذه المواقف جعلت المغيلي ناقماً ، وزاده نقمة على نقمة موقف السلطان منه وطرده من البلاد . لذا أمل في بلدان غرب أفريقيا خيراً ، ونشد الأمير الصالح عندهم ، فمسئولية الحاكم عنده مسئولية خطيرة ، وليست كما توهم أمراء بلاده ميلاً إلى الهوى ، وتهاوناً بالواجبات الشرعية ، وانحرافاً عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

ثالثاً : المغيلي في بلاد السودان الغربي(٦١)

(أ) رحلاته :

(١) في الصحراء

هاجر المغيلي بعد ذلك إلى الجنوب قاصداً بلاد السودان الغربي ، أو ما يسمى ببلاد غرب افريقيا . وفي طريقه زار بلاد أهير أو أير(٦٢) Air ثم دخل بلاد تكدا أو تكدة(٦٣) Takedda ، واجتمع بسلطانها ونشر العلم بين أهلها ، وقرأوا عليه ، وانتفعوا به .

(٢) في بلاد كانو

رحل المغيلي بعد ذلك إلى بلاد كانو Kano ، واجتمع بسلطانها أبي عبد الله محمد ابن يعقوب (محمد رنفا) Mohammad Runfa الذي حكم تلك البلاد في الفترة من سنة (١٤٦٣ — ١٤٩٩ م) .

هذا وقد كتب له الإمام المغيلي رسالته المشهورة(٦٤) التي ترشده في أمور سلطنته ، وتوضح له الطريقة الإسلامية الصحيحة في الحكم .

وإلى جانب ذلك فقد قرر لأهل كانو كثيراً من أحكام الشرع وقواعده . كما أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وعلمهم أمور دينهم الإسلامية الصحيحة .

وعلاوة على ذلك ، فقد تولى الإمام المغيلي القضاء والإفتاء بكانو . وأخذ عنه علماؤها ، واستفادوا منه الكثير ، حيث أحضر معه إلى كانو كتب الفقه المالكي ، ومنها الموطأ للإمام مالك بن أنس ، والمختصر لخليل بن إسحق ، ورسالة أبي زيد القيرواني(٦٥) . هذا وتذهب بعض البيانات والحقائق إلى أن الإمام المغيلي قد ظل نجمه لامعاً في كانو خلال السنوات الأخيرة لحكم محمد رنفا ، والسنوات الأولى لحكم خليفته عبد الله (١٤٩٩ — ١٥٠٩ م)(٦٦) .

(٣) في بلاد كشن :

رحل بعد ذلك المغيلي إلا بلاد كشن أو ما يسمى الآن بكاتسنيا(٦٧) . وقد ظل بها مدة طويلة ، وأفاد أهلها ، وعقد لهم كثيراً من الدراسات الفقهية والقرآنية ، وقد تأثر به السلطان محمد كورا Muahmmdu Korau الذي كان أول حاكم مسلم ظل في الحكم لمدة خمسين سنة شن الحرب فيها على ممالك النوب المتاخمة في ذلك الوقت لحدود كاتسيا . واهتدى للإسلام وتأثر أشد التأثر بتعاليم الإمام المغيلي الذي زار كاتسنيا سنة ١٤٩٣ ومعه مجموعة كبيرة من الدعاة الوعاظ(٦٨) .

(٤) في بلاد صنغاي

بعد ذلك رحل الإمام المغيلي إلى بلاد التكرور ، ووصل إلى جاو أوغاو Gao عاصمة سلطان صنغاي عام ١٥٠٢ م(٦٩) الحاج محمد أسكيا al-Hajj Mohammad Askia ، وجرى على طريقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وألف له تأليفاً أجاب فيه عن مسائل ، وكان له تأثير على أهلها جد عظيم .

وسوف نعرض الآن لمؤلفات الإمام المغيلي رحمه الله التي كتبها لسلطان كانو بالتفصيل إيثاراً للفائدة والتي رسم فيها له أركان الدولة الإسلامية الصحيحة والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها حسب الشريعة الإسلامية الغراء . كما سنعرض وصية له فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام . وأخيراً سنعرض في شيء من الإيجاز لإجاباته عن أسئلة سلطان صنغاي الحاج أسكيا محمد في معاملة جيرانه من الكفار التي كانت سبباً في فتح بلادهم ونشر الإسلام بها .

ب — رسائله :

أولاً : رسالة المغيلي لسلطان كانو في شئون الإمارة(٧٠) .

«أما بعد : وفقك الله للتقوى ، وعصمك من نزعات الهوى ! فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله ، فما أعظم فضلها ، وما أثقل حملها ، إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى ، وإن جار ذبحه الهوى ، بقطع أوداج التقوى . فعليك بتقوى الله ﴿**كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾(٧١) .

الباب الأول : يجب على الأمير حسن النية في الإمارة ، ويجب على كل ذي عقل وديانة أن يبتعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها فيتوكل على الله فيها ويستعين به في أمره كله ، وينوي أن ينال بها رضى الله في إصلاح أمور عباد الله الدينية والدنيوية ويعلم أن الله ما ولّاه عليهم ليكون سيدهم ، بل ليصلح لهم دينهم ودنياهم ، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية .

الباب الثاني : فيما يجب على الأمير من تحسين الهيئة في مجلسه بإظهار حب الخير لأهله ، وبغض الشر وأهله ، وفي لباسه أن يلبس المباح للرجال غير متشبه بالنساء ، ولا مفسد لبيت المال ، ولا يتزين بذهب ، ولا فضة ، ولا حرير ..

وفي دائرته بأن يقرب منه الأخيار والعلماء والأتقياء والصلحاء ويبعد عنه الأشرار والجهلة والفجار ....

الباب الثالث : فيما يجب عليه من ترتيب مملكته على ما يتمكن من صلاحها ، لأنه راع عليهم جميعاً ، وهو مسئول عنهم ولا يتمكن على ذلك بنفسه بل بالنواب ، فمنهم :

وزراء : أي الأعيان في سياسته جميع الرعية لا يخشون إلا الله .

وأئمة : يوالون على البلاد البعيدة عنه يجمعون له الناس حين يحتاج إليهم .
وقضاة : أي الذين هم تقاة يفصلون الخصومات .
ومحتسبون : أي أهل الحسبة الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، ويكشفون أمور القرية وغيرها ويصلحون ما فسد .
وشرط : أي أعوانه في تنفيذ الأحكام .
وعقلاء : يشيرون له في الأمور قبل عامة الناس .
وأمناء : يقبضون الأموال ويصرفونها إلى الرعية في مصارفها .
وكتّاب : حسّاب يحفظون جميع الأشياء .
ورسل : يكونون سفراء في بلاد الإسلام .
وجساس : يكونون عيوناً في بلاد الأعداء .
وحفظة : يحفظون الأمير في بلده نهاراً .
وعساس : يحفظونه ليلاً .
وعلماء : تقاة في العلم والتقوى يرشدونه في جميع أموره .
وشفعاء : يشفعون من اقتضى الحال بشفاعته من ذوي المروءات إذا عثروا في التعزيرات لا في الحد والحقوق .
ومنظمون : أي الصلحاء لوجه الله تعالى .
وعمال : يجبون حق الله كالزكاة وبيت المال .
وحصن : حرز حصين مكفي بالخزائن من طعامه وشرابه وسوقه .
وخيل : أفراس حديدة تعد من بيت المال في كل قرية يحبسها للجهاد .
وظهور : زاد يعد من بيت المال لحمل الفقراء إلى الجهاد ونحوه .
ورجال : شجعان حاضرة في كل أوان عند الأمير لأمور تعرض .
وعدد : من آلات الحرب ونحوها متبنية قوية .
وأطباء : أمناء يطببون الناس لئلا يحتاجوا إلى الخروج إلى غير بلاده .
وأمراء الجيوش : الذين ينوبون عنه في سد الثغور ، وترتيب الجيوش ، وحفظ بيضة الإسلام ، واستعداد البلغاء الذين ينشطون القلوب ويقبحون الهروب .
وعرفاء الحروب : الذين برأيهم تتكشف الكروب ، فإن الحروب خدعة ليس بكثرة ولا سرعة .

الباب الرابع : في التزام الحذر في الحضر والسفر ......
وإظهار الرغبة في الأبطال والعدد وحب الخروج إلى الجهاد وبغض المقام في الديار بلا نهوض إلى الأعداء . ويجب عليه الحذر في طعامه وشرابه وفراشه ، وفي مجلسه ألا يفارق السلاح وأهل الأمانة والصلاح من الشجعان الرماة والفرسان ، وليس وقت الخوف كوقت الأمان ، وفي سره أن يكتمه حتى يتمكن وفي النمّامين بعدم قبول قولهم . وفي المتهمين ألّا يغتر بظواهر رسل الهدية آمنهم عيوناً وأصدقهم كيساً .

وفي الحصون القريبة من الأعداء أن يزيل كل حصن لم يتمكن من أن يسكن أمناء فيه ، لئلا يستند أعداؤه إليه ، وليخف من الحبل لئلا تلسعه الحية .

الباب الخامس : فيما يجب كشفه من الأمور التي يجهل في رعيته بالعدول والأمناء ، كأمور المحبوسين والأوصياء على الأيتام ، وحجر المهمل من يتيم وسفيه يأمر برفع أمره إليه ، وكأمور الغياب وإرث الأموات وأمور بيت المال وأرزاق العمال على الاستبصار والورع لا على الإضرار والطمع ، وكأعمال العمال ، وما يزيد لهم فيها من الأموال ، فمن ظهر منه تقصير زجره أو ظلم عزله أو شكوى منه أبدله إن وجد بدله ، وإلا انتقد من الأمناء ، ومن زاد له مال على ما يعطى أخذه وجعله في مصالح المسلمين ، وإن شك فيه قاسمه ، وليكن عليهم كراع الماشية بين الأسود الضاربة فمن عمال السوء جميع الفساد .

الباب السادس : فيما يجب عليه من العدل والإحسان فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره ، سواء كان الحق عليه أو على غيره من رعيته ، فمن لا يأخذ للرعية حقوقهم من بعضهم ليس بعدل .

وأما الإحسان فهو أن يتفضل من نفسه ، أي يزيد لكل من أراد أن يحسن عليه زيادة على حقه مما كان من نصيبه لا ما كان نصيب غيره .. ومن العدل أن يسوي بين الخصمين في جميع أمورهما . وأن لا يقبل من الشهود إلا من كان عدلاً ، رضي فيما لا تهمة له فيه .

ولابد للأمير أن يجلس في كل يوم للناس بحيث يصل إليه جميع الناس ، ولا يكفيه القضاة والعمال ، لأن شكوى الرعية قد تكون منهم ويجب عليه أن يزجرهم .

الباب السابع : فيما يجب عليه من جبي الأموال من وجوه الحلال **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾** (الطلاق : ١) وملاك السلطنة هو الكف عن أموال الناس ، والطمع في أموالهم خراب المملكة ، فمن الأموال التي حلّل الله للأمراء قبضها وصرفها : زكاة العين والحرث والماشية والفطر والمعدن وخمس الغنيمة والركاز وأموال الجزية والصلح ، وما يؤخذ من تجار أهلها وتركة لا وارث لها ، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلا حرب .

ومن الظلم الرشي لسلطان وقاض وعامل ، وهو أن يأخذ من أحد الخصمين أو من كليهما شيئاً قبل الحكم أو بعده . وكذا قبول الهدية من الرعية فإنه باب كل بلية .

ومن الظلم العقوبة بالمال ، كأخذ مال السارق والزاني وهي حرام على كل حال ، إلا إذا كانت جناية الجاني متعلقة بذلك كلية خلط بالماء فالصدقة به حلال ، ومن الظلم المكس وهو حرام بإجماع ، ومن الظلم أخذ العشر أو غيره كالنصف والثلث من أرباب الحقوق والتركات ، وهو حرام بإجماع المسلمين ونصوص الآيات .

الباب الثامن : في مصارف أموال الله **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾**(٧٢) **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**(٧٣).

فمال الله قسمان : قسم زكاة مصارفه الأصناف الثمانية التي في القرآن ، ويجب صرفها في محل الوجوب ناجزاً إن وجد به مستحق ، وإلا نقلت لأقرب مكان فيه وإن كان في محل وجوب بعضها ، ونقل للأحوج بعضها بحسب الاجتهاد ، وأجرة نقلها من الفيء لا منها . ولا يجب تعميم الأصناف كلها ، بل إن أخرجت لبعضها أجزأت إلا أن تعطى للعامل فقط فلا تجزى ، ويقدم الأهم فالأهم ، والأحوج فالأحوج ، ويفضل بعضها على بعض بقدر الحاجة ، ومصرف زكاة الفطر صنفان الأولان فقط أي الفقراء والمساكين ولا يعطى حارسها منها .

والقسم الثاني : الفيء كخمس الركاز والمعادن والغنيمة وما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الصلح ، وما يؤخذ من تجارتها ، وخراج الأرضين وتركة لا وارث لها ، وما أفاء الله من أموال الحرب بلا حرب ، فصرف ذلك كله حكمه إلى الإمام يصرفه في المصالح بالتقوى لا بالهوى ، وأحق الناس بالتوسعة عليه من مال الفيء حماة الدين من قضاة المسلمين والعلماء الأتقياء المرشدين ، وأهل كل بلد أحق بفيئه من غيرهم ، إلا أن تنزل بغيرهم حاجة فينقل إليهم شيء منه بعد إعطاء أهلها ما يغنيهم على أرجح النظر ، فإن كان غير أهل بلد المال أحوج من أهل بلده نقل لهم الأكثر بحسب النظر .

وسيرة أئمة العدل في قسم الفيء أن يبدأ الإمام بسد ما لا غنى عن سده من حصن وصلاح وغيره ، ثم بأرزاق العلماء والمقاتلين ، ثم بالفقراء الأحوج فالأحوج ، حتى يعمهم بأجمعهم من ذكر أو أنثى ، وصغير وكبير ، فإن اتسع المال أبقي منه في بيت المال شيء لما يحدث من النوائب وبناء المساجد ، وفك الأسارى ، وقضاء الديون ، ومؤنة تزويج العزاب ، وإعانة الحجاج ، وغير ذلك من وجوه الاحتياج . فهذه سنة صرف أموال الله للمسلمين» .

وبعد أن استعرضنا رسالة المغيلي المشهورة لأمير كانو «فإن بعض العلماء يربط بين هذه الرسالة ورسالة ميكافيلي المصلح الإيطالي «الأمير» مع فارق جوهري في أن رسالة الأخير اتسمت بالكثير من التشاؤم»[٧٤]، ولعلنا نضيف إلى ذلك أن نظرة المغيلي للإصلاح أكثر واقعية وأكثر فهماً لطبيعة المجتمع الأفريقي وطبقاته المختلفة وعاداته وتقاليده ، فهي نظرة مصلح اجتماعي من الدرجة الأولى ، ناهيك عن نظره الثاقب الفاهم والمدرك ، والواعي بالشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي ، وفتاويه الصائبة التي كانت كلها الأساس المتين لقيام المجتمع الأفريقي المسلم الواعي .

ثانياً : وصيّة المغيلي لسلطان كانو فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام[٧٥]. (كتبها سنة ٨٩٧ هـ) .

من عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كنو .... أما بعد فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام ، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه أنه لا بد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية ، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده ، مع إمكان ردعه عنه أو لعنه أو حبسه ، أو ضربه أو صلبه ، أو قتله أو نفيه ، أو نهب ماله أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية .

.... وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة والدم ، وغير ذلك من المحرمات ، وامنع الكفار في بلادك من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل ، وغيرها من المحلات ، فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر في شهر رمضان ، أو زنا ، أو غير ذلك من المنكرات ، وأنواع ضلالهم ، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل فعلهم ضعفة العقول من العامة والنسوان والصبيان ، لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى ، وأصلهم كان كذلك . وقد قال العلماء : الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب .

فانههم عن ذلك وأشهر إنكاره وتوعد بالعقوبة لمن فعله ، ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله ، وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلّا بقطع يده أو رجله أو صلبه أو قتله ، أو غير ذلك من الروادع الشرعية فافعله لأنه ظالم والظالم أحق أن يحمل عليه .... فلابد من إزالة الفساد على كل حال . وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى ، فدرء المفسدة الكبرى أولى ، وإن الناس في حكم الله ورسوله سواء ، فلا تخرج من ذلك عادلاً ولا عابداً ، ولا شريفاً ولا أميراً ، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى ، وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية ، وكل ما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك ، وإذا نسيت شيئاً منه فلا تنس أن من غير حكم الله فقد كفر ، ومن تغيُّرِ حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضياً لأنه يحكم بالظلم وهو يقول : هذا هو الشرع . فإن كان لابد أن تجعل بعض الظالمين حاكماً فلا تجعله باسم القاضي ، فإن القضاء من صفات رسول الله ﷺ لا يوصف به إلا عالم تقي لا يأخذ الرشا ولا يحكم بالهوى . الله ، الله ، الله ، وهذه الوصية هي أوكد جميع الوصايا ، فطهر مقام الشريعة من خبث لأنه مقام رسول الله ، لعل الله أن يغفر لك ذنوبك ، والسلام على من اتبع الهدى .

ثالثاً : إجابات المغيلي على أسئلة الحاج محمد أسكيا سلطان صنغاي[٧٦]

وقد وجه السلطان أسكيا محمد سلطان صنغاي أو سنغي أسئلة عديدة إلى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، وقد أجابه برسالة قيمة أوضح له فيها الفتاوى الإسلامية في الموضوعات والمشاكل العديدة التي كانت تواجه الحكام المسلمين في بلدان السودان الغربي حينئذ .

وقد سأله الحاج محمد أسكيا عن أحوال الممالك المجاورة لبلاده وملوكها ومنهم سن علي :

«قال الحاج أسكيا محمد : كانت أمة من بلد فار ، وهم قوم كفّار ، يعبدون الأصنام من الأشجار والأحجار ، يتصدقون لها ، ويسألون حوائجهم عندها ، فلا يغزون حتى يشاوروها ، وإن قدموا من سفر قصدوها ونزلوا عندها ، ولتلك الأصنام سدنة يخدمونها ، وكهان وسحرة يقصدونها كذلك ، وكان سن علي من صغره إلى كبره كثير الإقامة عندهم ، حتى شب بينهم يطبع بطبائعهم في شركهم وعوائدهم ، ثم بعد موت أبيه طلب السلطنة فقام علي سغي وقاتلهم حتى غلبهم وتسلّط عليهم كما كان أبوه قبله من ملوك سغي ، إلا أنه لمّا نشأ من صغره إلى كبره بين أخواله وتطبع بطبائعهم كان من صفته أن ينطق بالشهادتين ونحوهما من ألفاظ المسلمين ، ويصوم رمضان ، ويتصدق كثيراً بالذبائح وغيرها عند المساجد ونحوها . ومع ذلك يعظّم بعض الأشجار والأحجار بالذبح عندها والصدقة والنار بها وطلب قضاء حوائجه منها ، ويستعين بها والسحرة والكهان في الأمور كلها ...»[٧٧].

وأجاب الإمام المغيلي عن سؤال الحاج أسكيا محمد الذي يتبين منه بوضوح حالة البلاد الإسلامية المجاورة التي تخلط بين العادات الوثنية الباطلة وبين ادعائهم الإسلام ، وممارستهم له قولاً لا فعلاً وخلطاً بلا تمييز .

قال : «وأمّا القوم الذين وصفت أحوالهم فهم مشركون بلا شك ، لأن التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقل من ذلك ، فلا شك أن الجهاد فيهم أولى وأفضل من الجهاد في الكفار الذين لا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله»[٧٨].

وأضاف المغيلي : «لاشك أنهم من أعظم الظالمين والفاسقين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، فجهاد الأمير أسكيا فيهم وأخذه السلطنة من أيديهم من أفضل الجهاد وأهمّه ، وأما أهل القبلة أهم كفار أم لا فلا يكفّر أحد بذنب من أهل القبلة ... فالذي ذكرتموه من حال سن على علم على الكفر بلا شك ، فإن كان الأمر فيه كما ذكرتموه فهو كافر »[٧٩].

وشكا الحاج أسكيا محمد من أن ملوك السودان قد فرضوا ضريبة غير شرعية (المكوس) وأعدوا مظالم أخرى ، «فمنهم من يتعرض للقوافل الواردة على بلده وينزلهم ويفتش حمولتهم ، ويقوّم ما فيها ويأخذ منها الذي زعموا أنه زكاة ومنهم من يظلمون الناس ، فأينما لقوا بضائع المسلمين أخذوها ، وإذا مات رجل غريب في بلادهم يأخذون ماله يتاماه حاضرين أو غائبين»[٨٠].

وأضاف الحاج أسكيا محمد إنّ لهؤلاء الحكام « فقهاء اتخذوهم لذلك ، فكلما أرادو أن يفعلو شيئاً أحضروهم وقالوا لهم : أليس هذا حلالاً ، فيقولون : بلى ، ويوافقونهم على ذلك»[٨١]، « ومع هذا كله فإن لهؤلاء العلماء كتباً يدّرسونها وحكايات وأخباراً يتكلمون في دين الله ، ويزعمون أنهم ورثة الأنبياء ،

وأنه يجب علينا الاقتداء بهم ، وأنا أطلب من الله تعالى أن يعينني على حمل هذا الثقل الذي أبت السموات والأرض على حمله ، وأنا أطلب منك أن تفتيني بما أعلمك الله في هؤلاء القراء : هل يجوز أن نعمل على قولهم في دين الله»[٨٢] ؟ .

وقد أجاب المغيلي عن المسألة الأولى ، وهي فرض ضريبة غير شرعية ، بقوله : «فمن ثبت عليه أنه حلّل المكس ، ونحوه من أكل أملاك الناس بالباطل ، وجب الحكم بكفره»[٨٣].

وطلب منه جهادهم قائلاً «فأجبهم إلى مبايعتك ، والدخول تحت طاعتك ، فإن أبوا فأجبرهم عليه ما استطعت ، وجاهدهم بالسيف حتى يدخلوا كلهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله ...»[٨٤].

أما المسألة الثانية وهي ما وصفهم بعلماء السوء فقد أجاب المغيلي بقوله «... وقال رسول الله ﷺ ما من وال إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً ، فمن وقي شرهما فقد وقي .. فإذا علمت ذلك أيها الأمير فعليك بأمرين ، الأول : أن تبعد عنك أهل الشر وأن تقرب منك أهل الخير ، لأن الغالب على الناس التأنس بقرينه ، والميل إلى طبعه وتزيينه ، فمن قرّبته من نفسك فقد مكنته من أذنك ، ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك . فلا تقلد في دينك إلا من ثبت أنه عالم تقي»[٨٥].

وعن أصل هؤلاء العلماء الموصوفين بعلماء السوء Ulmà al-Sùi' أكد المغيلي «أنهم عجم لا يفقهون من كلام العربية إلا قليلا من كلام عرب بلادهم على تصحيف وتحريف وعجمية عظيمة ، بحيث لا يعرفون مقاصد العلماء»[٨٦] وقد تبين بالكتاب والسنة وإجماع العلماء أن كثيراً من قراء هذه الأمة إنما هم العلماء السوء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، فهم لصوص الدين وأضر على المسلمين من جميع المفسدين»[٨٧]. «يقول أسكيا محمد إنه لا يجد من يوليه المناصب السياسية والمراكز الدينية ، فهل يجوز أن ينصب هؤلاء ، ويترك المسئولية الشرعية عليهم ؟ ويطلب منه أن يبين له من يصلح لذلك شرعاً !»[٨٨].

ويقول المغيلي مجيباً « ... أنه لا يلتبس حال أهل الذكر بحال العلماء والسوء أصلاً لا قولاً ولا فعلاً ، بل لابد من أن يجعل الله لكل هاد من أهل الذكر أنواراً في كل عصر من الأعصار .. ولذلك روي أن في رأس كل قرن يرسل الله عالماً للناس يجدّد لهم دينهم ، فلابد لهذا العالم في كل قرن أن تكون أحواله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بخلاف أحوال علماء عصره ، فيكون بذلك غريباً بينهم لانفراده بصفة أحواله وقلة أمثاله»[٨٩].

وأضاف «.... وجب عليك أن تطلب عالماً من أهل الذكر حيث كان ، لأن أهل الذكر في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية ، يجب الاعتماد عليهم والسعي إليهم»[٩٠].

ويحكي الحاج أسكيا محمد للإمام المغيلي عن المحاربين الذين حاربهم ووجد أن وراءهم مسلمين يساعدونهم خوفاً منهم فقال : «جوابكم في المحاربين معهم أناس يزعمون أنهم مسلمون وهم ساكنون معهم مأذون لهم في الرحيل والنزول ، ويخالطونهم في كل شيء من أحوالهم وأمورهم ، فلما غزونا أولئك المحاربين جمعوهم ، وجاءوا بهم إلينا ، فقالوا نحن مسلمون ، فقلنا لهم كيف يجتمعون مع هؤلاء المحاربين ، فقالوا : ما نقدر على الخروج عليهم ، نخاف أن يأخذونا ، وإن خرجنا يأخذنا غيرهم ، لأننا مساكين لا نقدر الدفع عن أنفسنا ...»[٩١].

من ذلك كله يتبين لنا أن حكام السودان الغربي قد فتحوا بلادهم ووسعوا مجالسهم لعلماء الإسلام في شمال القارة شرقها وغربها ، فإلى جانب المغيلي نجد الفقيه محمد مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (المتوفى ٩٤٠ هـ) ، والفقيه محمد ابن أحمد التازختي ، والإمام السيوطي ، كل هؤلاء وغيرهم ارتحلوا وتنقّلوا ودرسوا وأفادوا ونقلوا العلوم والثقافة العربية والإسلامية إلى بلدان غرب افريقيا ، وإن كانت مؤلفات علماء المغرب قد تداولت وانتشرت أكثر من مؤلفات علماء المشرق . بل إن مؤلفات مثل مؤلفات المغيلي والونشريسي قد عرفت وتداولها المثقفون في السودان الغربي ولم تعرف في المشرق على ذلك العهد[٩٢].

رابعاً : المغيلي والسيوطي[٩٣]

تقابل العالمان الجليلان ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في بلاد السودان ، ولعل ذلك كان في (كاشنة) ، أو في (تكلة) أو في (تمبكتو) . وقد جرت بينهما مناظرة[٩٤] في تحريم المنطق من جانب السيوطي وفي تحليله من جانب المغيلي .

وقد كتب المغيلي للسيوطي فيه قوله :

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة ... وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلا عبارة ... عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى ... دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله
أرني هداك الله منه قضية ... على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وذمه ... رجال وإن أثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم ... دليلاً على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ... به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ... وكم عالم بالشرع باح بفضله

وقد أجابه السيوطي قائلاً :

عجبت لنظم ما سمعت بمثله ... أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجّب مني حين ألفت مبدعاً ... كتاباً جموعاً فيه جم بنقله
أقرر فيه النبي عن علم منطق ... وما قاله من قال من ذم شكله
وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل ... فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقد قال محتجاً بغير رواية ... مقالاً عجيباً نائياً عن محله
ودع عنك ما أبدى كَفورٌ وبعد ذا ... خذ الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى ... علوم يهود أو نصارى لأجله
يجوز به علماً لديه وإنه ... يعذب تعذيباً يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صاحبه ... وقد خط لوحا بعد توراة أهله
وكم جاء من نهي اتباع لكافر ... وإن كان ذاك الأمر حقاً بأهله
أقمتُ دليلاً بالحديث ولم أقم ... دليلاً على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له ... لدي ثناء واعتراف بفضله

أما سبب[٩٥] هذه المناظرة بين السيوطي والمغيلي فمرجعه إلى أن المنطق في ذلك الوقت كان الأخذ به مثار جدل كبير بين العلماء . فقد نهى عنه السيوطي وعن الأخذ به ، وذكر آراء العلماء في ذلك ، كما ذم المسلمين الذين يأخذون بعلوم اليهود والنصارى ، كما نهى أيضاً عن تقليد الكفار في ذلك . أما المغيلي فقد كان رأيه عكس ذلك ، فقد ذكر أن المنطق هو الحق أو هو المؤدي إليه ، وأن أخذه من الكفار جائز لأن معرفة الناس بالحق هو المبدأ المعتمد ، وليس معرفة

الحق بالناس . كما أن مؤلفات المغيلي المختلفة ومنها تنبيه الغافلين عن فكر الملبسين ، ومنح الوهاب ، هي دليل ثابت على تحرره العقلي ونقده لأدعياء التصوف وقتئذ .

خامساً : آخر أيام المغيلي

أثناء إقامة المغيلي عند الحاج اسكيا محمد في صنغاي ، بلغه نبأ قتل ولده من قبل اليهود بتوات[٩٦]، وقد انزعج المغيلي لهذا النبأ البالغ القسوة . «وقد طلب المغيلي من الحاج أسكيا محمد القبض على اليهود من أهل توات المقيمين حينذاك بكاغو فقبض عليهم . وقد أنكر عليه ذلك القاضي أبو المحاسن محمود بن عمر الصنهاجي التنبكتي إذ لم يفعلوا شيئاً»[٩٧].

وحجة المغيلي في ذلك (أن أهل القرية تمالؤوا على قتل ابنه ، وإذا اجتمع أكثر من شخص على قتل أحد قتلوا جميعاً شرعاً . يقول المغيلي : ويروي لنا أبو سعيد ، وأبو هريرة رضي الله عنهما ، حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار» . وبهذا فإن الجميع شركاء في الجريمة ومن ثم وجب قتلهم) . ولكن السلطان الحاج محمد أسكيا رجع عن قبضه عليهم وأمر بإطلاقهم ، عندئذ غضب المغيلي ورجع إلى توات ، حيث توفي هناك سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م)[٩٨] أو ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م)[٩٩] رحمه الله تعالى .

سادساً : مكانته وأثره وآراء العلماء فيه :

مما سبق نستطيع أن نوجز هنا ما خلف المغيلي من أثر واضح وجلي لا ينكره إنسان . ولعلنا لا نغفله حقه حين نقول إنه كان أكبر داعية للإسلام في عصره ووقته ، في شبابه وشيخوخته ، في وطنه ، وخارج وطنه . وامتدت دعوته إلى مناطق بعيدة ، كما رأينا في قلب القارة الأفريقيه في وقت كان الترحال فيه والتجوال أشد وأقسى على النفوس والأبدان لما في ذلك من مصاعب ومشاق لا نستطيع حصرها هنا .

فمن ناحية موقف المغيلي من اليهود ظل أثر ذلك واضحاً في بلاد المغرب ، وظل كثير من العلماء والفقهاء يدينون له ويرون رأيه ، «كما وقع التضييق على اليهود ومنعوا من الإقامة في بعض الجهات ، كما ظلت أفكاره سائدة طوال العهد السعدي»[١٠٠].

يقول صاحب الدوحة : «بلغت دعوته بلاد السودان .... والإسلام في بلادهم غض .. واليهود لا يدخلون بلادهم ولا سائر بلاد الصحراء ، وحيثما يظهر اليهودي هنالك يقتل ويستباح دمه ، وكل من يحمل مال اليهود للتجارة يستباح ماله أيضاً»[١٠١]. أما الأسكيا محمد فقد «أغلق أبواب التجارة في وجه اليهود بتنبكتو ، وحرم على أفراد رعيته أن يتجروا معهم ، وظل أثر المغيلي ملموساً عدة سنين بعد وفاته»[١٠٢].

أما أثره في بلدان السودان الغربي فإن الدور الذي قام به الإمام المغيلي لا يدانيه أي دور قام به عالم مغربي آخر ، فقد ترك أثراً إسلامياً كبيراً ، «إذ قام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين»[١٠٣].

كما قام بدور واضح في «استقرار وإقامة وتوطيد أركان كثير من الممالك والإمارات الإسلامية على أسس وقواعد إسلامية صحيحة»[١٠٤]. كما كانت آراؤه ، وكتاباته شحذاً للهمم وسبباً في فتح كثير من البلدان الوثنية المجاورة ونشر الإسلام بها . وقد رأينا فيما سبق كيف أن الأسكيا الحاج محمد قد استشاره ، واستفتاه في أمر الأمم المجاورة له من الوثنيين والكفار . وقام حينذاك بفتح بلدان كاتسينا Katasina ، وزاريا Zaria ، وزامفار Zamfara وفرض عليهم دفع الجزية له سنوياً ، وكان ذلك في القرن السادس عشر الميلادي .

أما في القرن السابع عشر فقد تطلع حكام صنغاي إلى فتح بلاد كورارارافا Kwararafa حيث شعب ومملكة الجوكون Jukun الوثني في أعالي نهر البنوي Benue الذي ظل مسيطراً على مدينة كانو Kano لفترة كبيرة من الزمن كان الفرار منهم ومن ظلمهم أمراً حتمياً على شعبها وحاكمها إلى دورا Daura[١٠٥].

هذا وقد اعتبر المغيلي أحد مجدّدي عصره ووقته ، أو العالم الذي يبعثه الله سبحانه وتعالى على رأس كل مائة سنة ، لكي يصلح ما فسد من الأمور ويجدد للناس دينهم[١٠٦].

ولا يعني ذلك أن أثر الإمام المغيلي اقتصر على زمنه ووقته ، بل على العكس من ذلك ، فقد امتد أثره واضحاً جلياً بعد ثلاثة قرون في تفكير وجهاد الزعيم الفولاني عثمان دان فوديو ، وأتباعه وقواده[١٠٧].

وقد أخذ الشيخ عثمان برأي الإمام المغيلي في تصنيف من يجب على المسلمين جهادهم وقتالهم ، وهم : «الكافر ، والمرتد عن الدين الإسلامي ، ومن يدّعي الإسلام ويخلط بينه وبين الوثنية»[١٠٨].

وفي كتاب ضياء السياسات Diaya' al-Siasat لأحد قواد الشيخ عثمان وهو شقيقه الشيخ عبد الله دان فودير نجد التشابه الشديد بين آرائه وآراء المغيلي في كتابه «رسالة الملوك Risalat al Muluk» ، أو «التعريف فيما يجب على الملوك» الذي وجهه إلي أمير كانو محمد رنفا . فكلاهما يؤكد العلاقات المتبادلة بين القانون والشرع وبين الواجبات السياسية للحاكم . يقول الشيخ عبد الله «إنك ستسألني أن أكتب لك تقريراً ملخصاً عن ماذا يكون القانون للحاكمين أو للحكام الذين يستعملونه إذا ما انحرف الناس إلى الخطيئة أو الإثم . فليساعدنا الله وأنتم في طريق قوانينه أو شريعته» .

وهكذا نخلص إلى التزام الجماعة السياسية المسلمة في عصر كل من المغيلي وعبد الله دان فوديو بنصرتها وتأييدها للشريعة الإسلامية . فالمشكلة هي : كيف يتصرف الحاكم المسلم أو يتعامل مع العمليات والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة قبل الإسلام في منطقته أو موطنه[١٠٩].

ولا يفوتنا هنا أن أنذكر أثر بلدان المغرب العربي بصفة عامة ، والمغرب الأقصى بصفة خاصة على بلدان غرب افريقيا أو السودان الغربي كما كان يسمى وقتذاك ، وماصاحب هذا الأثر من تغير ثقافي واجتماعي وسياسي كان نشر الإسلام والدعوة الإسلامية ونبذ الكفر والوثنية ، هي حجر الزاوية والأساس المتين الذي قام عليه الإسلام في تلك البقاع .

وما الإمام المغيلي إلّا واحد من حملة الأعلام والرواد الأوائل ، وهو خير شاهد على هذا الأثر الواضح الجلي .

هذا ، وقد كثر الحديث مؤخراً بين كثير من العلماء الأوروبيين والأمريكيين[١١٠] عن قصة المغيلي مع اليهود للبرهنة على أن العرب والمسلمين قد اضطهدوا اليهود عبر العصور ، ناسين أو متناسين أن الإسلام لم يتعصب يوماً من الأيام ضد أهل الذمة من اليهود والنصارى ، بل على عكس ذلك تماماً احترم حقهم في العيش والحياة وكل الحقوق ، حتى حقوق العبادة جنباً إلى جنب في بلاد الإسلام .

أما ماذا قال العلماء والمفكرون عن المغيلي :

فقد قال أحمد بابا عنه «خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة ، القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ، ممن له بسطة في الفهم والتقدم ، متمكن المحبة في

السنة ، وبغض أعداء الدين»[111].

وقال عنه ابن عسكر : «الشيخ الفقيه الصدر الأوحد أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي ، كان من أكابر العلماء وأباطل الأتقياء ، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر»[112].

وقال صاحب البستان «خاتمة المحققين العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة ، الصالح السني الحبر أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين ، مشهور بمحبته رسول الله ﷺ وبغض أعدائه»[113].

وقال الإدريسي «شيخ مشايخ الإسلام ، أمل العلماء الأعلام ، آخر المجتهدين ، خاتمة المحققين العالم العلامة القدوة الصالح الفهامة»[114].

هذا وقد حج المغيلي ، وزار مسجد رسول الله ﷺ ، وعندما اقترب منه أنشد قصيدته المشهورة التي مطلعها :

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم[115]

سابعاً : قائمة بمؤلفات محمد بن عبد الكريم المغيلي :

(١) أ ـ أجوبة أسئلة الأمير أسكيا للإمام المغيلي :

ـ مخطوطة مصورة بدار الأرشيف بجامعة أحمد وبيلو ، بنيجيريا ، رقم م : ٤٠٣ .

المرجع : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ، للأمين عوض الله ، ص ١٨٦ ، ٢٦٤ .

أ ، ب ـ أسئلة الأسقيا محمد وأجوبة المغيلي عليها :

ـ مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، (رقم ح ، ٣٦ ج) .

ـ مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ، (رقم ٥٢٩٥) .

المرجع : ـ مملكة سنغاي في عهد الأسيقين ، لعبد القادر زبادية ، ص ١١ ، ٢٣٨ . وقد ذكر المؤلف أنه حققها .

(٢) أ ـ أجوبة لسلطان كانو :

المرجع : ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء ص ٢٥٣-٢٥٦ .

أ ، ب ـ **«التزامات الأمير»** وما ينبغي عليه في تطبيق الشريعة ، وهي رسالة ألفها المغيلي لأمير كانو ، وقد ترجمها إلى اللغة الانجليزية المستشرق بلدوين ، وطبعت في بيروت عام ١٩٣٢ م .

المراجع : ـ تاريخ الدول الإسلامية بافريقية الغربية ، لعبد الرحمن زكي ، ص ١٦٩ .

- An Islamic Tradition of Reform in western Sudan, Vxxx, P: 577 (4).

(٣) أحكام أهل الذمة :

ـ مخطوطة أولها : الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

خط تونسي ، ١٠ ورقات ، ٢٢ سطراً ، ضمن مجموع عدة رسائل هي أوله ، رقم ٢٧٥١/٩٥٠ .

المرجع : برنامج المكتبة الصادقية ، جامع الزيتونة ، جـ ٤ ، تونس ، ١٣٢٩ هـ .

ـ نسخة أخرى ، تونس ، زيتونة ، Iv, 362, 751.

المرجع : G.A.L, by: Brock, S, 2, 363

مراجع أخرى : ـ الأعلام جـ ٧ ، ص ٨٤ ، ٨٥

ـ الإعلام عمن حل بمراكش جـ ٢ ، ص ١١١ .

ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .

(٤) استفتاء أو فتوى شرعية : ـ في ٣٩ ورقة ، رقم ٥٢٥٩ بمكتبة باريس .

المرجع Catalogue Manuscripts Arabs, P: 77, N: 5959. Paris, 1925.

(٥) إكليل المغني (إكليل مغني النبيل ، وهو حاشية على مغني النبيل) .

المراجع : ـ الإعلام عمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .

ـ البستان في ذكر العلماء والأولياء ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .

ـ تعريف الخلف برجال السلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .

ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .

ـ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٦) إمناح الأحباب من منح الوهاب ، وهو شرح على منظومته المسماة منح الوهاب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٠ مجاميع .

المرجع : فهارس الكتب العربية الموجودة بالدار حتى سنة ١٩٢١ ، جـ ١ (٨ ـ المنطق وآداب البحث ص ٢٢٢) ، القاهرة ١٩٢٤ م .

مراجع أخرى : ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، مج ١ ، ص ١٢٧ .

ـ معجم المؤلفين جـ ١٠ ، ص ١٩١ .

(٧) إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل :

(٨) البدر المنير في علوم التفسير :

المراجع : ـ الأعلام جـ ٧ ص ٨٤ ، ٨٥ .

ـ الإعلام عمن حل بمراكش جـ ٥ ، ص ١٠٨ .

ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .

ـ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ص ١١٥ .

ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .

ـ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .

ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ص ١٩٧ .

ـ معجم المؤلفين ، جـ ١٠ ، ص ١٩١ .

ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٩) تأليف في المنهيات ، أو كتاب في المنهيات :

المراجع : الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص ١٠٨ .

ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .

ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .

ـ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .

ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ص ١٥٧ .

ـ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(١٠) التعريف فيما يجب على الملوك أو (رسالة الملوك) .

مخطوط الرباط رقم ٩٢٩ ، ٠٩ (وقد طبع في بيروت ١٩٣٢) .

المراجع : - Gal, by Brock, S, 2: 363.

- Religion and political Cultrue in Kano, P: 213-214.

مراجع أخرى : ٣ ـ الأعلام ، جـ ٧ ، ص ٨٤-٨٥ .

٤ ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ص ١٥٧ .

(١١) تفسير الفاتحة (في ورقة) .
المرجع : ـــ البستان ، ص ٢٥٣–٢٥٧ .
(١٢) تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين :
المراجع : ـــ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص ١٠٨ .
ـــ البستان ، ص ٢٥٣–٢٥٧ .
ـــ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـــ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ص ١١٤ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .
(١٣) حاشية على المختصر :
المراجع : ـــ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
(١٤) رسالة في اجتناب الكفار ، وعمّا يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار .
ـــ مخطوط في ١٠٤ ورقة ، ١٤ : ٢٣ سطراً .
ـــ خط مغربي ـــ (ضمن مجموع به ١٠ رسائل هي أولها) .
المرجع : فهرس دار الكتب الوطنية بتونس ، جـ ٣ ص ٤٥ .
(١٥) رسالة في استعمال اليهود والنصارى (لعلها أحكام أهل الذمة).
أولها : الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء .
(انظر مسلسل ٣) .
المراجع : ـــ كشف الظنون ، مج ١ ، ص ٨٤٥ .
ـــ هدية العارفين ، مج ٢ ، ص ٢٢٤ .
(١٦) (أ) شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب :
المراجع : ـــ البستان ، ص ٢٥٣–٢٥٧ .
ـــ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـــ معجم أعلام الجزائر ، ص ١٥٧ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .
(ب) يسمى أيضاً : **إفهام الأنحال :**
المراجع : الإعلام عمن حل بمراكش، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .
ـــ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢–١٨٣ .
(١٧) شرح الجمل للخونجي (في المنطق) :
المراجع : ـــ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـــ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
ـــ معجم المؤلفين ، جـ ١٠ ، ص ١٩١ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .
(١٨) شرح خطبة المختصر :
المراجع : ـــ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص ١٠٨ .
ـــ البستان ، ص ٢٥٣–٢٥٧ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ص ١٥٧ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .
(١٩) شرح مختصر خليل (في فقه المالكية) :
أو (ب) له مسمى آخر : ـــ **مغني النبيل :**
المراجع : ـــ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص ١٠٨ .
ـــ البستان ، ص ٢٥٣–٢٥٧ .
ـــ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ص ١١٤ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـــ معجم المؤلفين ، جـ ١٠ ، ص ١٩١ .
ـــ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢–١٨٣ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .
(٢٠) شرح (منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب) أرجوزة الأرجوزة والشرح كلاهما للمغيلي :
أوله : بعد الحمدلة والتصلية : ـــ أما بعد ، فهذا شرح موجز لبيان المهم من رجزي الملقب بمنح الوهاب .. الخ .
وأوّل الأرجوزة : ـــ الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم ، واجتبانا . مخطوط ، (في المجموع من ص ١–٢٦) .
٢٣ سطراً . خط مغربي جيد ، وبه أكل أرضة .
رقمه ٢٢٣١ د .
المراجع : ـــ تاريخ الجزائر ، جـ ١ ص ١١٤ .
ـــ فهرس الخزانة العامة بالرباط جـ ١ ، ق ٣ ، ص ١٢٧ ، مسلسل ٣١٣١ .
(٢١) فتاوى له (مذكورة في المعيار) :
المراجع : ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـــ المعيار المعرب والجامع المقرب ، للونشريسي ، تحقيق محمد حجي .
(٢٢) الفتح المبين :
المرجع : ـــ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص ١٠٨ .
ـــ البستان ، ص ٢٥٣–٢٥٧ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .
(٢٣) منح الوهاب ، (وهو شرح على منظومته في المنطق) :
المراجع : ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ تاريخ الجزائر الثقافي ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
(٢٤) فهرست مرو ياته :
المراجع : الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص ١٠٨ .
ـــ البستان ، ص ٢٥٤–٢٥٧ .
ـــ تعريف الخلف ، ص ١٦٦–١٧٠ .
ـــ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـــ فهرس الفهارس ، جـ ٢ ، ص ١٢ .
ـــ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـــ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٢٥) القصيدة الميمية (على وزن البردة) :
المراجع : ـ الأعلام ، جـ ٥٧ ، ص ٨٤-٨٥ .
ـ الإعلام عمن حل بمراكش جـ ٥ ، ص ١٠٨ .
ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .
ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .
ـ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٢٦) مختصر تلخيص المفتاح :
المراجع : ـ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .
ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .
ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .
ـ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٢٧) مصباح الأرواح في أصول الفلاح : (وهو جواب عن سؤال عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار ، وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار ، وعمّا عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان ، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان ، بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السلطان) .
أوله : الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ، وبشرى للمسلمين .
مخطوط (في مجموع من ص ٣٦٥-٣٨٠) ٢٥ سطراً .
تاريخ نسخة ١٢٨٧ هـ خط مغربي مشوب بالألوان
رقمه ٢٠١٣د/B
نسخة أخرى برقم ١٦٠٢ د .
نسخة أخرى برقم ٢٥٣٠ د .
نسخة أخرى برقم ٢٨٨٩ د .
نسخة أخرى برقم ٣٢٢ ك .
نسخة أخرى برقم ٢٢٢٣ د (في مجموع من ص ٣٧٩-٣٩٦) .
المراجع : ـ فهرس الخزانة العامة بالرباط، ق ٣ ص ٢١٦-٢١٧ .
ـ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ص (١٠٨) .
ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .
ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .
ـ شجرة النور الزكية ، ص ٢٧٤ .
ـ العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ، ص ١٨٨-١٨٩ ، ص ٢٦٤ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ معجم المؤلفين ، جـ ١٠ ، ص ١٩١ .
ـ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

ـ طبع في الجزائر بتحقيق رابح بونار ، في ٧٧ صفحة ، سنة ١٩٦٨ .
المراجع : ـ فهرس الخزانة العامة بالرباط ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٢١٦-٢١٧ .
ـ تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزائر ، ١٩٨١ م .

(٢٨) مفتاح الكنوز (وهو قطعة على البيوع من شرح مختصر خليل) .
المرجع : ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .

(٢٩) مفتاح النظر في علم الحديث (فيه أبحاث مع النووي في التقريب) .
المراجع : ـ الأعلام ، جـ ٧ ، ص ٨٤-٨٥ .
ـ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .
ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .
ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٣٠) مقدمة في العربية :
المراجع : ـ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .
ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .
ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٣١) مقدمة في المنطق :
المراجع : ـ الإعلام عمن حل بمراكش جـ ٥ ، ص ١٠٨.
ـ البستان ، ص ٢٥٣-٢٥٧ .
ـ تعريف الخلف ، ص ١٦٦-١٧٠ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

(٣٢) منح الوهاب ـ (منظومة في المنطق) :
مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم ٢٥٠ مجاميع) .
المرجع : فهرس المخطوطات الموجود بالدار حتى سنة ١٩٢١ (٨ ـ المنطق وآداب البحث ، ص ٢٤٢) .
مراجع أخرى : ـ الأعلام ، جـ ٧ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .
ـ الإعلام عمن حل بمراكش ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .
ـ معجم أعلام الجزائر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
ـ الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .
ـ نيل الابتهاج ، ص ٣٣١ .

مؤلفات على مؤلفات المغيلي

ظهرت كثير من المؤلفات عن المغيلي ودراسات مختلفة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :
تعليق على منظومة المغيلي في المنطق ، لأحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمود آقت (وهو والد أحمد بابا التنبكتي) .
المراجع : ١ ـ نيل الابتهاج ، لأحمد بابا التنبكتي ، ص ٣٣١ .

(2) - A New Source for The Biography of Ahmad Baba, P; 569.

الهوامش

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، الأعلام ، جـ ٧ ص ٨٤ ، ٨٥ ، معجم المؤلفين جـ ١٠ ص ١٩١ ، فهرس الفهارس جـ ٢ ص ١٢ ، اللباب في تهذيب الأنساب جـ ٢ ص ١٦٥ .

(٢) هي الآن إحدى مدن الجزائر ، والبعض يسميها تنمسان ، بينها وبين وهران حوالي ١٥٠ كم ، فيها آثار للأول كثيرة ، انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٣٥ .

(٣) انظر لب اللباب في تهذيب الأنساب ص ٢٥٠ ، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير جـ ٢ ص ١٩٥ ، وقد جاء في الموسوعة المغربية ملحق ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ أن مغيلة مدينة بين فاس ومكناس ، انظر أيضاً معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦٣ .

(٤) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين جـ ١ ص ٢٦٨ .

(٥) انظر ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، مج ١ ص ١٢٧ .

(٦) انظر ، الحركة الفكرية جـ ١ ص ٢٦٨ ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٤٠ .

(٧) مدينة توات هي إقليم صحراوي واسع ينزل جنوباً مع وادي الساورة الذي يسمى طريق النخيل حتى مصبه بسنجة المخرمين في قلب الصحراء ، ويتسع شرقاً في واحات متلاحقة وقصور كثيرة من أشهرها تيمى ، وتيمنطيط أم القرى التي غلب عليها اسم توات على الإطلاق ، انظر : الحركة الفكرية جـ ٢ ص ٦٣١ .

(٨) صعد المنصور إلى الحكم سنة ١٥٧٧ م ، وكان عهده من أزهى أيام السعديين بالمغرب ، ولقب بالمنصور الذهبي لكثرة ما جمعه من ذهب من حملاته على بلدان غرب افريقيا ، انظر : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر جـ ١ ص ٨٠ ، مملكة صنغاي ص ٨٩ ، ٩٥ .

(٩) انظر ، مملكة صنغاي ص ٢١٦ .

(١٠) أحمد بابا ، نيل الابتهاج ص ١٧٥/١٧٣ .

(١١) انظر ، دوحة الناشر ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، الأعلام للزركلي جـ ٨ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٢) ذكر الزركلي : أن العقيدة الكبرى تسمى أيضا عقيدة أهل التوحيد ، والعقيدة الصغرى تسمى أم البراهين ، كما ذكر أنه له أيضاً تآليف أخرى منها شرح صحيح البخاري ، لم يكمله ، وشرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين ، وشرح جمل الخونجي في المنطق ، وتفسير سورة ص وما بعدها من السور ، وشرح كلمتي الشهادة ، ومختصر في علم المنطق ، وشرح الأجرومية في النحو ومجربات في الطب ، ونصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير . انظر الأعلام جـ ٨ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٣) الأعلام للزركلي جـ ٨ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٤ ، ١٥) دوحة الناشر ص ١٢١ .

(١٦) نيل الابتهاج ص ٣٥٩ .

(١٧) انظر المعيار المغرب ، تقديم ، ص أ ، ب ، جـ ، الأعلام للزركلي جـ ١ ص ٢٥٥ ، ٢٢٥٦ ، وتاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ١١٨-١٢٧ ، دوحة الناشر ص ٤٧ ، ٤٨ .

(١٨) المعيار المغرب جـ ١ ، تقديم ، ص أ ، ب ، ج .

(١٩) دوحة الناشر ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢٠) المعيار جـ ١ ، ص ج «تقديم» ، تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ١١٩ .

(٢١) المعيار المغرب ، جـ ١ ، تقديم ، ص ج ، تاريخ الجزائر الثقافي ، جـ ١ ص ١١٩ .

(٢٢) المعيار جـ ١ ، ص د ، تاريخ الجزائر الثقافي ، جـ ١ ص . ١٢٠-١٢٦ ، الدوحة ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢٣) تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ، ص ١٢٧ .

(٢٤) دوحة الناشر ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢٥) الأعلام للزركلي جـ ١ ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٢٦) دوحة الناشر ص ١٣٢ .

(٢٧) الحركة الفكرية جـ ٢ ص ٥١٣ .

(٢٨) دوحة الناشر ص ١٣٣ ، حاشيته .

(٢٩) انظر ترجمته في نيل الابتهاج لأحمد بابا ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣٠) انظر ذلك بالتفصيل في الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين جـ ١ ص ٢٦٧-٢٧٠ ، تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٤٢-٤٣ .

(٣١) انظر ، المغرب في عهد الدولة السعدية ص ٢٩٢ ، تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٤٢-٤٣ .

(٣٢) أما عبد الله الهبطي فهو من أعلام عصره ، أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة ايمتنه ، وقد أخذ عن شيوخ كثيرين منهم الشيخ أبو محمد عبد الله القسطلي الأندلسي قرأ عليه القرآن والتفسير ، وقرأ الفقهيات وعلوم الدين على أحمد الزقاق . وكان البعض يعتبره غزاليّ وقته . انظر دوحة الناشر ص ٧ — ١٤ . أما عن «الألفية السنية» فهي منظومة في ألف بيت انتقد فيها مجتمعه ؛ وما آل إليه الحال من شرب الخمر ، وتغيير العقائد ، وأركان الإسلام ، واختلاط الرجال بالنساء في الأسواق ، وفي المحافل الراقصة وفي الأنهار . ومن هذه الأبيات :

فهـؤلاء الفاقـدون الـغيرة ... كما تراهم ما لهم من قيمة
كم من نصيحة لهم أدينا ... وكم حقيقـة لهم بينـا
وهم على ما هم في كل حين ... بل زادوا في عنادهم للدين

انظر الحركة الفكرية جـ ١ ص ٢١٨ .

(٣٣) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين جـ ١ ص ٢٦٧ ، حاشية (١) .

(٣٤) الحركة الفكرية في عهد السعديين جـ ١ ص ٢٦٨ ، تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٤٢ ، انظر أيضاً : New Encyclopedia Britanic, V, 12, P:300.

(٣٥) انظر ذلك بالتفصيل في : الإعلام عمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام جـ ٥ ص ١٠٦ ، نيل الابتهاج ص ٣٣٠ ، البستان ص ٥٢٣ ، تعريف الخلف ص ٦٦ ، ١٦٧ ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٨٨–١٩٠ ، برنامج المكتبة الصادقية جـ ٤ ، تاريخ الجزائر الثقافي جـ ٢ ، ص ٧٣ ، انظر أيضاً Plamer: The Bornu Sahara and Sudan, P : 82.

(٣٦) نيل الابتهاج ص ٣٣١ ، تعريف الخلف ص ١٦٧ ، البستان ص ٢٥٣ ، آخر مخطوط مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، نسخة الرباط رقم ٢٠١٣ .

(٣٧) انظر ، مخطوط «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» نسخة الرباط رقم ٢٠١٣ «وانظر أيضاً» العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٨٨–١٩٠ تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٣٨) المصادر السابقة نفسها .

(٣٩) سورة النور ، الآية ٢٤ .

(٤٠) سورة المجادلة ، الآية ٥٨ .

(٤١) سورة التوبة ، الآية ٢٩ ، ونصها **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** . وانظر أيضاً : حضارة الإسلام ص ١٨٩ ، حاشية ٣٢ .

(٤٢) تُفيلالَتْ أو تافيلالت اسم بربري لإقليم واسع يقع وراء الأطلسين المتوسط والكبير متاخماً لواحات فجيج ، وحدود الجزائر شرقاً ، وبُسَاط درعة ونجودهما غرباً . وتجري في تفيلالت أنهار غديس وزيز وكير . انظر الحركة الفكرية جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٤٣) المصادر السابقة نفسها ، الآية الأخيرة من سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

(٤٤) تولى العصنوني القضاء بتوات مدة طويلة ، كما مارس التدريس والإفتاء وكان من أشد المعارضين للمغيلي . وكان ذلك سبباً في استفتائهما علماء المغارب الثلاثة ومناظرة المغيلي لعلماء فاس . توفي سنة ٩٢٧/١٥٢١ م . انظر : الحركة الفكرية جـ ٢ ص ٦٣١ .

(٤٥) المعيار المغرب جـ ٢ ص ٢١٤–٢١٦ .

(٤٦) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٦ .

(٤٧ ، ٤٨) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٦–٢١٧ .

(٤٩) المعيار المغرب جـ ٢ ص ٢١٨–٢١٩ .

(٥٠) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٨–٢١٩ .

(٥١) نفس المصدر ص ٢٢٥ .

(٥٢) انظر ، دوحة الناشر ص ١٣٠ ، ١٣١ ، وانظر أيضاً الحركة الفكرية بالمغرب ، جـ ١ ص ٢٦٩ ، النيل ص ٣٣٠ ، البستان ص ٢٥٣–٢٥٣ ، تعريف الخلف ص ١٦٧ ، وانظر أيضاً تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٦٠–٦٤ وكان ابن غازي يعتبر مؤرخ الدولة الزيانية ، ومن أشهر كتبه نظم الدر ، وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، توفي سنة ٨٩٩ هـ .

(٥٣) سبقت ترجمته وهو من شيوخ المغيلي .

(٥٤) من مشاهير علماء تلمسان ، له تآليف منها : نظم الدرر ، وتأليف في الضبط ، وراح الأرواح ، وتعليق على فرعي ابن الحاجب . توفي سنة ٨٩٩ هـ . انظر ترجمته في النيل ص ٣٣٠ .

(٥٥) آخر مخطوط «مصباح الأرواح» نسخة الرباط رقم ٢٠١٣ ، النيل ص ٣٣١ ، تعريف الخلف ، ص ١٦٧ ، البستان ص ٢٥٣ .

(٥٦) المصادر السابقة ، وانظر أيضاً : الإعلام عمن حل بمراكش جـ ٥ ص ١٠٧ .

(٥٧) الإعلام عمن حل بمراكش جـ ٥ ص ١٠٧ ، النيل ص ٣٣١ ، البستان ص ٢٥٤ ، تعريف الخلف ص ١٦٧–١٦٨ . آخر مخطوط مصباح الأرواح نسخة الرباط رقم ٢٠١٣ ، انظر أيضاً : تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٦١ ، ٨٩ .

(٥٨) انظر دوحة الناشر ص ١٣٠–١٣١ ، آخر مخطوط مصباح الأرواح ، نسخة الرباط رقم ٢٠١٣ ، النيل ص ٣٣٠–٣٣١ ، البستان ص ٣٥٤ ، تعريف الخلف ص ١٦٧–١٦٨ .

(٥٩) دوحة الناشر ص ١٣٠-١٣١ والسلطان هو الشيخ ابن أبي زكريا الوطاس ثم المريني (٨٧٦ هـ — ٩١٠ هـ) .

(٦٠) تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٤٧ .

(٦١) انظر مخطوط : مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي ، نسخة الرباط برقم ٢٠١٣ ، الإعلام عمن حل بمراكش ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، تعريف الخلف ص ١٦٨ ، البستان ص ١٤١ ، ٢٢٥ ، انظر أيضاً : Palmer: The Burno Sahara, P : 82, 84.

(٦٢) إقليم جبلي في الصحراء الكبرى ، تقدر مساحته بحوالي ٥٨٠٠ ميل مربع . استولى عليه الحاج محمد اسكيا حوالي عام ١٥١٩ م . انظر : تاريخ الدول الإسلامية السودانية ص ١٢٨ ، ١٢٩ . انظر أيضاً : Palmer: The Burno Sahara, P: 82.

(٦٣) مركز مهم في طريق القوافل بين مصر ومالي، انظر : تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٩ .

(٦٤) انظر : Palmer: The Burno Sahara P: 84.

وسوف نعرض لهذه الرسالة بشيء من التفصيل في الصفحات التالية :

(٦٥) John N, Paden: : Religon and Political Culture in Kano P : 61

(٦٦) Ibid: P; 213-214

(٦٧) هي مدينة كاتسينا في شمال نيجيريا الحالية . انظر : تاريخ الدول الإسلامية ص ١٩٣ ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٩١ ، حاشية ٣٧ انظر أيضاً : Palmer: The Burno Sahara and Sudan, P: 84.

(٦٨) Hogben: An Introduction to the History of the Islamic states of northern Nigeria, p : 82.

(٦٩) وهي تقع على نهر النيجر . انظر حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في افريقيا الغربية ص ٩٩ .
وانظر أيضاً : Palmer: The Bornu Sahara and Sudan, P: 82.

(٧٠) انظر : الإسلام في نيجيريا ص ٧٥-٨٢ ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ٢٤٣-٢٥٠ ، تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٩ ، تاريخ الجزائر الثقافي جـ ١ ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٧١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

(٧٢) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٧٣) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٧ .

(٧٤) Religion and Political culture in Kano, P : 213, 214.

(٧٥) انظر ، الإسلام في نيجيريا ص ٨٣-٨٥ .

(٧٦) انظر ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٨٦ .

(٧٧) An Islamic Tradition of reform in western Sudan, P : 579-580.

(٧٨) An Islamic Tradition, P; 584 & The New Encyclopedia Britanica, V: 12, P: 300.

(٧٩) Ibid, P : 585

(٨٠) Ibid, P : 582, 585

(٨١) Ibid, P : 580-581.

(٨٢) An Islamic Tradition, P : 581

(٨٣ ، ٨٤) Abid, P; 585-586

(٨٥) انظر ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ، ص ١٨٦ .

(٨٦) An Islamic Tradition, P : 581

(٨٧) انظر العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٨٦ ، أيضاً : An Islamic, P; 581. See Also The Cambridge History of Africa, V.5, P: 146.

(٨٨) العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٨٩) المصدر السابق ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، أنظر أيضاً : An Islamic, P: 584.

(٩٠) العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٨٧.

(٩١) An Islamic Tradition. P : 582

(٩٢) مملكة صنغاي ص ١٤٨ .

(٩٣) انظر : نيل الابتهاج ص ٣٣١، الإسلام في نيجيريا ص ٨٨-٩٠ ، البستان ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٩٤) علاوة على المراجع السابقة انظر هذه المناظرة في : تعريف الخلف برجال السلف ص ٢٦٩ ، ١٧٠ ، الإعلام عمن حل بمراكش ص ١٠٩ .

(٩٥) انظر تاريخ الجزائر الثقافي ، جـ ١ ص ١١٤ ، ص ٤٥٩ حاشية ١١٥ .

(٩٦) انظر نيل الابتهاج ص ٣٣١ ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٩١-١٩٢ ، تعريف الخلف ص ١٦٨ ، البستان ص ٢٥٥ .

(٩٧) البستان ص ٢٥٥ ، تعريف الخلق ص ١٦٨ ، النيل ص ٣٣١، الإعلام عمن حل بمراكش ص ١٠٨ .
(٩٨) انظر : النيل ص ٣٣١، تعريف الخلف ص ١٦٨ ، البستان ص ٢٥٥ ، الإعلام للزركلي جـ ٧ ص ٨٤ ، ٨٥ ، شجرة النور الزكية ص ٤٧٤ ، معجم المؤلفين جـ ١٠ ، ص ١٩١ ، الحركة الفكرية جـ ١ ص ٢٦٨ ، حاشية (٣) ، الموسوعة المغربية ، ملحق ١ ص ١٨٢، ١٨٣ ، تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٩ ، انظر أيضاً : Palmer : The Bornu Sahara and Sudan, P: 82 & Brock:S, 2, P : 365. وكلها أجمعت على هذا التاريخ لوفاة الإمام المغيلي .
(٩٩) ذكر صاحب دوحة الناشر أنه توفي في أول العشر الثانية ببلاد توات . ولعله الوحيد الذي ذكر هذا التاريخ . انظر : اللوحة (خ) ص ٧٦ أ ، اللوحة (مطبوع) تحقيق محمد حجي ص ١٣٢ .
(١٠٠) الحركة الفكرية جـ ١ ص ٢٧٠ .
(١٠١) انظر كتاب دوحة الناشر ص ١٣٢/١٣١ .
(١٠٢) تاريخ الدول الإسلامية بافريقية الغربية ص ١٤١ .
(١٠٣) العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ص ١٩١ .
(١٠٤) An Islamic Tradition, P: 586 Hogben an introduction to the History of the Islamic states of Northern Nigeria, P: 50.
(١٠٥) المرجع السابق .
(١٠٦) The Campridge History of Africa, V: 5, P: 129, 133, 134.
(١٠٧) تاريخ الدول الإسلامية بافريقيا الغربية ص ١٦٩ .
(١٠٨) الإسلام وحركة الفلان الإصلاحية في غرب افريقيا ص ١٣١ لمصطفى محمد مسعد ، مقالة منشورة بمجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الأول ، ١٣٨٨ هـ .
(١٠٩) Religion and political Culture in Kano, by John N. Paden, P: 213-214.
(١١٠) تاريخ الجزائر الثقافي ، جـ ١ ، ص ٤٢ .
(١١١) نيل الابتهاج ، ص ٣٣٠ .
(١١٢) دوحة الناشر ، ص ١٣٠ .
(١١٣) البستان في ذكر الأولياء والعلماء ، ص ٢٥٣ .
(١١٤) آخر مخطوط المصباح في أصول الفلاح ، نسخة الرباط رقم ٢٠١٣ .
(١١٥) تاريخ الجزائر الثقافي جـ ٢ ص ٤٠٢ ، الإعلام عمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام جـ ٥ ص ١١٠ .

المراجع والمصادر

(أ) ـــ الكتب :
١) الإسلام في نيجيريا ، والشيخ عثمان بن فوديو ، لآدم عبد الله الألوري ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
٢) الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، جـ ٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
٣) الإعلام عمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، للعباس بن إبراهيم ، الرباط ، ١٩٧٦ م .
٤) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، لإسماعيل البغدادي ، مج ١ ـــ استانبول ، ١٩٤٥ .
٥) برنامج المكتبة الصادقية ، ج ٤ ، تونس ، ١٣٢٩ هـ .
٦) البستان في ذكر الأولياء والعلماء ، لابن مريم .
٧) تاريخ الجزائر الثقافي ، لأبي القاسم سعد الله ، جـ ١ ، ٢ ، الجزائر ، ١٩٨١ م .
٨) تاريخ الدول الإسلامية بافريقيا الغربية ، لعبد الرحمن زكي ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
٩) تعريف الخلف برجال السلف ، للحفناوي .
١٠) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، لمحمد حجي ، ج ١ ، دار الغرب بيروت ، ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م .
١١) حضارة الإسلام وحضارة أوربا في افريقيا الغربية ، لنعم قداح ، دمشق ، ١٩٦٥ م .
١٢) دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشاهير القرن العاشر ، لمحمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية رقم ١٤١٥ مغاربة ، مطبوع ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب ، بيروت ، ١٩٧٧ م .
١٣) الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد بن عبد المنعم الحميري ، لبنان ، ١٩٧٥ م .
١٤) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد بن مخلوف ، ط ١ ، بيروت ، ١٣٤٩ هـ .

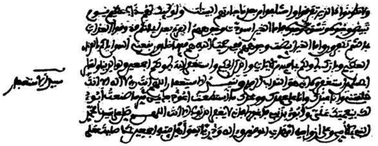
١٥) العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي للأمين عوض الله ، جدة ، ١٩٧٩ م .
١٦) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، محمد حجي ، بيروت ، ١٩٨١ م .
١٧) فهرس الفهارس ، للكتاني ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
١٨) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، جـ ١ ، استانبول ، ١٩٤١ م .
١٩) لب اللباب في تحرير الأنساب ، لجلال الدين السيوطي ، بغداد ، مكتبة المثنى (طبع أوفست) .
٢٠) اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ .
٢١) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين ، لعادل نويهض ، جـ ١ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧١ م .
٢٢) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، بيروت ، ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .
٢٣) معجم المؤلفين ، لكحالة ، جـ ١٠ ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ .
٢٤) المعيار المغرب والجامع المقرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، للونشريسي ، بتحقيق محمد حجي ، بيروت ، ١٩٨١ م .
٢٥) المغرب في عهد الدولة السعدية ، لعبد الكريم الكريم ، الرباط ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .
٢٦) مملكة سنغاي في عهد الأسيقين ، لعبد القادر زبادية ، الجزائر ، ١٩٧١ م .
٢٧) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، بإشراف عبد العزيز بن عبد الله ، ملحق ١ ، الرباط ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .
٢٨) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٥١ هـ .
٢٩) هدية العارفين وأسماء المؤلفين ، والمصنفين ، لإسماعيل البغدادي ، مج ٢ ، استانبول ، ١٩٥٥ م .
30) An Introduction to the History of The Islamic States of Northern Nigeria, by, Hogben, IBADAN, OX Ford, 1967.
31) The Burno Sahara and Sudan, by, palmer, New York.
32) The Cambridge History of Africa, by, E. Flint, V. 5.
33) The New Encyclopedia Britannica, V. 12, 15 th Edition, London, 1973-1974.
34) Nigerian Perspective, An Historical Anthology, London, 1960.
35) Religion and political culture in Kano, by John N. Paden, London, 1973.

(ب) الفهارس :

٣٦) إحصاء كتب أهل بلغراف ، إعداد محمود زبير ، نواكشوط ، ١٩٧٧ م (عن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) .
٣٧) فهارس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية) ، حتى سنة ١٩٢١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .
٣٨) فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس ، جـ ٣ ، ٤ ، تونس ، ١٩٧٨ م .
٣٩) فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالمغرب ، ج ١ ، ق ٣ ، الرباط ، ١٩٧٧ م .
40 - Catalogue Manuscripts Arabes Des Nouvelles Acquistion, 1884: 1924 Paris, 1925.
٤١) (تاريخ الأدب العربي لبروكلمان) .Gal, by Brock, S, 2, Leiden, 1938

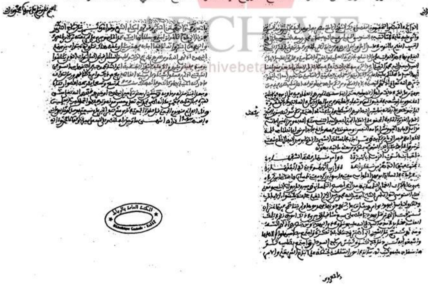
(جـ) الدوريات :

٤٢) الإسلام وحركة الفلان الإصلاحية في غرب أفريقيا ، لمصطفى محمد مسعد ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الأول ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م .
43 - An Islamic Tradition to the Western Sudan from the sixteenth to the Eighteenth century, From; Bulletin of the school of oriental and African Studies, London, 1962.
44 - A New Source for the Biography of Ahmed Baba, From: Bulletin of the school of oriental and African Studies, London, 1964.





« الورقة الأولى من مخطوطة مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي – نسخة الرباط »



« الورقة الأخيرة من مخطوطة مصباح الأرواح ... »

خدمات المعلومات
بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية
تقرير علمي

إعداد
أحمد علي تمراز
استاذ مساعد في قسم المكتبات والمعلومات - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقوم المعلومات بدور أساسي في البحث العلمي وعمليات التنمية بكافة قطاعاتها ، وهي تمثل أحد الأطراف المؤثرة في المعرفة البشرية وتنظيمها . ونظراً للتدفق الهائل في حجم المعلومات التي تنشر سنوياً ، فإن الحاجة إلى أسلوب متطور وتقني لتنظيم هذا الفيض المتدفق أصبح ضرورياً من أجل الاستفادة من المعلومات في عمليات التنمية لرفاهية الفرد والمجتمع .

وتتناول هذه الدراسة جانباً أساسياً مما يتعلق بدور المعلومات في تنمية وتطوير البحوث والدراسات العلمية والتقنية بالمملكة العربية السعودية ، التي تخطط لها وتشرف عليها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض . وتنطلق هذه الدراسة في معالجتها لهذا الموضوع الحيوي ـــ الذي يمثل في اعتقادي نقطة ارتكاز وانطلاق لإقامة نظام وطني للمعلومات أو شبكة معلومات وطنيةفي المملكة العربية السعودية ـــ من فرضية أساسية هي أن للمعلومات دوراً أساسياً في عمليات تنمية وتطوير البحث العلمي . وقد أكدت الخطط الثلاث الأخيرة للتنمية (الثالثة والرابعة والخامسة في المملكة العربية السعودية) على أهمية دور المعلومات في تحقيق أهدافها .

ويتخذ الكاتب منهجاً وصفياً لخدمات المعلومات التي تقدمها مدينة الملك عبد العزيز والإمكانات التقنية والبشرية المتقدمة للباحثين والدارسين في مختلف المجالات العلمية والتقنية . والجدير بالذكر أن خدمات المعلومات في مدينة الملك عبد العزيز تحتاج إلى أكثر من دراسة مستفيضة ، وأخص بالذكر الدراسات الخاصة بخدمات المستفيدين ومدى إشباع رغباتهم في الحصول على المعلومات . ومن هنا جاء اختيار مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية مجالاً للدراسة ، وذلك لدورها الريادي في عمليات تخطيط البحث العلمي في المملكة والمشاركة في حل مشكلات البيئة والمشكلات التي تعترض عمليات التنمية الصناعية والزراعية والطبية . كما أنه من معايشة الكاتب للخدمات التي يقدمها قطاع المعلومات بالمدينة والإمكانات التقنية المناسبة والأيدي الفنية المدربة التي تمثل البنية الأساسية لأي نظام للمعلومات ، كل ذلك يستحق وقفة متأنية لدراسة خدمات المعلومات بمدينة الملك عبد العزيز وتحليل أوجه نشاطها ، التي تمثل الأساس في إقامة نظام وطني للمعلومات بالمملكة العربية السعودية .

مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية هيئة علمية مستقلة ، تأسست عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) . وهي بمثابة أكاديمية للبحث العلمي والتقنية ، حيث تضطلع بمهمة إعداد الخطط والسياسات الوطنية في مجال العلوم والتقنية ، ودعم وتشجيع البحث العلمي للأغراض التطبيقية ، وتنسيق نشاطات البحث العلمي في المملكة العربية السعودية .

الإدارة العامة للمعلومات :

وإدراكاً من المدينة بأهمية المعلومات الحديثة في نجاح الأبحاث العلمية وبرامج التنمية ، فقد أخذت على عاتقها إنشاء إدارة خاصة بالمعلومات والخدمات الفنية لتقديم دعمها وخدماتها للهيئات العلمية والأكاديمية بالمملكة العربية السعودية . وتتمثل الخدمات التي توفرها الإدارة العامة للمعلومات في تطوير نظم آلية حديثة لبناء قواعد المعلومات الوطنية لخزن واسترجاع وبث المعلومات العلمية والتقنية ، وتوفير سبل الاتصال المباشر ، وتشغيل وصيانة شبكتين للاتصالات في مجال المعلومات .

الهيكل التنظيمي للإدارة العامة للمعلومات :

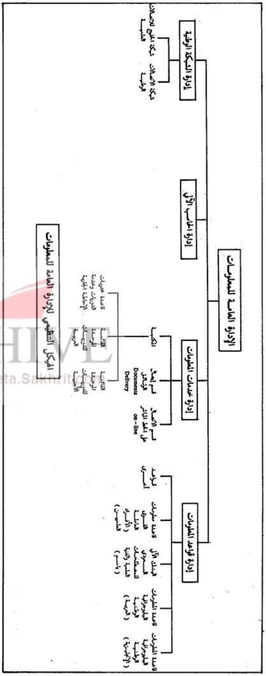
تتكون الإدارة العامة للمعلومات من أربع إدارات أساسية هي :

١ . إدارة قواعد المعلومات .
٢ . إدارة خدمات المعلومات .
٣ . إدارة الحاسب الآلي .
٤ . إدارة الشبكة الوطنية للمعلومات .

أولاً : إدارة قواعد المعلومات :

تقوم هذه الإدارة بالعمل على إيجاد نظم لتجميع وتنظيم ومعالجة وتخزين ونشر المعلومات العلمية والتقنية التي تدعم أنشطة البحث العلمي في المملكة العربية السعودية . وقد قامت تلك الإدارة بإنشاء عدد من قواعد المعلومات الوطنية ، وتعمل على تشغيلها وصيانتها ، وتلك القواعد هي :

١ . قاعدة المعلومات الببليوجرافية الوطنية (الإنجليزية) .
٢ . قاعدة المعلومات الببليوجرافية الوطنية (العربية) .
٣ . البنك الآلي السعودي للمصطلحات العلمية والفنية (باسم) .



٤ . قاعدة معلومات القوى العاملة . وهي دليل للأفراد العلميين في المملكة العربية السعودية .

٥ . قواعد معلومات أخرى ، مثل قاعدة معلومات الباحثين ، وقاعدة معلومات مشاريع الأبحاث ، وهذه القواعد غير متاحة للبحث العام حالياً . ويجري حالياً تطوير بعض القواعد الأخرى مثل : قاعدة معلومات مراكز البحث العلمي ، وقاعدة معلومات المؤسسات العلمية ، وقاعدة معلومات المكتبات ومراكز المعلومات .

ثانياً : إدارة خدمات المعلومات :

إيماناً من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية من أن المعلومات الحديثة هي من أهم العناصر الأساسية للبحث العلمي ، فقد قامت الإدارة العامة للمعلومات بتوفير المعلومات العلمية الحديثة من خلال ملايين السجلات البيليوجرافية في كافة المجالات مثل : العلوم البحتة ، التقنية ، الهندسة ، التعليم ، الاقتصاد ، العلوم الاجتماعية . وتقدم هذه الخدمات من خلال ثلاثة أقسام تعمل في إطار إدارة خدمات المعلومات . وهذه الأقسام هي : قسم خدمات الاتصال على الخط المباشر ـــ قسم إيصال الوثائق ـــ المكتبة .

١ . قسم الاتصال على الخط المباشر On-Line :

يقدم هذا القسم خدماته إلى كافة الباحثين في المملكة العربية السعودية ، وذلك بتزويدهم بكافة المعلومات العلمية والتقنية بناء على رغبتهم . ويحصل هذا القسم على المعلومات من مصدرين أساسيين هما :

أ . قواعد المعلومات الوطنية السالفة الذكر في «أولاً» .

ب . قواعد المعلومات العالمية على اختلاف أنظمتها .

وتحتوي الأنظمة المختلفة التي تتصل بها إدارة خدمات المعلومات على الملايين من عناوين الوثائق المختلفة ما بين الأطروحات والكتب والمقالات والتقارير والنشرات ، هذا إضافة إلى ملخصات البحوث ، وربما نسخ كاملة منها في بعض الأحيان .

والجدير بالذكر أن هذه الخدمات تقدم مجاناً لكل باحث أو عالم في المملكة العربية السعودية . وقد تم إجراء (٢٦٣٢٥) بحث بيليوجرافي في قواعد المعلومات المشترك فيها والتي يبلغ عددها حوالي ٤٥٠ قاعدة في أمريكا الشمالية وأوربا ، وذلك في الفترة ما بين ١٤٠١ ـــ ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨١ ـــ ١٩٨٩ م .

٢ . قسم إيصال الوثائق Document Delivery :

بعد إجراء البحث البيليوجرافي ، يزود الباحث أو المستفيد بقائمة بيليوجرافية ، حيث يقوم قسم الاتصال على الخط المباشر بإرسالها له . وقد يرغب بعض الباحثين في الحصول على بعض الوثائق

المدرجة في القائمة الببليوجرافية . من أجل هذا أنشىء قسم إيصال الوثائق . ولمعالجة طلبات المستفيدين في مدة وجيزة ، يقوم هذا القسم باستخدام التقنية الحديثة ، مثل الاتصال المباشر — بواسطة الحاسب الآلي — بجهات خارج المملكة لطلب هذه الوثائق ، وذلك في حالة عدم توفرها محلياً . ويمكن معرفة ما إذا كانت الوثيقة (الدورية) متوفرة محلياً أم لا ، وذلك بالبحث في قاعدة معلومات القائمة الموحدة للدوريات التي سوف نتناولها فيما بعد .

والجدير بالإشارة هنا إلى أن خدمات الوثائق هذه تقدم مجاناً للمستفيدين ، وقد تم تزويد الباحثين بـ (٣٧٦ ١٠٠) وثيقة عن طريق الخدمات التي يقدمها هذا القسم ، وذلك في الفترة ما بين ١٤٠١ — ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨١-١٩٨٩ م .

٣ . المكتبة :

تعتبر مكتبة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية من المكتبات المتطورة التي تدعم أنشطة البحث العلمي ، وتلبي احتياجات المستفيدين من المعلومات . كما تساعد منسوبي المدينة في الحصول على المعلومات المتخصصة في كافة المجالات العلمية والتقنية التي تساعد على تحقيق المدينة لأهدافها الكبرى .

وتضم المكتبة حالياً قرابة (٨٠٠٠) كتاب متخصص ، وكذلك (٣٥٠٠٠٠) وثيقة علمية على شكل بطاقات مصغرة (ميكروفيش) ، إضافة إلى (٥٥٠٠٠) وثيقة علمية وطنية ، وهي التي تقوم قواعد المعلومات الوطنية بحصرها . إضافة إلى ذلك تشترك المكتبة في أكثر من ٢٥٠ دورية علمية . وتساعد المكتبة الباحثين في الحصول على المعلومات من خلال توفير المراجع والمنشورات أو الإعارة من المكتبات الأخرى ... الخ .

وتدعم خدمات المكتبة أنشطة أخرى تتمثل في قاعدة محتويات المكتبة ، وهي متاحة للبحث من قبل المؤسسات المشتركة في شبكة المعلومات الوطنية ، وشبكة الخليج للاتصالات العلمية .

القائمة الموحدة للدوريات الأجنبية :

قامت الإدارة العامة للمعلومات بإعداد قاعدة معلومات عن الدوريات الأجنبية (غير العربية) المتوفرة في مكتبات الجامعات والمكتبات المتخصصة بالمملكة العربية السعودية . وتتضمن تلك القاعدة حوالي (١٣٤٠٠) سجل ، وهي متاحة لإجراء الأبحاث العاجلة على الخط المباشر من أي موقع في داخل المملكة أو في دول الخليج من خلال شبكتين للاتصالات هما : الشبكة الوطنية وشبكة الخليج . ويمكن الاستفادة من تلك القاعدة من عدة نواحي :

١ . اقتسام مقتنيات المكتبات التي تضمها تلك القاعدة .

٢ . تجنب الازدواجية والتكرار بالنسبة لاشتراكات الدوريات للمكتبات الواقعة في محيط جغرافي واحد .

القائمة الموحدة للدوريات العربية :

تقوم الإدارة العامة للمعلومات بإعداد قاعدة معلومات عن الدوريات العربية المتوفرة في المكتبات المتخصصة والمكتبات الجامعية السعودية ، وذلك باستخدام القائمة الموحدة للدوريات العربية التي أعدتها جامعة الملك سعود عام ١٩٨٦ م . وتحتوي تلك القاعدة على ما يقرب من ١٥٠٠ عنوان . هذا ويمكن البحث في القائمتين السابقتين للدوريات بعنوان الدورية أو أي كلمة رئيسية في العنوان أو اسم الناشر ، أو جهة النشر ، أو المكتبة التي توجد بها الدورية ، سواء أكانت دورية عربية أو أجنبية .

قاعدة محتويات الدوريات :

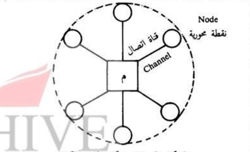
تعتبر خدمات الإحاطة الجارية التي يقدمها مركز المعلومات بمدينة الملك عبد العزيز من أهم الخدمات المميزة التي تقدم لباحثين مختلفين في المملكة العربية السعودية . فكل مشترك في تلك الخدمة يحدد الدوريات العلمية التي تصل إلى مركز المعلومات ويرغب في متابعة الاطلاع على بعض منها في مجال اختصاصه . ويقوم مركز المعلومات بتسجيل كافة البيانات المتعلقة بالمستفيد واهتماماته ، ثم يقوم بتخزين عناوين محتويات الدوريات التي تصل أولاً بأول ، ويتسلم كل مشترك نسخة أسبوعية من عناوين البحوث في مجال اختصاصه . وتضم قاعدة محتويات الدوريات كافة عناوين المقالات للاسترجاع الآلي عند الحاجة ، إذ تحتوي على حوالي ١٠٠٠٠٠ سجل ببليوجرافي ، ويضاف إليها أسبوعياً نحو ٥٠٠ سجل . ويمكن البحث في تلك القاعدة تحت أسماء المؤلفين أو أي كلمة رئيسية في عنوان المقالة . وتقدم هذه الخدمات للمشتركين مجاناً دون مقابل ، وذلك تشجيعاً للبحث العلمي في المملكة . ويبلغ عدد المستفيدين من قاعدة محتويات الدوريات ١٤٧ مستفيداً .

٤ . إدارة الحاسب الآلي :

تقوم إدارة الحاسب الآلي بمركز المعلومات بتطوير البرامج الآلية اللازمة لتشغيل وصيانة أنظمة المعلومات التي تشرف عليها الإدارة . وتعتمد هذه الإدارة في نشاطاتها على خبرة مختصيها وعلى أجهزة آلية متطورة منها جهاز IBM موديل ٤٣٦١ ، وجهاز VAX موديل ٧٣٠/١١ ، هذا إضافة إلى عدد من أجهزة الحاسبات الآلية الشخصية والطرفيات وأنظمة الاتصالات المختلفة . وتقدم الادارة جميع الخدمات المساعدة والخاصة بأنظمة الحاسب الآلي إلى كافة أقسام مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، إضافة إلى بعض الجهات الخارجية . وإضافة إلى أنظمة إدخال البيانات التي قامت الإدارة بتطويرها ، فقد طورت النظام الآلي لاسترجاع المعلومات

من القواعد الوطنية (NRS) ، وهذا النظام يساعد على الاسترجاع الفوري باللغتين العربية والإنجليزية ، وله ميزات وإمكانات متعددة تساعد على استقصاء المعلومات بالشكل المطلوب ، مع مراعاة الوقت والموضوع ومكان البحث .

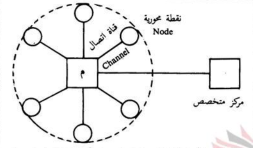
ويؤكد الكاتب على أن شبكة الخليج Gulfnet تعرف حسب تقسيم مختصي المعلومات بالشبكة المركزية، وهي تلك التي تترابط فيها النقاط المحورية Nodes عن طريق مركز تحويل وهو هنا الحاسب الآلي الرئيسي في مدينة الملك عبد العزيز . أما النقاط المحورية فهي تمثل الوحدات المختلفة المشتركة في الشبكة مثل الجامعات ومراكز البحث العلمي ـــ ويتصل مركز التحويل بالنقاط المحورية بواسطة قنوات اتصال Channels كما هو موضح بالشكل رقم (١) . ومعنى ذلك



الشكل رقم (١) شبكة الخليج المركزية

أن النقاط المحورية لا تستطيع أن تتصل مع بعضها البعض إلا عن طريق مركز التحويل الرئيسي ، إذ يمكن لأحد الباحثين مثلاً في مركز الأبحاث الكويتي الاتصال بزميله في جامعة الملك سعود أو مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية وتبادل المعلومات عن طريق مركز التحويل الذي هو بمثابة الحاسب الآلي الرئيسي .

ونظراً للإمكانات الهائلة لتلك الشبكة والتقنية المتقدمة المستخدمة فيها ، فإنه يمكن لتلك الشبكة المركزية أن تتصل بأحد المراكز المتخصصة عن طريق قناة إضافية ، ويمكن للباحثين في النقاط المحورية المختلفة الاتصال وتبادل المعلومات مع تلك المراكز المتخصصة كما هو موضح بالشكل رقم (٢) .



الشكل (٢) شبكة الخليج المركزية تتصل بأحد المراكز المتخصصة

كما يمكن أيضاً لشبكة الخليج المركزية الاتصال بشبكة مركزية أخرى بواسطة قناة إضافية ، ويمكن أن تكون الشبكة الأخرى هذه داخلية أو خارجية (أي خارج المملكة العربية السعودية) كما يمكن في الوقت نفسه قيام الباحثين في النقاط المحورية المختلفة المشتركة في الشبكة تبادل المعلومات والاتصال مع بعضهم البعض من خلال مراكز التحويل في سهولة ويسر . والشكل رقم (٣) يوضح عملية الربط بين شبكتين مركزيتين .



الشكل رقم (٣) يوضح الاتصال بين شبكة الخليج وشبكة مركزية أخرى مماثلة

والهدف الرئيسي من إنشاء شبكة الخليج هو توفير البنية الأساسية لتسهيل تبادل البيانات والمعلومات والرسائل بين العلماء والباحثين في دول الخليج العربية التي تتصل بأجهزة الحاسب الآلي المرتبطة بالشبكة . وتهدف الشبكة كذلك إلى تشجيع الاتصال غير الرسمي وتعزيز التعاون في مشروعات الأبحاث العلمية المشتركة[٥].

شبكة الاتصالات الوطنية :

وشبكة الاتصالات الوطنية التي طورتها مدينة الملك عبد العزيز التي تربط مراكز الأبحاث والمكتبات في المملكة العربية السعودية بنظام الحاسب الآلي الرئيسي في المدينة ، تساعد الجهات المرتبطة بها في الوصول إلى المعلومات المخزونة في قواعد المعلومات الوطنية المختلفة والمختزنة في حاسب مركز المعلومات بالمدينة .

قواعد المعلومات على أقراص الليزر المكتنزة ذات الذاكرة المقروءة فقط CD-ROM :

تشترك مدينة الملك عبد العزيز في الخدمات التي تقدمها بحوالي ٤٥٠ قاعدة معلومات عالمية في أوربا وأمريكا ، حيث توفر تلك القواعد المعلومات الحديثة للباحثين في سهولة ويسر ، وإيماناً من مركز المعلومات بالمدينة بأهمية تلك القواعد ، فقد قام بعض خبراء المركز بدراسة فعالية التكلفة بالنسبة لخدمات المعلومات التي توفرها قواعد المعلومات ، وذلك في ضوء توفر بعض القواعد على أقراص ليزر مكتنزة ذات ذاكرة مقروءة فقط . فقد رأى المسئولون توفير كافة قواعد المعلومات التي صدرت على أقراص ليزر لتقديم خدمات المعلومات في داخل المركز بدلاً من الاتصالات الدولية عبر الأقمار الصناعية لإجراء البحوث الببليوجرافية على قواعد المعلومات تلك . وقد تم تأمين عدد ٢١ قاعدة معلومات حتى نهاية مارس ١٩٩٠ م . وتتميز قواعد المعلومات المتوفرة على أقراص الليزر المكتنزة التي تم اقتناؤها بما يلي :

١ . سهولة استخدامها من قبل الباحثين أنفسهم محلياً .

٢ . إمكان تعديل وتغيير استراتيجية البحث المستخدمة كلما احتاج الأمر إلى ذلك .

٣ . يشكل عائد التكلفة بالنسبة لاستخدام تلك القواعد محلياً مردوداً مجزياً . إذ يقتصر استخدامها مقابل دفع الاشتراك المقرر فقط ، ويتم بذلك المخصص توفير قيمة الاتصالات الهاتفية اللازمة لعمل البحث ، كما لا توجد قيمة للوقت لاستغلال قواعد المعلومات .

٤ . يمكن تحديثها باستمرار ، وذلك باستبدال الأقراص المتوفرة بأقراص جديدة . ويتم التحديث لبعض القواعد شهرياً والآخر كل ثلاثة شهور .

٥ . يستطيع الباحث قضاء فترة أطول في عملية إجراء البحث ، حيث توفر القاعدة محلياً ، ولا توجد أي ضغوط من حيث فترة الاستخدام .

٦ . يمكن استخدام تلك القواعد بواسطة الحاسبات الآلية الشخصية المهيأة لاستعمال أقراص الليزر المكتنزة CD-ROM Drive وفيما يلي وصف مختصر لتلك القواعد :

١ . اسم القاعدة : ABI/INFORM

نظام : UMI

فترة التغطية : منذ عام ١٩٨٤ وحتى تاريخه .

عدد الأسطوانات : أربع .

المحتويات : مستخلصات لمقالات حوالي ٧٠٠ دورية متخصصة في إدارة الأعمال وكل أسطوانة تحتوي على حوالي (٢٠٠٠٠٠) تسجيلة ببليوجرافية مع مستخلص لكل تسجيلة يتكون من ١٥٠ كلمة . وهي تحدث شهرياً .

٢ . اسم القاعدة : AGRIBUSINESS, USA

نظام : ديالوج DIALOG

فترة التغطية : منذ عام ١٩٨٥ وحتى تاريخه .

عدد الأسطوانات : واحدة .

محتويات القاعدة : تقدم معلومات عن الإدارة الزراعية — اقتصاد زراعي — إحصاءات زراعية — أسعار — التغطية الجغرافية عالمية — توفر مستخلصات إعلامية وجداول إحصائية كاملة .

٣ . اسم القاعدة : AGRICOLA

نظام : سيلفر بلاتر Silver Platter .

فترة التغطية : ١٩٧٠ حتى تاريخه .

عدد الأسطوانات : ثلاث .

محتويات القاعدة : تغطية شاملة للمطبوعات الزراعية والمجالات المتعلقة . تنتج تلك القاعدة وزارة الزراعة الأمريكية .

٤ . اسم القاعدة : Book in Print Plus

نظام : بوكر Bowker .

فترة التغطية : منذ ربيع ١٩٨٩ وحتى تاريخه .

عدد الأسطوانات : واحدة .

محتويات القاعدة : تغطية شاملة لكل الكتب المنشورة في الولايات المتحدة المتوفرة في سوق النشر . تحتوي على تسجيلات ببليوجرافية لنحو (٢٢٠٠) ناشر — تحتوي على معلومات للكتب التي ما زالت متوفرة في سوق النشر ، وكذلك للكتب المتوقع نشرها خلال ستة الأشهر التالية .

٥ . اسم القاعدة : Canadian Business & Current Affairs

نظام : ديالوج Dialog .

فترة التغطية : منذ يونيو ١٩٨٩ حتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : واحدة .
محتويات القاعدة : تكشيف لحوالي (٢٢٠٠٠٠) مقالة سنوياً تظهر في حوالي (٢٠٠) دورية كندية ، وتقريباً (٣٠٠) مجلة عامة ، وعشر صحف . تقدم معلومات عن الشركات والمنتجات والصناعة ، وكذلك شئون عالمية ووطنية ومحلية .

٦ . اسم القاعدة : Chem Bank (Hqzard Chemicals)
نظام : سيلفر Silver .
فترة التغطية : منذ سبتمبر ١٩٨٨ حتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : واحدة .
محتويات القاعدة : تغطي محتويات ثلاثة بنوك معلومات كيميائية هي : OHMTADS, CHRIS & RTECS .

٧ . اسم القاعدة : Computer Specs .
نظام : سيلفر بلاتر Silver Platter .
فترة التغطية : منذ مارس ١٩٨٩ م حتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : واحدة .
محتويات القاعدة : معلومات عامة عن الحاسب الآلي والمنتجات المتعلقة به من ١٥٠٠ شركة عالمية .

٨ . اسم القاعدة : مستخلصات الرسائل الجامعية Dissertation Abstracts .
نظام : UMI .
فترة التغطية : ١٧٦١ وحتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : أربع .
محتويات القاعدة : تحتوي على معلومات أكثر من (٩٠٠٠٠٠) رسالة دكتوراه وماجستير في موضوعات مختلفة . يضاف إلى تلك القاعدة سنوياً (٣٠٠٠٠) عنوان جديد من (٤٧٥) جامعة معترف بها عالمياً . تغطي جامعات شمال أمريكا منذ عام ١٩٨١ . كما تتضمن مختارات من رسائل الماجستير من أمريكا الشمالية منذ عام ١٩٦٢ . ومنذ عام ١٩٨٨ أضيفت الرسائل الجامعية المجازة من خمسين جامعة بريطانية ، وأيضاً منذ ربيع ١٩٨٨ أضيفت الرسائل الأوربية لتلك القاعدة لتشكل أكبر مصدر معلومات أولية من نوعه .

٩ . اسم القاعدة : إريك ERIC .
نظام : ديالوج Dialog .
فترة التغطية : ١٩٦٦ حتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : اثنتان .
محتويات القاعدة : تحتوي على المواد التربوية المتوفرة في مركز معلومات المقتنيات التربوية التابع لوزارة التربية الأمريكية . المقتنيات في التربية Resources in Education (RIE) هو واحد من أحد الملفين الفرعيين لتلك القاعدة . أما الملف الفرعي الثاني فهو عبارة عن كشاف الدوريات الجارية في التربية Current Idex to Journal in Education (CIJE) حيث يغطي هذا الكشاف (٧٥٠) دورية .

١٠ . اسم القاعدة : دائرة المعارف الإلكترونية Electronic Encyclopeida .
نظام : Knowledge System .
فترة التغطية : ١٩٨٦ (تاريخ النشر) .
عدد الأسطوانات : واحدة .
محتويات القاعدة : أداة مرجعية تحتوي على ٢٠ مجلداً ، تغطي مجالات العلوم الإنسانية والفنون ، والعلوم البحتة والتقنية ، العلوم الاجتماعية ، الجغرافيا ، الرياضة ... الخ .
تحتوي على (٣٠٠٠٠) مدخل في (١٠٠٠٠) صفحة مطبوعة مع الكشاف .

١١ . اسم القاعدة : مستخلصات علوم المكتبات والمعلومات LISA
نظام : Silver Platter .
فترة التغطية : ١٩٦٩ حتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : اثنتان .
محتويات القاعدة : تغطي تلك القاعدة مجال المكتبات والمعلومات والموضوعات ذات الصلة ، مثل النشر وبيع الكتب . كذلك تتضمن البحوث الجارية المطبوعة في Current Research in Library and Information Science .

١٢ . اسم القاعدة : Material Safety Data Abstracts .
نظام : MSDS
فترة التغطية : يوليو ١٩٨٧ .
عدد الأسطوانات : واحدة .
محتويات القاعدة : تحتوي على أكثر من (٣٥٠٠٠) تسجيلة لبيانات سلامة المادة التي انتجتها : National safety data corporation of USA

١٣ . اسم القاعدة : ميدلاين MEDLINE .
نظام : ديالوج .
فترة التغطية : ١٩٨٤ حتى تاريخه .
عدد الأسطوانات : ست .
محتويات القاعدة : تشتمل على المعلومات التي تحتويها ثلاثة كشافات هي : الكشاف الطبي Index Medicus ، وكشاف طب الأسنان Index to Dental Literature ، والكشاف العالمي للتمريض International Nursing Index. وجميع هذه الكشافات تنتجها

المكتبة الطبية الوطنية (NLM). وتغطي كافة التخصصات الطبية والفروع ذات الصلة بالطب مثل التمريض، وإدارة المستشفيات، والصيدلة، وعلم النفس، والتعليم الطبي، والاضطرابات العقلية، والطب المهني، والتغذية، والتشريح، وكافة التخصصات الطبية الأخرى.

١٤. اسم القاعدة: مجموعات ميدلاين الطبية Medline Clinical Collections.

نظام: ديالوج DIALOG.

فترة التغطية: ١٩٨٤ حتى تاريخه.

عدد الأسطوانات: واحدة.

محتويات القاعدة: مجموعة قواعد بيانات مختلفة في الطب، وعلوم الحياة، وعلوم الطبيعة، وتقنيات طبية ـ تغطي مقالات الدوريات فقط، وتشتمل على موضوعات في مجالات الطب التجريبي والإكلينيكي، الصيدلة، علوم الحياة، الطب الحيوي، الكيمياء الحيوية، علم الأحياء الدقيقة، طب الأسنان، التمريض، الخدمات الصحية، الزراعة، الطب البيطري، علم التغذية، العلوم السلوكية.

١٥. اسم القاعدة: المعجم المتعدد اللغات Multilingual Dictionary.

النظام: NEC.

فترة التغطية: ١٩٨٧.

عدد الأسطوانات: واحدة.

محتويات القاعدة: عمل تضامني مشترك لستة من أشهر ناشري المعاجم العالميين، إذ تحتوي تلك القاعدة على أربعة عشر معجماً علمياً وتقنياً وإدارة أعمال ومعاجم عامة. ويشتمل على اللغات الإنجليزية والألمانية والإسبانية والفرنسية والهولندية والإيطالية واليابانية والصينية.

١٦. اسم القاعدة: الخدمات الوطنية للمعلومات الفنية NTIS (US Technical Reports).

نظام: ديالوج DIALOG.

فترة التغطية: ١٩٨٠ ـ ١٩٨٣، ١٩٨٥ ـ حتى تاريخه.

عدد الأسطوانات: اثنتان.

محتويات القاعدة: المصدر الرئيسي للمعلومات عن البحوث التي تتولاها الحكومة الأمريكية. وتحتوي على تقارير بحوث هندسية وبحوث حكومية. وتغطي كذلك موضوعات مثل إدارة أعمال وشئون مالية، هندسة، بيئة، اتصالات، تقنية حيوية، نقل، طاقة، نقل تقنية، تخطيط الصحة، تخطيط مدن وتخطيط إقليمي، مشكلات اجتماعية، موارد طبيعية، تقنية فضاء، تقنية محيطات، وعلوم أساسية حوالي (٧٠٠٠٠) مادة تضاف سنوياً. تضاف أيضاً بعض التقارير الصناعية الأساسية من أوربا واليابان.

١٧. اسم القاعدة: Software - CD.

نظام: سيلفر بلاتر Silver Platter

فترة التغطية: سبتمبر ١٩٨٩.

عدد الأسطوانات: واحدة.

محتويات القاعدة: تحتوي على أكثر من (١٠٠٠٠) برنامج في مجال إدارة الأعمال، والتأهيل المهني، وتقنية المجتمعات.

١٨. اسم القاعدة: Standard & Poor's Register Co.

نظام: ديالوج.

فترة التغطية: يوليو ١٩٨٩ .ج

عدد الأسطوانات: واحدة.

محتويات القاعدة: تحتوي على حقائق مهمة لأكثر من (٤٥٠٠٠) شركة عامة وخاصة أمريكية أو غير أمريكية المنشأ ـ تشتمل على العنوان الحالي لكل شركة ـ معلومات مالية وتسويقية ـ الأشخاص المسئولين والمديرين والأقسام المختلفة.

١٩. اسم القاعدة: TOXILINE.

نظام: سيلفر بلاتر.

فترة التغطية: ١٩٨١ ـ سبتمبر ١٩٨٩.

عدد الأسطوانات: اثنتان.

محتويات القاعدة: تحتوي على مجموعة من الملفات البيليوجرافية من المكتبة الطبية الوطنية بالولايات المتحدة (NLM)، حيث تغطي موضوعات في الصيدلة، والعلوم الطبية الحيوية، والتشريح، وتأثير الدواء والكيماويات الأخرى على الصحة والبيئة. وتحتوي على مراجع منشورة وكذلك البحوث التي ما زالت تحت البحث والدراسة في مجالات: تلوث الهواء، وتقويم الدواء، وتلوث البيئة، وتلوث الطعام، والإشعاع، والنفايات، ومعالجة المياه... الخ. حوالي ٧٥٪ من تلك القاعدة مأخوذة من قاعدة ميلاين التي سبقت الإشارة إليها برقم ١٣.

٢٠. اسم القاعدة: ULRICH'S PLUS.

نظام: بوكر Bowker

فترة التغطية: ربيع ١٩٨٩.

عدد الأسطوانات: واحدة.

محتويات القاعدة: يعرف دليل أولرخ العالمي للدوريات بأنه أيضاً قاعدة بيانات بوكر العالمية للمسلسلات. وتلك القاعدة عبارة عن مصدر فريد من نوعه للمعلومات عن الدوريات والمسلسلات الأمريكية والعالمية ويحدث باستمرار. يحتوي على ١٣٣٠٠٠ مدخل لحوالي (٥٩٠٠٠) ناشر، تغطي (٦٨٠٠٠) دورية في

(٥٣٤) موضوع . كما يشتمل على (٣٥٠٠٠) حولية وأعمال مؤتمرات ، وبعض المطبوعات الأخرى غير المنتظمة الإصدار .

٢١ . اسم القاعدة : مستخلصات مصادر المياه Water Resources Abstracts

نظام : AIRS .

فترة التغطية : ١٩٦٧ ــ يونيو ١٩٨٨ .

عدد الأسطوانات : واحدة .

محتويات القاعدة : تشتمل تلك القاعدة على مستخلصات مصادر المياه التي تصدرها إدارة المساحة الجيولوجية بالولايات المتحدة . وتلك القاعدة أو الأسطوانة تنتجها مؤسسة خدمات المعلومات الوطنية بالولايات المتحدة .

هذا وقد أصدرت الإدارة العامة للمعلومات دليلاً بتلك القواعد في فبراير ١٩٩٠ م ، ١٤١٠ هـ وذلك بعنوان «دليل قواعد المعلومات المتوفرة على أقراص الليزر» .

المصـادر

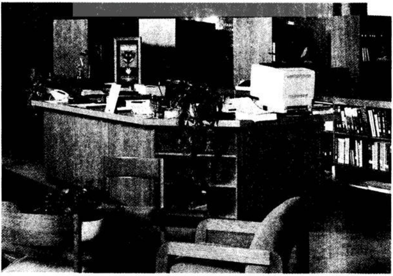
(١) مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية . الإدارة العامة للمعلومات .ــ المدينة ، سبتمبر ١٩٨٩ .

(٢) مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية . دليل قواعد المعلومات المتوفرة على أقراص الليزر .ــ الرياض : المدينة ، ١٤١٠ هـ .

(٣) مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية . شبكة الخليج للاتصالات العلمية .ــ الرياض : المدينة ، ربيع الآخر ١٤٠٩ ، نوفمبر ١٩٨٨ .

(٤) محمد العلي الطاسان . خدمات المعلومات وتجربة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .ــ مجلة المكتبات والمعلومات العربية . مج ٧ ، ع ٢ ، أبريل ١٩٨٧ ، ص ص ٧٠-٨٢ .

(٥) محمد العلي الطاسان . شبكات المكتبات والمعلومات . محاضرة ألقيت في الدورة التدريبية حول استخدام الحاسوب في مراكز المعلومات .ــ عمان : ١٤١٠ هـ .



تقنية المعلومات ومكتبة المستقبل

أبوبكر محمود الهوش
أستاذ مشارك بقسم المكتبات والمعلومات
جامعة ناصر

يشهد العصر الحديث ثورة متزايدة في مجال تقنية المعلومات ، وقد أدى ذلك إلى مجاراة بعض المكتبيين ومختصي المعلومات لهذه الثورة ، في حين كان القليل منهم — وهم أولئك الذين يسمون بمفكري المستقبل ، مثل لانكستر "F. LANCASTER" المتفوه والمدافع عن المجتمع الخالي من الورق ومستقبل المكتبات للسنين القادمة ، ودونالد كنج "D. KING" وهو من القادة القلائل في هذا الموضوع ، بالإضافة إلى لكلايدر "C.R. LICKLIDER" وجيمس طومسون "J. THOMPSON" وقليل آخرين[1] كانت لهم دراساتهم عن اتجاهات المستقبل ودور المكتبة الحديثة في إطار تقنية المعلومات الحديث ..

لقد تأثرت المكتبات بالحواسيب والتطورات في مجال الاتصالات عن بعد بطريقتين[2] هما :

١ — استخدام الحواسيب في حفظ التسجيلات الببليوجرافية "RECORDS" بالمكتبات ، ومن أمثلة هذه الأنشطة : التزويد وتسجيل الدوريات والإعارة والفهرسة ، والنتائج النهائية المنطقية لهذا الاستخدام تتمثل في اختفاء التسجيلات الورقية ، بما في ذلك الفهرس البطاقي ، وفي تكوين الشبكات التي تتيح للمكتبات المشاركة في التسجيلات الببليوجرافية وتبادلها (الفهرسة التعاونية ، الإعارة بين المكتبات ، ... الخ) .

٢ — استخدام الحواسيب والاتصالات عن بعد مما يتيح للمكتبات إمكانية الوصول لقواعد المعلومات الخارجية مما يغير تماماً المفاهيم السابقة الخاصة (بالمجموعات والمكتبات والأمناء) .

ويحاول لانكستر "F.W. LANCASTER" في كتابه «المكتبات والمكتبيون في عصر الالكترونات» تحفيز المكتبيين على إعادة النظر في تقويم دور المكتبة كمعهد ، ودور المكتبيين كمتخصصي معلومات ، في الوقت الذي يستعرض فيه الاتجاهات التقنية خلال العشرين سنة الماضية في الاتصالات السلكية ، وتقنية الحاسوب لاستخداماتها في تخزين واسترجاع المعلومات ، ثم البريد الالكتروني والمؤتمرات السلكية ، والبث المرئي المتداخل ، ثم النشر والإذاعات والتطورات المستقبلية المحتملة في التقنية بالنسبة للمكتبات ، ثم ماذا يمكن أن تكون مكتبات المستقبل ؟[3].

تستعرض ماري وولف "M. WOLFE" طريقة تطبيق التقنية في وظائف المكتبة بأنها تتبع ثلاث مراحل[4] :

١ — في المرحلة الأولى تطبق التقنية على العمليات اليدوية ، مثل الإعارة والتسجيل للدوريات وغيرها لغرض الاختصار في الوقت والاقتصاد في الكلفة .

٢ — في المرحلة الثانية تستخدم التقنية لأداء الأعمال غير التقليدية ، وهذه محاولات إبداعية في تنفيذ الوظائف التقليدية .

٣ — أما المرحلة الثالثة فتتمثل في استخدام الحواسيب من أجل تكوين وإرساء خدمات جديدة غير تقليدية .

وتتوقع ماري وولف "M. WOLFE" أن تكون هناك تطورات حديثة في موضوعات مثل المؤتمرات الالكترونية ، والبريد الألكتروني ، والنشر الالكتروني التي سيكون لها تأثيرها الملموس على تنفيذ وظائف المكتبة في المستقبل[5].

ويرى جيمس طومسون "J. THOMPSON" بأن عدم استقرار المكتبات الحالية يعود إلى إحجام المجموعات الضخمة ، ونظم التصنيف غير الناجحة ، وطبيعة الكتاب نفسه ، ومزاج المكتبيين المتخصصين ... كل هذه الأمور يمكن أن تؤدي إلى انقراض المكتبات . إن المكتبات فاشلة في الاستجابة بسرعة كافية إلى التقنية الزاحفة ، وهي التقنية التي تزيل جميع مناوئيها السابقين ، وكذلك فإن مواصلة التعنت سيؤدي بالمكتبات إلى فقدان روابطها الأساسية بالوصول إلى المعلومات لأغراض ترفيهية وثقافية وتربوية ، وسوف تصبح وثائق أرشيف مطبوعة لا علاقة لها بالمجتمع[6].

ويوضح دان ليس "D. LACY" مدى التقارب والتباعد بين نظم المكتبات التقليدية والنظم الحديثة الناتجة عن تقنية المعلومات ، وذلك أنه كلما بعدنا عن الآلة الكاتبة اقتربنا من الطرفي ، وكلما بعدنا عن الفهرس البطاقي أو المطبوع اقتربنا من تقنية الخط المباشر واستخدامها في تخزين واسترجاع البيانات الببليوغرافية ، هذا التقارب والتغير له أثره على الأفراد والأجهزة وأبنية المكتبات[7].

ويعتقد طومسون "J. THOMPSON" بأن المكتبات يجب أن تتغير ، إنها وما تمثل من معلومات مهمة جداً للمجتمع، فهي الذاكرة الإنسانية ، وإن المكتبيين يجب أن يرفضوا بناء المجموعات ثم البحث عن روابط مع المستفيدين ، فالمكتبات لها دور حيوي في العصر الالكتروني ، وإن رسالتها في الاختيار وتخزين وتنظيم ونشر

المعلومات سوف تبقى ذات أهمية عالية ، وإن طريقة تنفيذ هذه الرسالة أو المهمة يجب أن تتغير بصورة فعلية فيما إذا أريد لهذه المكتبات مواصلة الحياة[٨]. ومهما يكن الأمر فإن هناك مشكلة معروفة جيداً لأمناء المكتبات ولا زالت باقية ، ويجب التغلب عليها ، وهي خاصة باسترجاع المعلومات ، إن عملية استرجاع المعرفة تعني التعامل مع الأفكار وليس التعامل مع نظم التصنيف ، هل سيكون الحاسوب قادراً على معالجة المعضلات العقلية (الفكرية) لعملية استرجاع المعلومات إلى الحد الذي يصبح معه وجود متخصصي المعلومات غير ضروري ؟[٩].

وفي دراسة استقصائية تمت مع الإداريين الجامعيين في «٢٦» جامعة أمريكية حول موضوع النشر الالكتروني ونظام التقويم الأكاديمي ، وجد الكاتبان سلر ورابين "SEILER AND RABEN"[١٠] اتجاهاً واسع الانتشار حول قبول النشر الالكتروني كبديل للنشر التقليدي أو نشر المطابع ، وهما يفكران بالكلفة بدلاً من قبول القراء كعامل أساسي ، لأن هذا العامل هو الذي يمكن المكتبيين ومتخصصي المعلومات من وضع الخطط المستقبلية بخصوص المكتبة الالكترونية ، وتوصلا إلى الاعتقاد بأن الإداريين في الجامعات سوف لن يقاوموا فكرة بث المعلومات الكترونياً كما يعتقد الكثير ..

وبالنسبة للتكلفة المالية يرى "D. RUSSON" بأنه على المكتبات أن تشتري أجهزتها ، ثم تتكفل بصيانتها ، وإن هذا الجانب سوف يتقاضى القسم الأكبر من ميزانيات المكتبات كالأجهزة والمواصلات السلكية[١١] على حساب امتلاك المواد المكتبية ، ففي مكتبة المستقبل ستنفق رؤوس الأموال على الأجهزة الضرورية التي تساعد على الوصول إلى مصادر المعلومات بدلاً من شراء مصادر المعلومات نفسها[١٢].

كما أن خزن المنشورات الالكترونية هو جد مختصر ، وبذلك تتمكن المكتبات من أن تقتصر على حساب قاعات الخزن المكلفة ، وعلى المكتبيين أن يقرروا عند الانتقاء أو الاختيار بين المصادر التقليدية أو الالكترونية[١٣]، وعليه فسوف تتخلص المكتبة من دفع المبالغ الطائلة التي تدفع لقيمة الاشتراكات وخاصة في الدوريات ، وإن كل ذلك المبلغ سوف تتخلص منه المكتبة ، ولن تحتاج لأكثر من رأسمال زهيد لشراء الأثاث الضروري للمكاتب والمنافذ للوصول إلى مراصد المعلومات[١٤].

وحول الطريق إلى المستقبل قدم لانكستر "F.W. LANCATER" عدة مشاهد حول احتمال شكل مكتبة المستقبل كمعهد ، وإن كتاباته تتضمن تحديداً مثالياً ، ولكنها افتراضات بسيطة حول التحدي التقني ، والتكيف الإنساني مع هذا التحدي التقني وتقبله . وفي كتابه[١٥] يقدم أساساً ممتازاً ونقطة انطلاق يمكن الانطلاق منها للاستطلاع في النشر الالكتروني والتوصيل السلكي وتقنية الحاسوب وغيرها من تطورات عصر المعلومات[١٦].

ويذكر "F.W. LANCASTER" أيضاً أننا نقترب من اليوم الذي يمكن أن تكون فيه مكتبة عظيمة للعلوم داخل مجال مساحته أقل من ١٠ أقدام مربعة[١٧]، ويقول لويس "P.R. LWEIS" إن مكتبات مراصد المعلومات قادمة[١٨]. وفي الموضوع نفسه يقول جاكسون "A. H. JACKSON" إن القرص المستخدم من قبل الحواسيب الصغيرة سوف يسع مائة صفحة من النمط (A 4) ، ويقول فوسكت "A.C.FOSKETT" إن أوساط تخزين أخرى هي مدهشة حقاً أكثر مما ذكر ، ونحن نسمع الكثير والكثير عن أقراص الفيديو ، حيث إن قرص الفيديو الواحد يمكن أن يسع ثلاثة بلايين حرف ، أو ما يعادل ستة آلاف كتاب ، ومستحدثات أخرى في حيز الوجود جعلت من الممكن تخزين كل الكتب التي نشرت حتى الآن في وسط واحد[١٩].

ويورد شعبان عبد العزيز خليفة تحديداً لثلاثة أحجام من أقراص الليزر[٢٠] :

— حجم «١٢» بوصة ، وطاقته النظرية «٥» ملايين لقطة (صفحة) .
— حجم «٨» بوصات ، وطاقته النظرية «٣» ملايين لقطة (صفحة) .
— حجم «٤/٣ ٤» بوصة قطراً ، وطاقته النظرية مليون ونصف المليون لقطة (صفحة) . وذلك على الوجهين ..

وحول استخدامها في المكتبات ومراكز المعلومات يذكر الباحث نفسه أن المطبوعات ما زالت تشكل في المتوسط العام ٨٠٪ من مقتنيات تلك المؤسسات ، والـ ٢٠٪ الباقية تتوزع بين مواد سمعية بصرية ومصغرات فيليمة ومؤلفات البيانات المقروءة آلياً ، مع الأخذ في الاعتبار أن تلك النسبة قد تزيد أو تنقص حسب مقتضيات الأحوال[٢١].

والمطبوعات تحتل حيزاً كبيراً وتنمو نمواً مطرداً ، ومن ثم يضيق بها المكان يوماً بعد يوم :

١ — وأخطر من هذا أن هذه المطبوعات تصنع الآن من الورق الكيميائي الذي يحمل بين طياته عوامل فنائه .
٢ — كما تكمن في أن الورق يصنع أصلاً من لب الشجر ، ونحن نستهلك في كل سنة كميات ضخمة من غابات العالم في سبيل صناعة الورق «٨٠» مليون طن ورق في كل سنة .
٣ — إن المطبوعات عرضة لعوامل التلف الصناعي كالحريق والغرق والسرقة وسوء الاستعمال[٢٢].

كما ألمح "I.M. KLEMPNER" حول كيفية تأثير إجراءات عمليات المكتبة فقال : «إن معدل التقدم الحديث في تقنية المعلومات من الحواسيب ومكونات الاتصالات وتطوير برامج الحواسيب وإجراءات التفتيش والاتصال بين مراصد المعلومات ، ثم دمج ووصل نظم المعلومات المختلفة ومراصدها يقابله تطور الكثير من الإجراءات المكتبية التقليدية وممارساتها ووظائفها» . والواقع أن هذه التطورات ذات تأثير على كل منا مهنياً وفردياً واجتماعياً ، وأن المستقبل متنوع ولا يمكن فهمه أو سبر غوره[٢٣].

إن تأثير العصر الالكتروني هو تأثير بعيد المدى في كل من الأقطار النامية والمتقدمة ، وأن الكثير من المؤلفين وصفوا هذا التأثير وهذا العصر بأنه الكوخ الالكتروني أو أنه الثورة الثالثة أو أنه عصر الفضاء ... وعلى كل حال ومهما يكن الاسم فإن "H.M.NEUSTADT" قد أعطانا حلاً لتاريخ هذا التطور بقوله «إن التطور بدأ قبل مائة سنة ونحن لا زلنا في منتصفه»[٢٤].

وإن أهم تأثير للمنشورات الالكترونية على المكتبات ولاسيما على قراءها هو زيادة أو تحسين الوصول إلى المعلومات واسترجاعها ، فهذه المنشورات الالكترونية سهلت هذه العملية للمزيد من المعلومات ، حتى يمكننا القول بأنه على المدى البعيد سوف تقلل هذه المنشورات الالكترونية من الحاجة إلى استخدام المكتبة أو الاستفادة من مهارات المكتبي ، لأن القارىء سيتمكن من الوصول إلى المعلومات وهو قابع في بيته أو مكتبه أو مختبره عن طريق منفذ الحاسوب . إذاً فلماذا الذهاب إلى المكتبة ما دام القارىء يمكنه أن يحصل على المعلومات عن طريق المنفذ الموجود على منضدته ؟[٢٥].

إن النشر الالكتروني وإن كان ما زال في المرحلة الجنينية إلا أنه أبدى تأثيراً عميقاً على المكتبات في الدول المتقدمة ، وإن إمكانية وصول المنشورات عن طريق الحاسوب والاتصال السلكي بإمكانها تغيير مفهومنا عن مكونات المكتبة[٢٦].

وحول بعض التغييرات الاجتماعية التي يمكن أن تأتي نتيجة لاستخدام تقنية الحاسوب تعتقد سوزان ارتاندي "SUSAN ARTANDI" بأن الشعور الاجتماعي بخصوص التأثير التقني لم يكن ذا بال في المجتمع ، وأن المكتبيين سوف يتأثرون تأثيراً مباشراً بمشكلات النظام المعقد والمسئولية عن مصادر المعلومات والسرية وسلامة البيانات وخسران الأعمال التي ستأتي نتيجة للتغيير التقني ونحن الآن بحاجة إلى أن نفكر جدياً بهذه القضايا[٢٧].

وحول نتائج تأثير تقنية المعلومات مستقبلاً على المعلومات وخدماتها يؤكد دونالد كنج "DONALD KING" دور نظم استرجاع المعلومات على الخط المباشر وتسجيل المعلومات الكترونياً ومن جملتها نشر المنشورات ، وقد تفحص "D. KING" في دراسته المظاهر التالية[٢٨] :

١ ــ تكاليف الأسلاك الهاتفية .
٢ ــ قيمة منافذ الحاسوب .
٣ ــ نظام مسهب لدوريات الكترونية .
٤ ــ الإعارة بين المكتبات .
٥ ــ النشر الالكتروني عبر نظام تحرير الكتاب الكترونياً .
٦ ــ الظروف الاقتصادية والشروط التقنية .

كما ستحدث تقنية المعلومات الجديدة أيضاً تغيرات جذرية في إدارة المكتبات وخدماتها ، مثل وجود أعداد كبيرة من الحواسيب بمختلف أحجامها وأنواعها في المكتبات ومراكز المعلومات ، بالإضافة إلى أجهزة المصغرات الفيلمية ، الأمر الذي سينتج عنه انكماش في حجم صالات المطالعة . وقد بدأت المكتبات تقتني وتعير للمستفيدين أوعية معلومات جديدة غير الكتب والدوريات بشكلها التقليدي . وتتمثل هذه الأوعية الجديدة في ميكروفيلم وميكروفيش وأشرطة وأسطوانات وكاسيت وفيديو وأسطوانة مرنة "FLOPPY DISKS" تحتوي على برامج تعليمية وترفيهية أو حسابية ، وحتى الحواسيب الصغيرة «الميكروية» تعار الآن من قبل بعض المكتبات كما تعار الأفلام والأسطوانات والكتب[٢٩].

ويرى دولن "K. DOWLIN" أن للمكتبة فرصة أخرى بالإضافة إلى مواصلة تقديم خدمات المعلومات لقرائها تتمثل في إمكانية المكتبة في التوسع في تقديم خدمات مهمة إلى أعداد كبيرة من المستفيدين منها[٣٠]:

أ . توفير الاتصالات المعقدة بقواعد المعلومات الالكترونية .
ب . توفير المؤتمرات الاجتماعية وبرامج مراكز الرسائل .
جـ . توفير الخدمات على الخط المباشر لمصادر المعلومات في مواقع كثيرة للمعلومات المطلوبة بدرجة عالية عن طريق الحاسوب أو الفيديو ديسك .
د . تقديم الخدمات المعلوماتية للمجتمع .
هـ . تقديم محاولات تعليم المكتبة أو استخدامها عن طريق الدائرة المرئية المغلقة .

كما سيكون لتقنية المعلومات أثرها أيضاً على المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات ، فعلى سبيل المثال نجد أن معظم المستفيدين تعودوا على استعمال الفهارس البطاقية ، ومع ازدياد حجم الإضافات أصبح الفهرس البطاقي يسبب مشكلات لا حصر لها ، كما أصبح مكلفاً للغاية ، ولذلك ظهرت الفهارس الالكترونية لما لها من مرونة وسرعة وفائدة للمستفيد ، ومع ظهور الحواسيب

ظهرت مشكلات الاستعمال ، واتضحت ضرورة تدريب المستفيدين على استخدام المنافذ وتفهم استرتيجيات البحث من أجل البحث والحصول على المعلومات والبيانات المطلوبة من مرصد المعلومات[٣١].

من المحتمل أن تأثير التقنية على المكتبات سوف يكون ثورة ذات مدى بعيد ، فهل أعددنا أنفسنا لفهم هذه التطورات الالكترونية لكي نتكيف بموجبها ؟ وهل أعددنا القرارات المشجعة للتحول إلى المكتبة الالكترونية ؟[٣٢].

في هذا الصدد يعتقد "S.D.NEILL" بأن دور مكتبة المستقبل هو دور غير واضح وأن المكتبات في وضع صعب لكي تبدأ في كيفية التغيير لأنها تجهز المعلومات عند الحاجة دونما تمييز أو تحيز[٣٣]... وبحلول عام ٢٠١٠ ، فإن نيل "S.D.NEILL" يعتقد بأن جميع المكتبات الجامعية والمكتبات العامة الكبيرة سوف تفتح أبوابها بالمجان للوصول إلى المعلومات عبر الخط المباشر للحصول على الخدمات البيليوغرافية ، ولكن هذه الخدمات سوف تكون متعلقة بنوعية مصادر المعلومات الأولية[٣٤].

ويرى كنث دولن "KENETH DOWLIN"[٣٥]، أن دور المكتبة الالكترونية سيتسع ، وعلى المكتبات أن تغامر وتدخل في هذا الاتجاه ، ويؤكد على هذا ، وهو يرحب بأية طاقات تزيد من هذا المنحى لغرض زيادة تقديم المعلومات للجمهور ، وهو يؤكد على دور المكتبيين وتفكيرهم بالمستقبل بدلاً من التأكيد على التقنية واستخداماتها لتزيد من وصول الإنسان إلى المعلومات .

وبالرغم من أن ولفرد لانكستر "W. LANCASTER" يرى أنه من الممكن إدراك مكتبة عظيمة ، ولكنها تتكون من غرفة صغيرة لا تحتوي على أي شيء سوى منفذ الكتروني ومعدات التوصيل السلكي الأخرى . ومستقبلاً فإن جميع المكتبات سوف تكون على هذه الشاكلة ، لأنها ستتمتع بالوسائل الالكترونية للوصول إلى مصادر المعلومات[٣٦].

وكنتيجة منطقية فإن المكتبة التقليدية التي نعرفها بمجموعاتها وأثاثها ستختفي بالضرورة ما عدا تلك المواد التي ستواصل حفظ السجلات المطبوعة في الماضي وأن المكتبة سوف تصبح مركز أرشيف ... فهل هذا يعني بأن المكتبة ستختفي ؟ إن هذا ليس من الضروري[٣٧] ، وكما يعتقد "S.D.NEILL"[٣٨]، بأنه خلال الثلاثين سنة القادمة سوف يحدث التغيير بصورة تدريجية ، وأن المكتبات في عام ٢٠١٠ م لن تبدو مختلفة كثيراً عن مكتبات ١٩٨٤ م .. ومهما يكن الأمر فإن مثل هذه التغييرات والاتجاهات لن تفرض نفسها ، وستأتي آلياً . بل هي على العكس من ذلك ستواجه معارضة من العاملين في المهنة الذين يعتقدون أن البناء القائم هو الأحسن وأنه سيكافح للمحافظة على وجوده ، ولذلك فإنه تقريباً وحتى الوقت الحالي لم يخط أمناء المكتبات خطوة نحو تحويل المهنة للتعامل مع المستقبل ، ولذا سوف نقود المخاطرة للدخول في ثورة المصغرات الالكترونية ولو أن ذلك سيكون متأخراً ، وكما ذكر موزمان «فإن ما نحتاجه الآن هو أن نجد أمناء المكتبات غير خائفين من عملية الإرشاد وقابلين مستقبلاً للتوجيه والتكيف ، وقادرين عقلياً على التعامل مع هذه المعضلات والفرص الموجودة أمامنا مهنياً»[٣٩].

وأمام ثورة المعلومات والاتجاه نحو مجتمع ما بعد التصنيع «مجتمع المعلومات» تزداد الحاجة إلى المكتبات ووحدات المعلومات التي ليست بالضرورة كما نعرفها في الوقت الحالي ، لأنه ربما يحدث تجزيء أو دمج في المجتمعات التي تخدمها ، ومن المحتمل جداً بالنسبة للمكتبات أن تكسب دوراً مركزياً وحيوياً في المجتمع الذي يعتمد على المعلومات .

وإذا نظرنا إلى وطننا العربي فإننا نجد أن المستقبل قد شمل بعض مكتباتنا كما هو الحال في الدول المتقدمة ، وهناك حقيقة واضحة بأن الاتصال عبر المنافذ الالكترونية لا يمكن أن يحل محل الطرق في خدمات المعلومات ، ولكنه يمكن أن يكملها .

إن المستفيدين من المعلومات والباحثين عنها والذين يعملون على بثها يجب أن يجتمعوا ليعملوا على اختيار أحسن الطرق لإحلال التغيير . فلا مناص من تقبل التغيرات التقنية السريعة ، ومحاولة الاستفادة من تأثيراتها على حياتنا العلمية والعملية ولو بشكل تدريجي في الوقت الحاضر ، فالمكتبيون لديهم القدرة الفاعلة لقيادة مؤسساتهم ضمن هذا الخضم المعقد من التغيير[٤٠]، وكما أشار دنيس لويس[٤١] «من أجل الحياة والازدهار فإنه — في رأيي — إما أن نغيِّر أو نتغيَّر» .



الهوامش

BUTLER, MEREDITH. "ELECTRONIC PUBLISHING AND ITS IMPACT ON LIBRARIES : ALITERATURE REVIEW" LIBRARY RESOURCES AND TECHNICAL SERVICES, VOL. 28, NO. 1, 1984. P 42.

٢ . أحمد بدر . المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات ، دار المريخ ، الرياض : ١٩٨٥ ص ٣٤٠ ..

3. BUTLER, MEREDITH. OP. CIT. P 42.
4. IBID, P 44.
5. IBID.
6. IBID, P 43.

٧ . محمد محمد أمان «النشر الالكتروني وتأثيره على المكتبات ومراكز المعلومات» المجلة العربية للمعلومات ، مج ٦ ، ع ١ ، ١٩٨٥ ص ٢٥ .

8. BUTLER, MEREDITH. OP. CIT. P 43.
9. MAGALHAES, RODRIGO. "THE IMPACT OF THE MICRO-ELECTRONICS REVELUTION IN LIBRARY AND INFORMATION WORK: AN ANALYSIS OF FUTURE TRENDS", UNESCO JOURNAL OF INFORMATION SCIENCE, LIBRARIANSHIP AND ARCHIVES ADMINISTRATION, VOL. V, NO. 1 JANUARY - MARCH 1983 P10.
10. BUTLER, MEREDITH. OP. CIT. P 47.
11. RUSSON, DAVID. "ELECTRONIC PUBLISHING : IMPACT ON LIBRARIES". A PAPER PRESENTED TO IFLA GENERAL CONFERENCE, MUNICH : 1983.
12. LANCASTER F.W. "THE ELECTRONIC LIBRARIAN" JOURNAL OF LIBRARY AND INFORMATION SCIENCE, VOL. 10, NO. 1 (CHINESE AMERICAN LIBRARIANS ASSOCIATION) APRIL 1984 P8-12.
13. RUSSON, DAVID. OP. CIT.
14. MECKLER, A.M. MICROPUBLISHING: A HISTORY OF SCOLARLY MICROPUBLISHING IN AMERICA (1983-1980) GREENWOOD. PRESS, WESTPART: 1982 P12-13.
15. LANCASTER, F.W. LIBRARIES AND LIBRARIANS IN AN AGE OF ELECTRONICS.
16. BUTLER, MEREDITH. OP. CIT. P 44.
17. THOMPSON, JAMES. THE END OF LIBRARIES. (2ND. ED.) CLIVE BINGLEY, LONDON: 1984 P2.
18. IBID.
19. IGWE, P.O.E. "THE ELECTRONIC AGE AND LIBRARIES: PRESENT PROBLEMS ON FUTURE PROSPECTS" INT. REV. VOL. 18, NO. 1, 1986 P77.

٢٠ . شعبان عبد العزيز خليفة «تكنولوجيا أقراص الليزر ودورها في اختزان واسترجاع المعلومات» ، ورقة قدمت إلى الندوة العربية الثانية للمعلومات حول «تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الوطن العربي : تحديات المستقبل» تونس : يناير ١٩٨٩ ص ٢ .

٢١ . المصدر نفسه ص ٩ .

٢٢ . المصدر نفسه ص ٩-١٠ .

23. IGWE, P.O.E. "THE ELECTRONIC AGE AND LIBS,,," OP. CIT P 78.
24. IBID P 76.
25. RUSSON, DAVID, OP. CIT.
26. LANCASTER, F.W. "THE ELECTRONIC LIBRARIAN", P8-12.
27. BUTLER, MEREDITH. OP. CIT. P 47.
28. IBID. P 42 - 43.

٢٩ . محمد محمد أمان . مصدر سبق ذكره ص ٢٥ .

30. IGWE, P.O.E. "THE ELECTRONIC AGE AND LIBS...", OP. CIT. P 77.

٣١ . محمد محمد أمان . مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥ .

32. BUTLER, MEREDITH OP. CIT. P 42.
33. NEILL, S.D. "LIBRARIES INTHE YEAR 2010", THE FUTURIST, 15, 1981 P 47-51.
34. IBID.
35. DOWLIN, KENNETH. "THE ELECTRONIC ECLITIC LIBRARY", LIBRARY JOUNAL, NOV. 1, 1980.
36. LANCASTER, F.W. "THE ELECTRONIC LIBRARIAN", OP. CIT. P8-12.
37. IBID.
38. NEILL, S.D. OP. CIT. P47.
39. MAGALHAES, RODRIGO, OP. CIT. P10.
40. AVRAM, HENRIETTE. "OVERVIEW-THE IMPACT OF TECHNALOGY ON LIBRARIES "A PAPER PRESENTED TO IFLA GENERAL CONFERENCE, MUNICH: 1983. P11-12.
41. MAGALHAES, RODRIGO. OP. CIT. P7.

لامية ابن عمر الضمدي في الاستسقاء

تحقيق ودراسة
عبد الله بن محمد أبو داهش
أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

يلحظ الناظر في تاريخ الأدب العربي أن مؤرخيه ، والمهتمين بدراساته ، قد حكموا عليه في فترات معلومة ، بالضعف ، والانحطاط ، وأطلقوا أحكامهم النقدية عندئذ على معظم بيئات ذلك الأدب دون تحقيق أو دراسة ، وهم بذلك لا يفرقون بين مواطنه المعهودة ، ولا يلتفتون إلى نتاج شعرائه المغمورين ، وبيئاته المنسية المهملة ، وإنما بنوا أحكامهم العامة على نماذج أدبية محدودة ، ومنظومات شعرية مكرورة ، وهذا يعود إلى توافر أولئك الباحثين على مصادر ذلك الأدب المنشودة ، وإلى إحاطتهم بواقع الأدب في بعض بلدان الوطن العربي، مثل الشام ومصر ، لما تهيأ لهما من أسباب الطباعة ، والنشر ، إلى جانب قبولهم لأحكام المستشرقين العجم الذين قالوا بهذا الرأي وصدروا عنه ، فضلاً عن صدور أولئك الباحثين في أحكامهم النقدية عن أبيات معلومة معهودة لا تمثل ذلك الحال الأدبي ولا تصوره ، وإنما هي متفاوتة في قيمتها الأدبية ومنزلتها المعنوية ، ولعل السبب في إحاطتهم بها أنها أيضاً منشورة مطبوعة ، مما وسم النظرية المدرسية القائمة في تاريخ الأدب العربي بأنها لا تخلو من الخطل ، والتعميم . ولذلك بات من المستحسن أن يكف أولئك الباحثون عن أحكامهم النقدية العامة ، وأن يصدروا جميعاً عن منهج تاريخي أدبي سوي ، وما ذاك بعزيز على الباحثين المنصفين .

وإذا أدرك هذا القول علم بأن من مراكز الأدب المنسية التي لم تحظ بها همم أولئك الباحثين من قبل بلدان الجزيرة العربية ، مثل : الحجاز ، ونجد ، واليمن ، وتهامة ، وعسير ، والقطيف ، والأحساء ، إذ ظلت هذه البلدان بعيدة عن اهتمامات الدارسين وعنايتهم ، مما أوجد حلقات مفقودة غير ظاهرة في تاريخ الأدب العربي ، فالحق أن تاريخ الأدب بهذه البلدان يستدعي من الباحثين الدراسة والتحقيق ، وما إهمال هذا الأدب سوى دليل على قصور منهج التاريخ الأدبي القائم ، وإن إعادة النظر في شمولية هذا المنهج يدفع تلك المظاهر ويلغيها ، فمن الواضح أن تهامة — على سبيل المثال — تتسم بوفرة أدبائها وكثرتهم ، وأنها ليست بذات ركود فكري ، وبخاصة في الفترة من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر الهجريين ، والشواهد على ذلك كثيرة ، إذ عُرف نفر من شعرائها بالشهرة ، وذيوع الصيت ، واتصفوا بوضوح الموهبة ، والقدرة التعبيرية ، من مثل : القاسم بن علي بن هتيمل ، وممدوحه القاسم بن علي الذروي في القرن السابع الهجري ، والجراح بن شاجر الذروي ، وابن عمر الضمدي في القرن العاشر الهجري ، وغيرهم من إخوانهم الشعراء الذين لحقوا بهم في القرون الأخيرة الماضية .

وإذا كان نفر من الباحثين المعاصرين قد صرفوا جزءاً من دراساتهم نحو التاريخ الأدبي لهذه البلدان ، فإن تلك الدراسات لا زالت بعيدة عن اهتمامات مؤرخي الأدب بعامة الذين ركنوا لما بين أيديهم من نماذج أدبية مكرورة ، ولو أنصفوا لسعوا في الإفادة من تلك الدراسات ، وسدوا بها مسداً ظاهراً في حلقات ذلك التاريخ ، ولعل ما حملته هذه القصيدة التي بين أيدينا الآن من معان شعرية ، وقيم إنسانية ، وروح إسلامية ، يشير إلى ذلك الحال ، ويدعو إلى تأصيله ، والاهتمام به ، فلقد بات من المستحسن أن يقوم الباحثون الجادون في ظلال جامعاتهم بالتاريخ له ، والعناية به ، لعلهم بعملهم هذا يدفعون تلك الأحكام التقليدية العامة ، ويظهرون ما أهمله غيرهم ، ولن يعدموا بهذا العمل مظاهر الفلاح ، وحسن المقصد تجاه تراث أمتهم المجيد .

وإزاء ما تقدم يمكن القول إن من دواعي دراسة هذه القصيدة ، وتحقيقها ما يأمله المحقق من إعادة النظر في منهج التاريخ الأدبي لهذه الأمة ، ودفع ما انبعث في قوله السابق ، من أسباب القصور ، والإهمال . وما ذاك ببعيد ! ولا أزعم بتفوق مثل هذه المعاني في الأدب التهامي ، وإنما هو مسار أدبي إنساني مقبول ، قد لا يتوافر مثله في البيئات الأدبية الأخرى بمثل هذه المضامين ، وتلك الأحداث ، فأدب الاستسقاء يكاد يكون قليلاً بالنسبة لغيره من الظواهر الأدبية الأخرى .

ولما كنت قد أحطت بنشر أبيات من هذه القصيدة ضمن دراسة أعدها علي بن محمد أبو زيد الحازمي حول ابن عمر الضمدي ، بعنوان : «من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد» كنت أحسب أن تلك الأبيات تمثل قصيدة ابن عمر الضمدي كاملة ، ولما

وقعت في يدي نسخة مخطوطة من تلك الأبيات علمت بأن الأبيات التي أوردها الحازمي ناقصة عن الأصل بنحو اثني عشر بيتاً ، وأن النسخة المخطوطة تستحق التحقيق والنشر ، وذلك لما لهذه القصيدة من أثر في نفسي ، ولما أكنه من محبة وإجلال لعلماء تهامة ، حيث رأيت تحقيق هذا الأثر الأدبي على تلك النسخة الخطية وحسب ، ولم أشأ مقارنتها بما أورده الحازمي من أبيات في دراسته ، وذلك لنقص تلك الأبيات عن الأصل ، ولكونها أيضاً منقولة من أصل مخطوط دون تحقيق ، ولأنها مطبوعة على الآلة الكاتبة مما عرّضها لكثير من الأخطاء اللغوية ، والمآخذ الأسلوبية ، ولذلك أهملت معارضتها بالأصل ، ولم أفد منها .

وعلى الرغم من قلة المصادر التي تحدثت عن ابن عمر الضمدي ، فإني قد حاولت الترجمة له ، والتعرض لمناسبة قصيدته ، كما عنيت بتحقيق النص ، ووصفه ، ودراسته ، وحيث لم يكن لهذه القصيدة عنوان معلوم ، فقد سميتها : «لامية ابن عمر الضمدي في الاستسقاء» ، وإني إزاء هذا العمل العلمي المتواضع أشكر الله تعالى، وأثني عليه ، واعترف بفضله عليّ ، إذ يسر لي سبل البحث العلمي في تاريخ الأدب ببلدان الجزيرة العربية ، وأرجوه القبول ، والسداد ، ثم أشكر مَنْ أسهموا في إخراج هذه القصيدة ونشرها ، وأخص بالشكر الأخ علي بن محمد الحازمي على عونه العلمي ، وما لقيته منه من تعاون مثمر عبر عملي في تحقيق هذه القصيدة ، كما أشكر الأخ علي بن عمر العسيري ، على ما أسهم به من جهود مباركة في سبيل الحصول على هذا الأثر الأدبي ، وتزويدي بصورة منه ، والله أسأل لي ولهما الجزاء الوافر ، والتوفيق الدائم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد بن علي بن عمر الضمدي :

نسبه ، ومولده :

هو : محمد بن علي بن عمر[١] بن محمد بن يوسف[٢] الضمدي التهامي[٣]، من آل عمر : «الأسرة المشهور[ة][٤] بضمد[٥]»[٦]، ولد سنة ثلاث وثمانين وثمانمئة[٧]، بهجرة ضمد بالمخلاف السليماني بتهامة .

نشأته وتعليمه :

نشأ الضمدي في حجر والديه الصالحين ببلدته ضمد ، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلّمه[٨]، ثم هاجر في سبيل العلم إلى صعدة[٩]، وصنعاء[١٠]، ومكة المكرمة ، إذ «أخذ عن عبد الله بن يحيى النويد ، والفقيه سالم بن المرتضى ، ومحمد بن أحمد حابس ، ومحمدبن يحيى بهران[١١]»[١٢]، وقد استجاز من الإمام شرف الدين[١٣] إبان رحلته إلى اليمن[١٤]، ومن الحافظ أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي[١٥] في عام ٩٦٦ هـ/١٥٥٨ م في غضون رحلة الضمدي إلى مكة المكرمة[١٦] من أجل التحصيل ، والطلب .

عودته من الهجرة ، ومقامه في وطنه :

عاد ابن عمر الضمدي من رحلته العلمية الجادة إلى بلدته ضمد ، حيث استقر فيها ، وانصرف نحو التدريس ، والفتيا ، إذ أصبح «المرجع للمشكلات ، والمعوّل عليه في حل المعضلات»[١٧]، فلقد عمرت في عهده بلدة ضمد[١٨]، وأصبحت من مراكز الفكر المشهورة بالمخلاف السليماني بتهامة ، وكان له : «تعلق بصحبة الشريف أبي نمي[١٩] بن بركات وولده الحسن[٢٠] أهل مكة ، فبالغا في إنصافه وإكرامه ، فكان يقيم عندهما حيناً ، وحيناً ببلده»[٢١] ضمد[٢٢].

صفاته وأعماله :

وصف بأنه الحجة[٢٣]، و «القاضي العلامة[٢٤]» ، و «إمام المحققين في عصره[٢٥]» ، وأنه : «من أئمة : المعقول ، والمنقول ، أوحد زمانه في الفروع والأصول»[٢٦]، ومن الذين تبحروا «في جميع الفنون[٢٧]» ، «وكان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول[٢٨]» ، و « ما لا تسعه الأوراق ، وفيه من السخاء ما لا يوجد في غيره[٢٩]» ، عرف بحبه للأعمال الصالحة ، إذ قيل بأنه هو الذي عمر بلدة ضمد ، وبنى مسجدها الجامع المشهور الذي اجتاحه السيل في عام ١٢٠١ هـ[٣٠]/١٧٨٦ م ، وأنه الذي تسبب في إعفاء أهل ضمد من العوائد الحكومية[٣١]، وحفر لهم الآبار[٣٢].

آثاره الأدبية :

يعد ابن عمر الضمدي من شعراء تهامة المعروفين في القرن العاشر الهجري ، فلقد وصف بأن «له في الأدب اليد الطولى[٣٣]» ، إذ عرف : «له نظم فائق ، ونثر رائق وخط حسن[٣٤]» ، ولعل قصيدته اللامية التي بين أيدينا الآن تعد من أبرز قصائده الشعرية ذيوعاً وانتشاراً ، إذ عرفها الناس في زمانه ، وحرصوا على حفظها وتدوينها ، يقول عاكش[٣٥]: «ولو لم يكن له إلا قصيدته التي [مطلعها] :

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيلُ ... فلن يخيب لنا في ربنا أمل

لكفاه فضيلة[٣٦]» .

وعلى الرغم من شيوع ذكر بعض قصائد الضمدي وشهرتها ، يلحظ الباحث أنه لم يقل أحد من معاصريه ، أو التابعين له بوجود ديوان شعري لهذا العالم ، وإنما يكاد يستقر القول على ذكر عدد يسير من قصائده الشعرية المتفرقة ، وبخاصة في ميدان المدح[٣٧]، ولعل من أشهرها قصيدته التي بين أيدينا الآن ، وتلك القصيدة التي أنشأها بدافع من بواعث الفتن الظاهرة في زمانه ، التي يقول في مطلعها :

أرى ظلمات الظلم قد عمت الأرضا ... ولم أر منقاداً إلى العمل الأرضا[٣٨]

وجملة القول : إن نتاجه الأدبي يكاد يكون قليلاً إذا ما قورن بمكانته العلمية ، ومنزلته الأدبية ، وأن آثاره الأدبية بعامة : «يغلب عليها الطابع الديني[٣٩]» ، وذلك يعود إلى غلبة الروح الإسلامية على ثقافة هذا الشاعر ، وما يصدر عنه من شعور إسلامي فياض .

وفاته :

تفاوت المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة هذا العالم ، إذ ذهب عبد الله بن علي النعمان الضمدي ، والحسن بن أحمد عاكش إلى أنه توفي سنة ٩٩٠ هـ/١٥٨٢ م ، على حين ذهب محمد محمد زبارة إلى أن وفاته كانت في سنة ٩٨٨ هـ/١٥٨٠ م ، ولعل الصواب ما ذهب له النعمان ، وعاكش ، إذ هما من مواطنيه[٤٠]، وممن يفترض منهما العناية بتحقيق وفاته ، وذكر ترجمته ، وبخاصة إذا عُلم أن عاكشاً من أحفاد ابن عمر الضمدي ، ومن ذريته ، فلقد قال النعمان في معرض حديثه عن حوادث سنة ٩٩٠ هـ : «وفيها توفي الشيخ العلامة الفقيه الفهامة محمد بن عمر الضمدي[٤١]» ، وقال عاكش : «ووفاته سنة تسعين بتقديم التاء المثناة من فوق وتسعمائة ، فمدة عمر مائة سنة وسبع سنين[٤٢]» ، وهذا يحدد تاريخ وفاته ، ويشير إلى أنه قد عمرّ مائة سنة ، وازداد سبعاً .

مناسبة هذه القصيدة ، وسبب نظمها :

لقد أفاض المؤرخون المحليون في ذكر مناسبة هذه القصيدة ، وسبب نظم ابن عمر لها ، فقد ذكر عاكش أنه : «روي أنه عمّ الجدب هذه الجهات [المخلاف السليماني] فخرج بالناس لصلاة الاستسقاء[٤٣]، وأنشد هذه القصيدة ارتجالاً بعد الصلاة ، فما أكملها حتى منّ الله سبحانه بالمطر ، ولم يحمل من موضعه إلا على رقاب الرجال لشدة ما وقع من المطر ، وهذا من كراماته[٤٤]»، وقيل في صدد نسخة هذه القصيدة المخطوطة : «هذه المنظومة للقاضي العلامة جمال الدين محمد[٤٥] بن علي بن عمر الضمدي ، يروى[٤٦] أنه فعلها في المصلى ، وقت الاستسقاء ، ولم ينقلوا من مكانهم حتى[٤٧] وقع المطر ، وحصل الفرج ، فرحمه الله ، وغفر لنا وله[٤٨]» ، وإلى مثل هذا أشار علي بن محمد أبو زيد الحازمي ، ورأى أن هذه القصيدة قيلت في سنة ٩٧٣ هـ/١٥٦٥ م ، وأنها السنة التي اجتاح فيها القحط والمجاعة بلدان المخلاف السليماني[٤٩]، مما دعا الناس إلى طلب السقيا والفرج من الله .

وقد بنى الحازمي قوله هذا على ما ذكره العقيلي في كتابه : «المخلاف السليماني» ، إذ قال العقيلي : إنه «في عام ٩٧٣ [هـ] اجتاحت المخلاف السليماني مجاعة ضارية ، فتكت بالأغلب الأعم من سكانه ، وعزّت الأقوات ، بل لم يجد الناس ما يقتاتون به ، فاضطر الأغلب من سكان البوادي إلى سحق العظام ، وسفها ، وقلي الدم ، وأكلت الميتة ، والأطفال ، وتشتهر المجاعة في المخلاف بسنة أم العظام[٥٠]» .

وإزاء ذلك كله يمكن القول : إن الداعي لنظم هذه القصيدة ، إنما هو من أجل طلب الفرج من الله لدفع ما حلّ بالناس من الضيق والشدة ، حيث أمحلت الأرض ، واحتاج الناس إلى المطر ، وأن ذلك كان في سنة ٩٧٣ هـ/١٥٦٥ م ، إذ عرفت هذه السنة لدى الأهلين : «بسنة أم العظام[٥١]» ، كما أنه يتضح من النصوص السابقة أن هذه القصيدة قد قيلت ارتجالاً في المصلى عقب صلاة الاستسقاء ، وأن ناظمها هو ابن عمر نفسه إمام المصلين في تلك الصلاة ، كما أنه يتبين للناظر في تلك النصوص أن ابن عمر الضمدي حينما أنشأ قصيدته قد بلغ من العمر عتياً ، إذ دنا عمره من المائة سنة ، وهذا يشير إلى مكانة هذا العالم ، وعلو منزلته ، ويدل على قيمة قصيدته ، وما اتصفت به من ملامح الشعور الإسلامي الفياض ، فالحق أنها تمثل الاتجاه الإسلامي في الأدب التهامي ، وتدنو من مكونات المنهج التاريخي الأدبي الإسلامي المأمول .

وصف نسخة هذه القصيدة :

لقد اعتمدت في تحقيق هذا الأثر الأدبي على نسخة خطية واحدة ، إذ وردت هذه النسخة ضمن مجموع خطي ، حيث تحوي أبياتها منه أربع صفحات ، وهي مكتوبة بخط نسخي معتاد ، ولكنها غير مضبوطة بالشكل ، ولا خالية من الهنات اللغوية ، والإملائية ، وفي هوامش النسخة تعليقات يسيرة ، وكلمات متفرقة ، كما أنها قد اشتملت على مقدمة «يسيرة ، وخاتمة محدودة مقتضبة[٥٢]» ، ولم تشتمل على عنوان معلوم ، وإنما هي ـــ فيما يبدو ـــ منقولة من أصل سابق مخطوط ، إذ دل وقوع الأخطاء الوافرة في رسم القصيدة على أنها متداولة بين الناس ، وأنها قد كتبت في زمن متأخر من تدوينها الحقيقي .

وتقع هذه القصيدة في أربع صفحات ، إذ كان عدد أبياتها سبعة وأربعين بيتاً ، في كل بيت نحو عشر كلمات ، قد تزيد ، وقد تنقص ، وقد وقعت مقدمة هذه القصيدة في ثلاثة أسطر ، على حين كانت خاتمتها في سطر واحد ، كما يقع في الصفحة الأولى أربعة عشر سطراً ، وفي الصفحة الثانية والثالثة ستة عشر سطراً ، وفي الصفحة الرابعة فيما يتعلق بالقصيدة خمسة أسطر .

ولم تكن هذه القصيدة مضبوطة بالشكل ، وليس فيها ذكر لاسم الناسخ وتاريخ النسخ ، كما أنها غير خالية من الأخطاء الإملائية ، والأسلوبية ، والضرورات الشعرية ، مما حرّف في كثير من رسم كلماتها ، وأوقع الناسخ في شيء من المآخذ العلمية ، ويتضح شيء من ذلك في تسهيل الناسخ للهمزة أو حذفها ، وربما حقق همزة الوصل في

بعض المواطن ، مما يشير إلى أنه كان لا يحسن التفريق بين همزتي القطع ، والوصل ، وقد يأتي شيء من ذلك من أجل الضرورة الشعرية . وكان الناسخ أيضاً لا يفرق بين رسم الهمزة ، والياء ، ولا المقصور والممدود ، كما هو واضح في حواشي التحقيق ، وحينما يتعين على الناسخ رسم واو الجماعة والألف الذي بعدها كان يستبدلهما برسم ضمة فوق الحرف الأخير من الكلمة ، مثل ألفاظ « نتكلُ » ، « أملُ » ، « ابتهلُ » ، وهذا كثير مألوف عنده . ومما يلاحظ على الناسخ أنه كان لا يفرق بين رسم حرفي : الظاء ، والضاد في مثل ألفاظ : « لظى » ، « انظر » ، « الظلل » ، وكان أيضاً لا يفرق بين « واو الجماعة » و « واو الجماعة » في مثل لفظ « اتصلوا » ، كما أن الناسخ تعوّد زيادة الألف في « ابن » عند وقوعها بين علمين ، كما هو واضح في صدر القصيدة .

دراسة القصيدة وتقويمها :

يجدر بالمحقق دراسة الأثر المخطوط الذي يقوم على تحقيقه ، لما لذلك من أهمية عند الدارسين ، ومما يجب الوقوف عنده في هذه القصيدة : دراسة مظاهر الوزن ، والأسلوب ، والمعاني ، إذ تستحق من المحقق البحث ، والدراسة ، فمن الواضح أن وزن هذه القصيدة من بحر البسيط ، وعروض هذا البحر وضربه مخبونان[٥٣]، والخبن زحاف يجري مجرى العلة في هذا البحر أيضاً ، ولذلك لجأ الشاعر إلى بعض الضرورات الشعرية المعهودة ، مثل وصل همزة القطع في قوله :

«وانظر إلى قوله : ادْعُوني استَجبْ لَكُمُ[٥٤]»

فقد وصل همزة القطع في لفظ : «أستجب» ، مع حذف الياء للضرورة في لفظ : «ادعوني» ، وإشباع الميم في «لَكُمْ» ، وهذا مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥٥]، وهنالك بعض الأبيات المكسورة في وزنها ، مثل الشطر الثاني في البيت الآتي :

أستغفر الله من قولي ومن عملي   إني امرؤ سامني القول والعمل[٥٦]

كما أنه قد ورد في هذه القصيدة بيت عروضه مقصورة (فاعل) ، وهذا خلاف المعهود ، في مثل قوله :

«ضاق الخناق فنفسي ضيْقَة عَجْلَى»[٥٧]

ويلحظ أيضاً ورود التنوين في أحد أبيات القصيدة دون أن يدركه الناسخ ، مما يدعو إلى إصلاحه ، وذلك في قول الشاعر :

وأهمل الخِلّ فيه حق صاحبه الْ   أدنى وضاقت على كلٍّ به السبُل[٥٨]

إذ وردت كلمة «الأدنى» جميعها في الشطر الثاني ، ومما يلاحظ في قافية هذه القصيدة أن كثيراً من الكلمات التي تنتهي بها الأبيات قد أتت مكرورة ، وهو ما يعرف بالإيطاء ، مثل لفظي : «السبل ، والسبل» ، و : «نبتهل ، وابتهلوا» ، وغيرها ، وهذا وإن كان مقبولاً بعد سبعة أبيات عند العروضيين ، إلا أنه يعد عيباً عند النقاد المحدثين .

وإذا كانت هذه الملحوظات متعلقة بالجانب العروضي ، والقافية ، فإن مما يلحظه المحقق في ميداني الأسلوب والمعاني شيوع بعض الكلمات القلقة في موضعها ، مثل قول الشاعر :

«عنّا فأنفع شيء عندنا العجل[٥٩]»

وقوله :

«ربّاً يحولها عنّا فتنتقل[٦٠]»

فماذا يعني بقوله «العجل» ؟ ، ولمن تنتقل في الشطر الثاني ؟ وربما كان البيت قلقاً كله في مثل قول الشاعر :

وفلّ حد زمان جارجي غدا   يدني الرفيع وينعلى به السفل[٦١]

وقد تحتاج بعض الألفاظ في أبيات القصيدة إلى شيء من التحرير في مثل قول الشاعر :

«عنا فَأَنْفَعُ شيء عندنا العجل[٦٢]»

فالمعنى يحتاج إلى نظر ، ولفظة «عنّا» تبدو غريبة ، ولو قال «بنا» ما اختل المعنى ، ولا الوزن ، وقد يتساءل الناظر في قول الشاعر

«وتخصب الأرض في شام ، وفي يمن»

لماذا خص الشاعر الخصب بالشام واليمن وحسب ؟ ، ولعل الشاعر هنا انطلق من مفهوم محلي هو شام الأرض ويمنها ، فكأنه قد أراد العموم ، وربما أراد حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا ...»[٦٣]، كذلك يلحظ المحقق وجود غرابة في ورود بعض الأبيات في هذه القصيدة ، من مثل قول الشاعر :

واسق البلاد بغيث مسبل غدق   مبارك مزجحي مزنه هطل

سح عميم ملث القطر ملتعق   لرعده في هوامي سحبه زجل[٦٤]

إذ يبدو أن الشاعر قد تأثر بغيره من الشعراء في نسجه اللغوي لهذين البيتين ، فلغتهما — فيما يبدو — غير لغته ، وكأنهما غريبان عن بقية أبيات القصيدة ، ولعلهما قد زيدا من بعد وفاة الشاعر ، وبخاصة إذا علم تداول هذه الأبيات ، وتعاقب النسّاخ على تدوينها ، وقد يكون ذلك صحيحاً إذا تبين أن الأبيات التي سجلها علي بن محمد أبو زيد الحازمي في دراسته حول ابن عمر لم تشمل هذين البيتين ، إذ أكد للمحقق أنه لم يحط سوى بتلك الأبيات التي أوردها في مقاله المذكور ، وأنه قد استنسخ تلك الأبيات من مكتبة أحد علماء المخلاف السليماني المتأخرين منذ ثلاثين سنة[٦٥]، وقد يثير هذا الأمر وقوع اختلاف في رواية تلك الأبيات التي رواها الحازمي ، وما ورد في المخطوطة المعتمدة في هذا التحقيق ، إذ وردت أبيات عديدة في المخطوطة لم تكن موجودة في تلك المقالة المطبوعة ، كما أنه

نشأ اختلاف في رواية بعض الأبيات في المخطوطة ، والمقالة ، مثل قول الشاعر :

وصلّ رب على المختار من مضر   محمد خير من يحفى وينتعل[٦٦]

إذ ورد هذا البيت في مقالة الحازمي المنشورة هكذا :

وصلّ رب على المختار من مضر   ما [أرقلت] في الفيافي مشيها الأبل[٦٧]

ومن الواضح أن أبيات هذه القصيدة غير مترابطة ، إذ يمكن تقديم بعضها على بعض ، أو حذفها دون أن يخل هذا الأمر بمضمون القصيدة ومقصدها ، ولعل ذلك يعود إلى كونها قيلت ارتجالاً ، كما أن الصورة الشعرية المعهودة تعد نادرة في هذه الأبيات سواء أكانت صوراً مركبة أم جزئية ، وكان الشاعر أحياناً يلجأ إلى اللغة التقريرية المباشرة ، مما أضعف لغة الشعر عنده وأفقدها ، ومع ذلك أتت معاني هذه القصيدة رفيعة مقبولة ، حيث صدرت من روح صادقة مؤمنة ، وحققت إيمان هذا الشاعر في إقباله الحقيقي نحو الله تعالى في تضرع وخشية مظهراً صدق أحاسيسه ، وشعوره ، فأتت النتائج ظاهرة مؤيدة ، ولذلك يمكن القول أن القيمة المعنوية لهذه القصيدة تفوق قيمتها الفنية سواء كان ذلك في نهجها الإسلامي القويم أم في قيمتها التاريخية المهمة ، وذلك كله يزيد في أهمية معاني هذه القصيدة ومضمونها .

لامية ابن عمر الضمدي في الاستسقاء

[البسيط]

[بسم الله الرحمن الرحيم][٦٨]

(١) إن مسّنا الضّر ، أو ضاقت بنا الحيل
فلن يخيب لنا في ربنا أمل[٦٩]

(٢) وإن أناخت[٧٠] بنا البلوى[٧١] فإن لنا
ربّاً يحولها عنّا فتنتقل[٧٢]

(٣) الله في كل خطب حسبنا وكفى
إليه نرفع شكوانا ونبتهل

(٤) مَنْ ذا نلوذ به في كشف كُرْبتنا[٧٣]
ومَن عليه سوى[٧٤] الرحمن نتكل

(٥) وكيف يرجى سوى الرحمن من أحدٍ
وفي حياض نَدَاه[٧٥] النّهل[٧٦] والعَلَل[٧٧]؟

(٦) لا يُرْتَجى[٧٨] الخيرُ إلا من لديه ولا
لغيره يتوقى الحادث الجلل

(٧) خزائن الله تغني كلّ مفتقر
وفي يد الله للسوّال[٧٩] ما سألوا

(٨) وسائل الله ما زالت مسائله
مقبولة[٨٠] ما لها رد ولا ملل

(٩) فافزعْ إلى الله واقرع[٨١] باب رحمته
فَهْو[٨٢] الرجاء لمَنْ أعْيَتْ به السُّبل

(١٠) وَأحْسن الظنَّ في مولاك وَارْض بما
أولاك ينحلِ عنك البؤس والوجل[٨٣]

(١١) وإن أصابك عسرٌ فانتظر فرجا
فالعُسْرُ باليسر مقرون ومتصل[٨٤]

(١٢) وانظر[٨٥] إلى قوله: ادْعُوني[٨٦] اسْتجِبْ[٨٧] لكمُ[٨٨]
فذاك قول صحيح ماله بدل

(١٣) كم أنقذ الله مضطراً برحمته
وكم أنال ذوي الآمال ماأملوا[٨٩]

(١٤) يا مالك الملك فادفع ما ألمّ بنا
فما لنا بتولي دفعه قبل

(١٥) ضاق الخناق فنفسي ضَيِّقةٌ[٩٠] عَجْلَى[٩١]
عنا[٩٢] فَأَنْفَعُ شيء عندنا العجل[٩٣]

(١٦) وحل عقدة مَحْل[٩٤] حلّ ساحتنا
بضرّه عمت الأمصار والحلل[٩٥]

(١٧) وقُطِّعَتْ منه أرحام[٩٦] لشدته
فما لها اليوم غير الله من يصل

(١٨) وأهمل الخل[٩٧] فيه حق صاحبه الّ
أدنى[٩٨] وضاقت على كلّ به السّبل[٩٩]

(١٩) فربّ طفل وشيخ عاجز هَرِم[١٠٠]
أمستْ مدامعه في الخدّ تنهمل

(٢٠) وبات يرعى نجوم الليل من قلق[١٠١]
وقلبه فيه نار الجوع تشتعل

(٢١) أمسى يعج[١٠٢] مِنَ البلوى إليك ، ومِنْ
أحواله عندك التفصيل والجمل

(٢٢) فأنت أكرم مَنْ يُدعى ، وأرحم مَنْ
يُرجى ، وأمرك فيما شئت ممتثل

(٢٣) فلا ملاذ[١٠٣]، ولا ملجأ[١٠٤] سواك، ولا
إلّا إليك لحي[١٠٥] عنك مرتحل

(٢٤) فاشمل عبادك بالخيرات إنهم[١٠٦]
على الضرورة والشكوى قد اشتملوا[١٠٧]

(٢٥) واسق البلاد بغيثٍ[١٠٨] مسبل[١٠٩] غَدَق[١١٠]
مبارك [١١١] مُزْجَجِي [١١٢] مزنه هطل[١١٣]

(٢٦) سح [١١٤] عميم [١١٥] ملث [١١٦] القطر ملتعق

لرعده في هوامي [١١٧] سحبه زَجَلُ [١١٨]

(٢٧) تكسى[١١٩]به الأرض ألواناً منمنمة[١٢٠]
بها[١٢١]تعـــود بها أحـــوالها الأُوَلُ

(٢٨) ويصبح الروض مخضراً ومبتسماً
من النبات عليه الوشي[١٢٢]، والحُلَلُ[١٢٣]

(٢٩) وتخصب الأرض في شام[١٢٤]وفي يمن[١٢٥]
به وتحيـا[١٢٦]سهـول الأرض والجبـلُ

(٣٠) يارب عطفاً فإن المسلمين معـاً
مما يقاسـون في أكبادهـم شعـل

(٣١) وقد شكوا ـ كل[١٢٧] ما لا قوه من ضرر ـ[١٢٨]
إلـيك يا مالكَ الأمـلاك وابتهلـوا[١٢٩]

(٣٢) فلا يردك عن تحويل ما طلبوا
جهل لذاك ولا عجـز ولا بُخُـلُ[١٣٠]

(٣٣) يا رب وانصر جنود المسلمين على
أعدائهـم وأعنهم[١٣١] أينما نزلـوا

(٣٤) وفلّ حد زمان جارجي[١٣٢] غدا
يدني الرفيـع وينـعلي[١٣٣]به السفـل[١٣٤]

(٣٥) يارب فارحم مسيئاً[١٣٥]مذنباً عَظُمَتْ
منـه المآثم والعصيـان ، والزلـل[١٣٦]

(٣٦) قد أثقل الذنب والأوزار[١٣٧]عاتقه
وعن حمد المساعي عاقه الكسل

(٣٧) ولا تسوّد[١٣٨]له وجهاً إذا غشيت
وجوه أهل [١٣٩] المعاصي من لظى [١٤٠] ظلل[١٤١]

(٣٨) أستغفرُ الله من قولي ومن عملي
إني امْرُؤٌ [١٤٢] سامني [١٤٣] القول والعمل [١٤٤]

(٣٩) ... ...[١٤٥]
مني ، وهذا بلا شك هو الخَطَـل[١٤٦]

(٤٠) ولم أقدمْ لنفسي قط صالحة
يحط عنـي[١٤٧]من وزري بها الثقـل

(٤١) يا خجلتي[١٤٨]من عتاب الله يومَ غدٍ
إن قال خالفت أمري أيها الرجل

(٤٢) من ماعلم الناجون واتصلـوا[١٤٩]
به إلـيّ ، ولم تعمـل بما عملـوا

(٤٣) يا رب فاغفر ذنوبي كلها كرماً
فإننـي اليـوم منها خائـف وجـل[١٥٠]

(٤٤) واغفر لأهل ودادي كل[١٥١] ما اكتسبوا
وحط عنهم من الآثام ما احتملوا

(٤٥) واعمم بفضلك كل المؤمنين وتُبْ
عليهم وتقبّـل[١٥٢]كلّ ما فعلـوا

(٤٦) وصل ربٍّ على المختار من مضر
محمـد خير مَنْ يحفـى[١٥٣]وينتعـل

(٤٧) وآله الغرّ ، والأصحاب عن طرف[١٥٤]
فإنهم غرر الإسلام والحجـل[١٥٥]

الهوامش

(١) محمد بن حيدر النعمي ، «الجواهر اللطاف» ١٣٦ .
(٢) الحسن بن أحمد عاكش ، «الديباج الخسرواني» ١١ ، ١٢ .
(٣) محمد بن محمد زبارة ، «ملحق البدر الطالع» ٢٠٤ .
(٤) زيادة من المحقق .
(٥) انظر عن ضمد : «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» للعقيلي ٢٦٦ ، و: «معجم البلدان» لياقوت ٤٦٢/٣ .
(٦) عبد الله بن علي العمودي ، «ملخص تحفة القارىء والسامع في اختصار اللامع» ٤٥ .
(٧) الحسن بن أحمد عاكش ، «الديباج الخسرواني» ٨٣ .
(٨) عبد الله بن علي النعمان الشقيري الضمدي ، «العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني» ٣٠٨ .
(٩) انظر عن صعدة : «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للحجري ٤٦٧/٢ .
(١٠) انظر عن صنعاء : «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للحجري ٤٨٣/٢ ، و : «تاريخ مدينة صنعاء» للرازي الصنعاني .
(١١) انظر ترجمته في : «البدر الطالع» للشوكاني ٢٧٨/٢ .
(١٢) محمد بن محمد زبارة ، ملحقه السابق ٢٠٤ .

(١٣) لم تحدد المصادر التي تعرضت لترجمة الضمدي نسب الإمام شرف الدين ، ولعله : الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى ، انظر ترجمته في : «البدر الطالع» للشوكاني ٢٧٨/٢ .
(١٤) محمد بن محمد زبارة . ملحقه السابق ٢٠٤ .
(١٥) انظر ترجمته في : «البدر الطالع» للشوكاني ١٠٩/١ ، و : «الأعلام» للزركلي ٢٣٤/١ .
(١٦) محمد بن محمد زبارة ، ملحقه السابق ٢٠٤ .
(١٧) الحسن بن أحمد عاكش ، «الديباج الخسرواني» ١٢ .
(١٨) علي بن محمد أبو زيد الحازمي ، «من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد» ٢٨ .
(١٩) انظر ترجمته في : «الأعلام» للزركلي ٥٢/٦ .
(٢٠) انظر ترجمته في : «الأعلام» للزركلي ٢١٨/٢ .
(٢١) عبد الله بن علي النعمان الشقيري الضمدي ، كتابه السابق ٣٠٨ .
(٢٢) محمد بن أحمد العقيلي ، «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» ٢٦٧ .
(٢٣) محمد بن حيدر النعمي ، كتابه السابق ١٣٦ .
(٢٤) محمد بن محمد زبارة ، ملحقه السابق ٢٠٤ .
(٢٥) الحسن بن أحمد عاكش ، «الديباج الخسرواني» .
(٢٦) المصدر نفسه ١٢ .
(٢٧) المصدر نفسه ١٢ .
(٢٨) عبد الله بن علي النعمان الشقيري، كتابه السابق ٣٠٨ .
(٢٩) المصدر السابق ٣٠٩ .
(٣٠) الحسن بن أحمد عاكش ، «عقود الدرر» ١١٦ .
(٣١) محمد بن أحمد العقيلي ، «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» ٢٦٧ .
(٣٢) الحسن بن أحمد عاكش ، « عقود الدرر » ١١٦ .
(٣٣) الحسن بن أحمد عاكش ، «الديباج الخسرواني» ١٢، وانظر : «العقيق اليماني» للضمدي ٣٠٩ .
(٣٤) عبد الله بن علي النعمان الشقيري الضمدي ، كتابه السابق ٣٠٩ .
(٣٥) انظر ترجمته في : «الأعلام» ١٨٣/٢ .
(٣٦) «الديباج الخسرواني» ١٢ ، وفي الأصل قال المؤلف : «طالعها» ، ولعل الصواب ما أثبت .
(٣٧) علي بن محمد أبو زيد الحازمي ، مقاله السابق ٣١ ، ٣٢ .
(٣٨) الحسن بن أحمد عاكش ، «عقود الدرر» ١٨ .
(٣٩) علي بن محمد أبو زيد الحازمي ، مقاله السابق ٢٩ .
(٤٠) يراد بهذا : أنهما من أهل ضمد .
(٤١) عبد الله بن علي النعمان الشقيري الضمدي ، كتابه السابق ٣٠٩ .
(٤٢) «الديباج الخسرواني» ١٣ .
(٤٣) في المخطوط : «الاستسقى» .
(٤٤) المصدر نفسه ١٢ .
(٤٥) في الأصل : «ابن» .
(٤٦) في الأصل : «يروا» .
(٤٧) في الأصل : «حتا» .
(٤٨) مقدمة القصيدة ١ .
(٤٩) مقاله السابق ٢٩ .
(٥٠) ٣٠٨/١ .
(٥١) المصدر نفسه ٣٠٨/١ .
(٥٢) هي قول الناسخ : «تمت بحمد الله وتوفيقه» .
(٥٣) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، «عروض الورقة» ، تحقيق صالح جمال بدوي ٦٤ .
(٥٤) القصيدة ٢ .

(٥٥) من آية ٦٠ سورة غافر .
(٥٦) القصيدة ٣ .
(٥٧) القصيدة ٢ .
(٥٨) القصيدة ٢ .
(٥٩) القصيدة ٢ .
(٦٠) القصيدة ١ .
(٦١) القصيدة ٣ .
(٦٢) القصيدة ٢ .
(٦٣) انظر : «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير الجزري ٦٢/١٠ .
(٦٤) القصيدة ٢ .
(٦٥) حديث معه في شهر جمادى الثانية ١٤١٠ هـ .
(٦٦) المخطوطة ٤ .
(٦٧) ٣١، وقد وردت كلمة «أرقلت» في هذا المرجع هكذا : «أرقيت» ، وهو خطأ ، قال ابن منظور : « وأرقلت الدابة والناقة إرقالاً أسرعت» «اللسان» ٣١٢/١٣ .
(٦٨) زيادة من المحقق .
(٦٩) لم يبدأ الناسخ تحرير هذه القصيدة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» ، وإنما قال في صدرها : «وهذه [المنظومة] للقاضي العلامة جمال الدين محمد [بن] علي [بن] عمر الضمدي ، [يروى] أنه فعلها في [المصلى] وقت الاستسقا[ء] ، ولم ينقلوا من مكانهم [حتى] وقع المطر ، وحصل الفرج ، فرحمه الله ، وغفر لنا ، وله ، وأعاد علينا من بركاته» .
(٧٠) في «المعجم الوسيط» : «أناخ بالمكان : أقام ، ويقال : أناخ به البلاء والذّل : حلّ به ولزمه» ٩٧٠/٢ .
(٧١) أراد القحط والجدب وقلة المطر .
(٧٢) أراد زوال هذا الحال ، ولم يرد انتقاله إلى جهة ثانية كما توحي به الدلالة اللغوية في هذه الكلمة .
(٧٣) قال الرازي في : «مختار الصحاح» : الكُرْبة بالضم الغَمُّ الذي يأخذ بالنفس ، وكذا الكَرْب ، تقول : كَرَبَه الغَمُّ أي : اشتد عليه من باب نصر» ٥٦٦ .
(٧٤) في الأصل : «سوا» .
(٧٥) في الأصل : «نداه» .
(٧٦) «النَّهَل : الشُّرْب الأوَّل» «مختار الصحاح» ٦٨٣ .
(٧٧) «العَلَل : الشُّرْبُ الثاني ، يقال : عَلَلٌ بعد نَهَل» المصدر السابق ٤٥١ .
(٧٨) في الأصل : «لا يرتجا» .
(٧٩) في الأصل : «للسوال» .
(٨٠) في الأصل : «مقبوالة» .
(٨١) قال الفيروزآبادي : «قَرَعَ الباب كمنع دقَّهُ» «القاموس المحيط» ٦٦/٣ .
(٨٢) كذا ليستقيم الوزن .
(٨٣) «الوَجَل : الخوف ، تقول منه وَجِلَ وَجَلاً ومَوْجلاً بالفتح ، وهذا مَوْجِلُهُ بالكسر» «الصِّحاح» للجوهري ١٨٤/٥ .
(٨٤) قال تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ آيتا ٥ ، ٦ سورة الانشراح .
(٨٥) في الأصل : «انضر» .
(٨٦) تحذف الياء نطقاً في هذه الكلمة ، للضرورة من أجل الوزن .
(٨٧) وصل الشاعر همزة القطع في هذه الكلمة للضرورة من أجل الوزن .
(٨٨) أشبع الشاعر الميم في لفظ «لَكُمْ» ، وهذا القول مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ..﴾ من آية ٦٠ سورة غافر .
(٨٩) في الأصل : «أمل» .
(٩٠) كذا ليستقيم الوزن .
(٩١) في الأصل : «عجلا» ، والعروض : «عَجْلَى» فاعل ، وهي مقصورة .
(٩٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب «بنا» .
(٩٣) هذه الكلمة قلقة في موضعها .
(٩٤) قيل في : «المعجم الوسيط» : «المَحْل : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ ، ويقال : أرض مَحْلٌ : لا مرعى بها ، ويقال : رجلٌ مَحْلٌ : لا ينتفع به [والمحل] الجُدْب ، والشِّدَّة (ج) مُحول ، وأمحال» ٨٦٣/٢ ، انظر : «اللسان» لابن منظور ١٣٩/١٤ .

(٩٥) أراد المنازل والديار ، وهذا اللفظ معهود في بلدان الجزيرة العربية ، والصواب : حلال ، أو أحِلّة ، وفي : «المعجم الوسيط» : «الحِلّة : منزل القوم ، وجماعة البيوت ، ومجتمع الناس» ، «المَحَلّ : مصدر ميمي المكان الذي يحل فيه» «المحِلّ : المكان الذي يحل فيه» و «المَحَلّة : منزل القوم (ج) محالّ» ١٩٣/٢ .

(٩٦) قيل في «المعجم الوسيط» : «الرِّجم ، والرِّحْم ، والرَّحْم ... القرابة أو أسبابها يذكر ويؤنث . (ج) أرحام ، وذوو الأرحام : الأقارب الذين ليسوا من العَصَبة ، ولامن ذوي الفروض ، كبنات الإخوة ، وبنات الأعمام» ٣٣٥/١ .

(٩٧) «الخِلّ : الوُدُّ والصديق» «مختار الصحاح» ١٨٧ .

(٩٨) رسم الناسخ هذه الكلمة جميعها في الشطر الثاني ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، لأن البيت مدور ، ولولا ذلك لانكسر البيت .

(٩٩) تكررت هذه الكلمة بعد ورود ثمانية ألفاظ بلفظ واحد ومعنى واحد ، وغير هامشها ، وهو ما يسمى بالإيطاء ، وهو من عيوب القافية ، انظر: «مختصر القوافي» لابن جني ، تحقيق حسن شاذلي فرهود ٣٢ ، وقد تكرر مثل ذلك في القصيدة ، ولعل السبب في كثرته في هذه الأبيات أن القصيدة قيلت ارتجالاً .

(١٠٠) قال الجوهري : «الهَرَم بالتحريك : كِبَر السن ، وقد هَرِمَ الرجل بالكسر ، وأهْرَمَهُ الله سبحانه ، فهو هَرِمٌ ، وقومٌ هَرْمَى» «الصحاح» ٢٠٥٦/٥ .

(١٠١) «القَلَق : الانزعاج» «مختار الصحاح» ٥٤٩ ، انظر : «القاموس المحيط» للفيروزآبادي ٢٧٩/٣ .

(١٠٢) قال الفيروزآبادي : «يَعِجُّ ويَعَجُّ كَيَمَلُّ عَجّاً وعَجيجاً صاح ورفع صَوْتَه» «القاموس المحيط» وفي : «مختار الصحاح» : «العَجّ رَفع الصوت ، وقد عَجَّ يعجّ بالكسر عجيجاً ، وعَجْعَجَ : صَوَّت مَرَّةً بعد أخرى» . ٤١٣ .

(١٠٣) في الأصل : «ملاذا» .

(١٠٤) تسهل الهمزة هنا من أجل الوزن .

(١٠٥) أراد الإنسان ، وغيره .

(١٠٦) كذا ليستقيم الوزن .

(١٠٧) في الأصل : «اشتملُ» .

(١٠٨) قال ابن منظور : «الغيث المطر والكلا ، وقيل الأصل المطر سُمّي ما ينبت به غيثاً ، أنشد ثعلب :
وما زلتُ مثلَ الغيث يُرْكَبُ مَرّةً فيُعْلَى ويُولَى مَرَّةً فَيُثِيبُ» «اللسان» ٤٨٠/٢ .

(١٠٩) قال ابن منظور : «السَّبَل بالتحريك المَطَر ، وقيل المطر المُسْبِل ، وقد أسبَلَت السماءُ ، وأسبل دَمْعَه ، وأَسْبَلَ المطرُ والدمعُ إذا هَطَلا والاسم السَّبَل بالتحريك» «اللسان» ٣٤٢/١٣ .

(١١٠) قال الرازي : «الماء الغَدَق بفتحتين الكثير» «مختار الصحاح» ٤٦٩ .

(١١١) في الأصل : «مباركُ» .

(١١٢) كذا في الأصل .

(١١٣) قال الرازي : «الهَطْل تتابع المطر والدمع وسيلانه ، يقال هطلت السماء من باب ضرب ، وهَطَلاناً بفتح الطاء وتَهْطالاً أيضاً . وسَحاب هَطِلٌ ، ومَطَرٌ هَطِل كثير الهَطَلان ، وسَحَائب هُطُل جمع هاطِل وديمة هطلاء ، ولا يقال سحاب أهطل ، وهو كقولهم امرأة حسناء ، ولا يقال رجل أحسنُ» «مختار الصحاح» ٦٩٦ ، ويظهر في هذا البيت ، والذي بعده غرابة لغتهما ، إذ يلحظ الناظر فيهما صعوبة كلماتهما ، واختلاف قاموسهما عن بقية أبيات القصيدة ، مما يدعو إلى الشك فيهما ، وهل هما من أبيات القصيدة ؟

(١١٤) قال ابن منظور : «سحّ الدمع والمطر والماء يسح سحّاً وسحوحاً أي سال من فوق ، واشتد انصبابه ، وساح يسيح سيحاً إذا جرى على وجه الأرض» «اللسان» ٣٠٥/٣ .

(١١٥) في «المعجم الوسيط» : «العَمِيم : كلّ ما اجتمع وكثر» ٦٣٥/٢ .

(١١٦) قال الفيروزآبادي :«اللَّتُّ .... دوام المطر» «القاموس المحيط» ١٧٣/١ ، وفي : «الصحاح» : «ألَتَّ المطر أي : دام أياماً لا يقلع» ٢٩١/١ .

(١١٧) انظر : «اللسان» لابن منظور ٢٤٠/٢٠ .

(١١٨) قال الرازي : «الزَّجَل بفتحتين الصوت يقال سَحَابٌ زَجِلٌ أي ذو رَعْد» ، «مختار الصحاح» ٢٦٩ .

(١١٩) في الأصل : «تكسي» .

(١٢٠) قيل في «المعجم الوسيط» : «نباتٌ مُنْمَنِمٌ ملتفٌ مجتمع» ٩٦٥/٢ .

(١٢١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : «به» .

(١٢٢) قيل في : «المعجم الوسيط» : «الوَشْي : نقش الثوب ، ويكون من كل لون ، و [الوشي] نوع من الثياب الموشية» ١٠٤٨/٢ ، انظر : «الصحاح للجوهري ٢٥٢٤/٦ .

(١٢٣) قيل في : «المعجم الوسيط» : «الحُلّة : الثوبُ الجيِّدُ الجديد غليظاً أو رقيقا و [الحلة] ثوب له بطانة و [الحلة] ثوبان من جنس واحد ، و[الحلة] ثلاثة أثواب ، وقد تكون قميصاً وإزاراً ورداء ، (ج) حُلل ، وحلال» ١٩٣/١ .

(١٢٤) شام الأرض : شمالها .

(١٢٥) يمن الأرض : جنوبها ، وبهذا يندفع القول بتخصيص طلب السقيا ، والفرج للشام ، واليمن وحسب ، إذ ليس المقصود بذلك هاتين البقعتين وحسب ، وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير ٦٢/١٠ .

(١٢٦) في الأصل : «وتحيي» ، ولعل الصواب ما أثبت .

(١٢٧) في الأصل : «كلما» ، قال عبد السلام هارون : ما : «المصدرية ، توصل بحينَ ، رَيْثَ ، أيْنَ ، كلّ المنصوبة على الطرفية .. بخلاف كل المرفوعة أو المجرورة أو المنصوبة على المفعولية» «قواعد الإملاء» ٥٩ .

(١٢٨) كنا وضعت علامة الجملة الاعتراضية من أجل تحرير المعنى وإيضاحه .

(١٢٩) في الأصل : «ابتهلْ» .

(١٣٠) كنا ليستقيم الوزن ، لأن الضرب في «البحر البسيط» مخبون كالآتي : فَعِلن .

(١٣١) تحقق الهمزة هنا من أجل الوزن .

(١٣٢) كنا في الأصل .

(١٣٣) كنا في الأصل ، وقد أراد : «رفعة المقام وعلوه ، لمن لا يستحقه» .

(١٣٤) كنا ورد هنا البيت في الأصل ، ولا يخلو هنا البيت من المآخذ اللغوية ، والأسلوبية .

(١٣٥) في الأصل : «مسيّاً» .

(١٣٦) «الزّلة : السَّقْطةُ والخَطِيئةُ» «المعجم الوسيط» ١/٤٠٠ ، انظر : «القاموس المحيط» للفيروزآبادي ٣/٣٨٩ .

(١٣٧) قال الرازي : «الوِزْرُ : الإثم ، والثّقل» «مختار الصحاح» ٧١٨ ، وفي : «المعجم الوسيط» : «[الوزر] الذّنْب ، (ج) أوزار» ٢/١٠٤٠ .

(١٣٨) من قوله تعالى : ﴿**يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه** ..﴾ من آية ١٠٦ سورة آل عمران .

(١٣٩) تختلس الحركة هنا قليلاً من أجل الوزن .

(١٤٠) في الأصل «لضى» .

(١٤١) مفردها : «ظُلّة» .

(١٤٢) في الأصل : «امرء» .

(١٤٣) وقد تقرأ في الأصل : «ساقنى» ، ولعل الصواب ما أثبت .

(١٤٤) أراد عمله في قوله ، وسعيه ، وكسبه .

(١٤٥) هنا الشطر غير مقروء في الأصل .

(١٤٦) قال الرازي : «الخَطَل المنطق الفاسد المضطرب ، وقد خَطِلَ في كلامه من باب طَرِب ، وأخْطَل أي أفحش» «مختار الصحاح» ١٨١ .

(١٤٧) تحرّك الياء هنا من أجل الوزن .

(١٤٨) أي : «يا خجلي» .

(١٤٩) في الأصل : «واتصلوا» ، وقد يكون المعنى غير واضح في هذا البيت .

(١٥٠) في الأصل : «وجلو» .

(١٥١) في الأصل : «كلما» .

(١٥٢) وقد ترسم : «فتقبل» .

(١٥٣) انظر : «المعجم الوسيط» ١/١٨٦ .

(١٥٤) ولعله أراد الصحاب كافة (رضوان الله عليهم) .

(١٥٥) قال الناسخ : «تمت بحمد الله وتوفيقه» .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

(١) الضمدي ، عبد الله بن علي النعمان الشقيري . «العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني» ، مخطوط ، توجد نسخة منه في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، تحت رقم ١٤٣٣ .

(٢) عاكش ، الحسن بن أحمد . «الديباج الخسرواني بذكر أعيان المخلاف السليماني ، مخطوط ، يوجد لدى حجاب بن يحيى الحازمي ، بمدينة ضمد بجازان ، بدون رقم .

(٣) عاكش ، الحسن بن أحمد . «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر»، توجد منه نسخة ، بقسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، تحت الرقم ١٣٣٤ .

(٤) العمودي ، عبد الله بن علي. «ملخص تحفة القارىء والسامع في اختصار تاريخ اللامع» ، مخطوط ، يوجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي ، بأبي عريش بجازان ، بدون رقم .

(٥) النعمي ، محمد بن حيدر . «الجواهر اللطاف المترجمة بهامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف» ، مخطوط ، توجد لدى المحقق نسخة مصورة منه ، بدون رقم .

ثانياً : المطبوعات :

(١) ابن الأثير الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد . «جامع الأصول في أحاديث الرسول» ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح ، مكتبة دار البيان ، (١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م) .

(٢) ابن جني ، أبو الفتح عثمان . «مختصر القوافي» ، تحقيق حسن شاذلي فرهود ، ط ١ ، مط الحضارة العربية ، مصر (١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م) .

(٣) الجوهري ، إسماعيل بن حماد . «الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية» ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ القاهرة (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ، بدون معلومات أخرى للنشر .

(٤) الجوهري ، إسماعيل بن حماد . «عروض الورقة» ، تحقيق صالح جمال بدوي ، ط ١ ، مط الصفا ، مكة المكرمة ، «مطبوعات نادي مكة الثقافي» ، (١٤٠٦ هـ/١٩٨٥ م) .

(٥) الحازمي ، علي محمد أبو زيد . «من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد» ، مقال مطبوع على الآلة الكاتبة ، يوجد لدى صاحبه بمدينة ضمد بجازان .

(٦) الحجري ، محمد بن حمد . «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» ، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع ، ط ١ ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، اليمن (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م) .

(٧) الحموي ، ياقوت . «معجم البلدان» ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م) ، بدون معلومات أخرى للنشر .

(٨) الرازي الصنعاني ، أحمد بن عبد الله . «تاريخ مدينة صنعاء» ، تحقيق حسين عبد الله العمري ، ط ١ (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م) ، بدون معلومات للنشر .

(٩) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . «مختار الصحاح» ط ١ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت (١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م) .

(١٠) زبارة ، محمد بن محمد . «ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

(١١) الزركلي ، خير الدين . «الأعلام» ، ط ٦ ، دار العلم للملايين (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م) .

(١٢) الشوكاني ، محمد بن علي . «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

(١٣) العقيلي ، محمد بن أحمد . «تاريخ المخلاف السليماني» ، ط ٢ ، مط نهضة مصر ، القاهرة ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) .

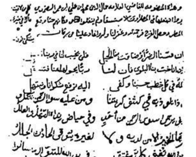
(١٤) العقيلي ، محمد بن أحمد . «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» ط ١ ، مط نهضة مصر ، القاهرة ، منشورات دار اليمامة للبحث وللترجمة والنشر ، الرياض (١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م) .

(١٥) الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب . «القاموس المحيط» ، نشر دار العلم للجميع ، بيروت ، بدون تاريخ ، ولا معلومات أخرى .

(١٦) مصطفى ، إبراهيم وآخرون . «المعجم الوسيط» ، المكتبة العلمية ، طهران ؛ بدون معلومات للنشر .

(١٧) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . «لسان العرب» طبعة مصورة عن بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مط كوستاتسوماس ، مصر .

(١٨) هارون ، عبد السلام . «قواعد الإملاء» ط ٣ ، مكتبة الخانجي (١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م)



« الصفحة الأولى من المخطوطة »



« الصفحة الأخيرة من المخطوطة »

كتاب الردة
للواقدي
اعتنى بتهذيبه
محمد حميد الله

يحيى وهيب الجبوري

الواقدي ، محمد بن عمر/كتاب الردة ؛ اعتنى بتهذيبه محمد حميد الله .ــ باريس : ؟ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

لقد حظيت حروب الردة وما فيها من أخبار وأشعار باهتمام المؤلفين المسلمين ، فقد ألفت منذ زمن مبكر عدة كتب أفردت لحروب الردة ، غير الأخبار التي تضمنتها كتب التاريخ والأدب ، فقد وقفنا على ثمانية كتب كلها يحمل اسم الردة هي : محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، وسيف بن عمر المتوفى سنة ١٩٣ هـ ، والواقدي محمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ووثيمة بن موسى الوشاء المتوفى سنة ٢٣٧ هـ ، وأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى سنة ١٥٧ هـ ، وإسحاق بن بشر الهاشمي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، وعلي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ ، وإسماعيل بن عيسى العطار الذي لم أقف على سنة وفاته . ولم يصل من هذه الكتب إلا كتاب الواقدي هذا في نسخته الوحيدة الموجودة في مكتبة خدابخش في بانكي بورمقاطعة باتنا ، وتقع المخطوطة في ست وأربعين لوحة بخط نسخي مقروء ، وفيها شعر كثير يجاوز التسعمائة بيت ، أكثره من الشعر النادر الذي لم تحفظه الكتب والدواوين ، وقد ضاع مثله في غمرة الحروب ، وهو شعر يمثل الفروسية والبطولة العربية ، لأنه قيل أثناء التهيؤ للقتال أو الدعوة للنزال أو وصف الأحداث ، وأغلب هذا الشعر لشعراء مغمورين لم يعرفوا بقول الشعر ولم يشتهروا به ، وقد أنطقتهم به الحروب وأحداث الردة .

والكتاب مجاله التاريخ والأدب ، وقد تميز بتسجيله الدقيق لأحداث الصدر الأول من الخلافة الإسلامية وعصر الفتوح ، ففيه أحداث السقيفة ، وخروج جيش أسامة بن زيد ، ورجوع عمال النبي صلى الله عليه وسلم من أنحاء الجزيرة ، وظهور الأنبياء الكذابين ، وردة بني أسد ، وتميم ، وأهل البحرين ، وكندة ، وحروب خالد بن الوليد ، ثم نبذة من فتوح العراق ، وحروب المثنى بن حارثة الشيباني ضد الفرس ، وانتصار خالد بن الوليد على مرازبة الفرس في بانقيا وعين التمر ، وإرغامهم على الإذعان ودفع الجزية .

وفي الكتاب معلومات واسعة مفصلة وتعريف بأعلام كثيرين ، وفيه أخبار وروايات تزيد عما جاء في تاريخ الطبري وابن الأثير بالنسبة لأحداث الردة ، وقد اقتبس بعض المؤرخين من هذا الكتاب وذكروا بعضاً من نصوصه مختصرة ، من مثل ابن سعد في الطبقات والطبري في تاريخه ، وابن حجر في الإصابة ، وعبد الرحمن بن حبيش في كتابه المغازي .

وكنت قد حصلت على مصورة من مخطوطة الكتاب وأنجزت تحقيقها منذ سنوات ، ثم شغلتني عنها شواغل ، ثم عدت إليها واستكملت نواقصها وهممت بدفعها إلى الناشر ، فلما علمت بصدور طبعة محمد حميد الله في باريس سنة ١٩٨٩ م ، أجلت نشر الكتاب وصرفت النظر عنه ، ثقة مني برصانة عمله ، لأنه باحث فاضل قديم ومتميز بأبحاثه الرصينة وعلمه الغزير ، فلما اطلعت على الكتاب خاب أملي ، إذ لم يكن الكتاب محققاً ولا مخدوماً ، والنص فيه نقص واضطراب وأوهام كثيرة ، وخاصة الشعر ، فهو يخلو من الضبط ، وكثير منه محرف ومختل الوزن والمعنى ، ولم يرجع المحقق إلى المصادر ليقومه ويستعين بها ، ولم يترجم للأعلام والمواضع حيث وقع فيها تحريف وتصحيف ووهم ، وحقاً إنه كتب رفق اسمه (اعتنى بتهذيبه) ولم يذكر كلمة التحقيق ، فإن التهذيب هذا يحتاج إلى تهذيب كثير ، وفي أكبر الظن أن حميد الله كان متسرعاً في عمله ، وأشك من ناحية أخرى أنه نسخ الأصل بنفسه ، بل أوكل ذلك إلى أحد الناسخين القليلي الخبرة بقراءة المخطوطات ، ومعرفة طريقة القدماء في رسم الحروف . لذلك فإني أحاول أن أسهم هنا في تقويم النص بأن أختار منه بعض ما تسمح به مساحة النشر من نصوص ، تاركاً ما تبقّى إلى نشرتي التي دفعتها إلى المطبعة وهي في طريقها إلى الصدور ، فالكتاب بحاجة ملحة إلى نشرة علمية جديدة ، مع رجائي ألا يجد الزميل حميد الله في هذه التصويبات انتقاصاً من علمه وفضله ، ما دامت غايتنا جميعاً خدمة التراث العربي الإسلامي ، فأقول وبالله التوفيق :

ــ قوله ص ٢٠ :

نصارى يقولون الشجي ومنافق وكل كفرد رشا متهود

والشطر الثاني مضطرب ولا معنى له ، وصوابه : (وكل كفور شامت متهود)

ـ وقوله من القصيدة نفسها :

بأمنع من شيء بقفز مطيرة وفقعة قاع أو ضياع بفدفد

وصوابه : (بأمنع من شاء بقفر مطيرة) و (ضباع بفدفد) بالباء الموحدة

وقد تابع المحقق وهم الناسخ في عدم الدقة في رسم الحروف وحدوث التصحيف والتحريف

ـ وقوله : (وأمسى مسيلمة في اليمامة غالباً) ، وصوابه : (مُسَيْلِمُ) حتى يستقيم البيت

ـ وفي قصيدة حباب بن المنذر ص ٢٤ قوله :

ولكنه من لا يراقب قومه قليل ذليل ما علمت حضير

والصواب : (ما علمت حقير) وهو كذلك في المخطوطة ، وبدلالة قليل وذليل قبلها .

ـ وقوله :

فيا ابن حضير وابن سعد كليكما بتلك التي تعنى الرجال خبير

والصواب : (كلاكما) كما هو في المخطوطة ، وقد وهم المحقق فاتبعها لما قبلها وأصلها (كلاكما خبير) .

ـ وقوله : (سهاماً صياباً ضيمهن حضير) . وكذلك جاءت في المخطوطة ، وقد أخطأ الناسخ في الرسم والصواب (حظير) أي محظور .

ـ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاطب الحباب بن المنذر ص ٢٥ :

ووالله لا يرد أحد علي بعد هذا إلا خطمت أنفه بالسيف . فقال عمر : إذاً يقتلك الله يا حمار . وكذا جاءت في المخطوطة ، والصواب : (يا حُباب) كما في الكامل لابن الأثير ٢/٣٣٠ ، ولم يوثق المحقق النص بالرجوع إلى المصادر ولو فعل لأمن الزلق ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم على خلق رفيع فلا يمكن أن يخاطب عمر الحباب بهذا اللفظ . وهذه من مزالق التحريف وأوهام النسخ .

ـ وقول حسان بن ثابت ص ٢٥ :

لأشكرن قريشاً فضل صاحبنا سعد فما في مقالي اليوم من أود

وصدر البيت لا معنى له ، وصوابه : (لاتنكرن قريش فضل صاحبنا) وهو كذلك في ديوان حسان ط وليد عرفات ص ٤٦٣ ، وسعد : هو سعد بن عبادة الخزرجي .

ـ وقوله :

لستم بأولى بها منا لأن لنا وسط المدينة فضل عز والعدد

والعجز غير مستقيم الوزن وصوابه : (فضل العز والعدد) وقد التزم المحقق بالخطأ الذي ورد في المخطوطة ولم يصحح ذلك لا في الأصل ولا في الهامش .

ـ قول الحباب بن المنذر : ص ٢٧ يا بشير ما الذي أحوجك إلى ماصنعت ، أنفت على ابن عمك سعد بن عبادة أن يكون أميراً .

والصواب كما في المخطوطة : (أنفست على ابن عمك) .

ـ قول الحارث بن هشام ص ٢٧ :

وهم الحماة إذا الحروب تضرمت وهم الكفات سادة الأحرار

وجاء العجز في الأصل المخطوط : وهم الكفات سادات الأحرار .

والصواب : (وهم الكفاة السادة الأحرار) .

ـ وقول رجل من المهاجرين ص ٢٨ :

من بعد ما نظموا لسعد أمره لم يخطُ مثل خطايهم مخلوق

وفي الأصل المخطوط : خطاتهم مخلوق . والصواب : (خطاهم مخلوق) بدليل (لم يخطُ) قبلها .

ـ قول زيد بن الأرقم الأنصاري ص ٢٨ :

فانصرف ولا تهيج على أصحابك ما لا تقوم له . الصواب : (ولا تُهِجْ) .

ـ وقول عمر بن الخطاب يخاطب أبا بكر الصديق ص ٣١ :

فلو أغمضت وتجافيت عن زكاة هؤلاء العرب في عامك هذا ورفقت بهم لرجوت أن يرجعوا على ما هم عليه . وفي الأصل المخطوط : (عن ما هم عليه) .

ـ وفي أبيات الحارث بن هشام ص ٢٢ :

قول الخليفة قاتلوا أعدائكم إن الدنية درة التعويق

صوابه : (أعداءكم إن الدنية ردة التعويق) والكلام عن الردة ، وقد تابع المحقق التحريف في المخطوطة (درة) .

وقوله بعدها : (فيها لحرب عدونا مبلوق) والصواب : (مسبوق) .

ـ قوله ص ٣٤ : فتجهز عمرو وخرج معه أبو صفرة ظالم بن سراق ، وحضير بن جعفر ، وعباد بن الجلندي ... فأنشأ عقبة بن النعمان العكي يقول في ذلك .

قلت : حضير بن جعفر ، صوابه : (جفير بن جعفر) .

عباد بن الجلندي ، صوابه : (عبادة بن الجلندي) .

عقبة بن النعمان العكي ، صوابه : (العتكي) ، نسبة إلى العتيك بن الأزد .

ـ قوله :

وفينا عمرا يوم عمرو كأنه طريد نفته مذحج والسكاسك

الصواب : (وفينا لعمرو) .

ـ قوله :

فأصبح عمرو بالمدينة سالماً يقهقه من حيا عليه الأرائك

قلت : عجز البيت لا معنى له وفيه تحريف ، صوابه : (يقهقه مزجيا عليه الأرامك) ، والأرامك : جمع رامك شيء أسود يخلط بالمسك .

ـ قول رجل من قريش ص ٣٥ :

قمتم بالذي لشر بها الأزد وقد كنتم بدايع الإسلام
الصواب : (بالذي بشر بها الأزد) وصواب العجز : (وقد كنتم بذا مع الإسلام) .
— وقوله في القصيدة : يميتون والأمانة في الأزد . والصواب : (يمنيون) لأن الأزد من اليمن وقد تابع المحقق قراءة المخطوطة وما فيها من تصحيف غير منتبه للمعنى .
— وقوله :
برسول النبي إذ عظم الخطـ ـب وحقت طوابر الأحلام
الصواب : (وخفت طوامن الأحلام) ، وطوامن الأحلام : العقول الرزينة .
— وقوله :
وقد قضيت حق المسير إليه وقضينا إليه حق الذمام
صدر البيت غير موزون ، وصوابه : (قد قضينا حق المسير إليه) .
قصيدة أبان بن سعيد ص ٣٦ :
جزى الله جارود خيراً عن أبان بن سعيد وصباح وأخوه هرمة خير حميد
وأشج القوم ذو المودة والرأي السديد وجزى الحرث ما بعد جزاء بمزيد
وقد وهم المحقق في كتابة القصيدة كلها ، حيث أدمج كل شطرين بشطر واحد ، والقصيدة من مجزوء الرمل ، وصواب قراءة الأبيات :
(جُزِيَ الجارود خيراً عن أبان بن سعيد)
(وصباح وأخوه هرم خير عميد)
(وأشج القوم ذو السؤ دد والرأي السديد)
وجُزِي الحارث من بعـ ـد جزاء بمزيد)
— وقوله : أسلموا طوعاً وكفوا عن شيطان مريد
والصواب :
(أسلموا طوعاً وكفوا كل شيطان مريد)
— وقوله : سر أن يأتيهم مناهم . والصواب : (سوف تأتيهم مناهم) .
— وقوله : إن من أخلق مني من ثناء كجديد . والصواب :
(إن ما أخلق مني من ثناء لجديد)
— وقوله : وسار القوم مع أبان حتى أورده المدينة سالماً .
الصواب : (حتى أوردوه) .
— وقوله من قصيدة رجل من عبد القيس ص ٣٧ :
أطعنا فلم نعص أبانا فلا منا ولم يأته منا أذى بلسان
والصواب : (فلم نعص أبانا قلامة) والوهم جاء من رسم المخطوطة حيث كتبت (قلامتا) فظن المحقق أنها (فلا منا) . ولم يفطن لمعنى البيت وما تستوجبه : (أطعنا فلم نعص) .
— وقوله :
وكنا له في كل أمر نريده كأنا رضيعي ثدي أم أبان
والصواب : (يريده كأنا رضيعا) وقد تابع المحقق الناسخ وهو يخطىء في النحو كثيراً .
— وقوله :
فلما أتى نعي النبي محمد يخونه ريبب من الحدثان
الصواب : (تخوَّنه ريب من الحدثان) .
— وقوله ص ٣٨ من شعر زيد الخيل :
أبى الله أن تخشيني أخت بني نصر فقد قام بالأمر الجلي أبو بكر
وفي الأصل المخطوط : أن تخشين ، وفيه لحن ، وصوابه (ما تخشين)
وفي الإصابة : ٦٢٤/٢
أمام أما تخشين بنت أبي نصر
ولو استعان المحقق بتخريج الشعر في مصادره لاستعان به على تصويب بعض المخطوء والمحرف .
— وقول فتى من طيء ص ٣٩ :
وفينا وفاء لم ير الناس مثله وسربلنا مجد عدي بن حاتم
والصواب : (وسربلنا مجداً) وقد تابع المحقق خطأ الناسخ في المخطوطة .
— وقول الزبرقان بن بدر ص ٤٠ :
لقد علمت قريش وخندف أنني وفيت إذا ما فارس الحرب أحجما
وصدر البيت غير موزون ، وصواب الرواية : (لقد علمت قيس وخندف أنني) والبيت كذلك في مجاز القرآن ٣٢٤/١ .
— وقوله :
أبى الله لي ثم أأشقى أن أردها إليكم ولم تسقوا ولم أسق علقما
وقد أشار المحقق في الهامش بقوله : (لم يتضح لنا صوابه) وهذه إشارة حسنة وحبذا لو أشار إلى المخطوء والمضطرب وهو كثير جداً ،
وصواب البيت فيما أرى :
(أبى الله لي ثم أشقى بردها إليكم ولم تشقوا ولم أشق علقما)
— وقوله :
وإني بحمد الله لا عن عدوكم رجعت إذا ما القرب حولي تخيما
وصواب تخيما : (تجسما) كما في المخطوطة ، وإذا اجتهد المحقق في التغيير فعليه أن يشير في الهامش .
— وقوله :
وإني لأستحيي لبدر وشيخه على كل حال لم يذمّ ويشتما
ولا يصح (لم يذم ويشتما) ولا يجوز عطف المجزوم على المنصوب ، والصواب : (أن يذم ويشتما) .
— وقول ضرار بن الأزور ص ٤٢ :
بني أسد ما لكم غادر يرد على السامع الناظر
والصواب : (ما لكم عاذر) لأن الغادر لا يرد على السامع الناظر .

ــ وقوله :

وأحرج من لمعات الشراب لفقر وأشقى من العاقر

والصواب :

(وأخرج من لمعات السراب بقفر وأشقى من العاقر)

وفي المخطوطة (بفقر) مصحفة عن (بقفر) .

ــ وقوله ص ٤٣ : وكتب أيضاً يزيد بن خزيمة إلى بني عمه بهذه الأبيات .

الصواب : (يزيد بن حذيفة) الأسدي ، كما في الإصابة ٦٩٩/٦ ذكره وثيمة في كتاب الردة فيمن ثبت على إسلامه هو وابنه زفر ، وكان من أشراف بني أسد ، فالتحق بخالد بن الوليد ، وأرسل إلى بني أسد يحذرهم من طليحة بأبيات . قلت : وفي التحقيق يحسن ، بل يجب أن توثق الأعلام والنصوص بمصادر .

ــ وقول يزيد بن حذيفة في طليحة الأسدي :

فلا تتبعوه إنه صاحب لكم ذيول غرور بعدها يوم أنحس

ولو لم تكن في المخطوطة (صاحب لكم) لحملناها على خطأ الطبع ، والصواب : (ساحب لكم) بدلالة : ذيول غرور ، والذيول تسحب ولا تصحب .

ــ وقوله ص ٤٣ : ولم يبق مع خالد رجل من بني أسد يعرف بالصلاح إلا كتب إلى قومه يحذرهم مقام خالد بن الوليد عليهم .

الصواب : (مقدم خالد عليهم) .

وقول جعونة بن مرثد (وليس مزيد) الأسدي ص ٤٣ :

وأقسم بالرحمن أن قد غويتم بني أسد فاستأخروا وتقدم

وقال المحقق في الهامش : (لعله : ونقدم) ، ولا يستقيم الوزن بكليهما ، والصواب : (وتقدموا) .

ــ وقوله عن فعلة فجاءة بن عبد ياليل وغدره بالمسلمين ص ٤٤ : فعطفهم على هؤلاء العشرة الذين وجه بهم معه فقيدهم عن آخرهم .

الصواب : (فقتلهم عن آخرهم) ، والفجاءة ينص على أنه قتل المسلمين الذين معه جميعهم في الأبيات التي ذكرها بعد .

ــ وقول الضحاك بن سفيان ص ٤٥ :

وليس يحيق المكر إلا بأهله كذلك قضا الله في محكم الزبر

وعجز البيت غير موزون ، وصوابه : (كذاك قضاء الله في محكم الزبر) .

ــ وقول رجل من بني سليم ص ٤٧ :

إن مثل الذي رأيت شقاء القس يروي الشجي من الأسقام

ولا معنى للبيت ، وصوابه : (شفاء النفس) .

ــ وقوله ص ٤٨ :

ومن كل حي فارس ذي حفيظة وقوراً إذا ريع الجبان من الذعر

صوابه : (فارس ذو حفيظة وقور) .

ــ وقوله :

هنالك لا تلوي عجوز على ابنها وتخرج رأس الكائنات من الخدر

وقال المحقق في الهامش عن (الكائنات) لعله : الكاسيات .

قلت : الصواب : (رأس الكاعبات من الخدر) .

ــ وقال ص ٤٩ : ودنا خالد بن الوليد من أرض بني أسد ثم دعا بعكاشة بن محصن الأزدي ، وثابت بن أرقم الأنصاري .

الصواب : (عكاشة بن محصن الأسدي) ، من بني غنم من أمراء السرايا ، يعد من أهل المدينة شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتل في حرب الردة بُزاخة قتله طليحة الأسدي سنة ١٢ هـ . ترجمته في الإصابة ٥٣٣/٤ وحلية الأولياء ١٢/٢ وغيرها .

وصواب ثابت : (ثابت بن أقرم الأنصاري) بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي حليف الأنصار ممن شهد بدراً ، وهو الذي أخذ الراية بعد مقتل عبد الله بن رواحة يوم مؤتة ودفعها إلى خالد بن الوليد ، قتله طليحة الأسدي سنة ١٢ هـ . ترجمته في السيرة النبوية ٣٧٩/٢ ، والإصابة ٣٨٣/١ والاستيعاب ١٩٩/١ .

ــ قول طليحة الأسدي ص ٤٩ : إن بعثم بفارسين بطلين على فرسين عتيقين أدهمين أغرين محجلين من بني نصر بن قصي أتياكم من القوم بعين .

قلت : تابع المحقق خطأ الناسخ في المخطوطة وفيها : نصر بن قصي ، والصواب : (نصر بن قُعين) بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . انظر فيه جمهرة أنساب العرب ص ١٩٠ .

ــ وقول طليحة أيضاً : وأخرى فإنهم نهجوا بهذه الصلاة فهم يظنون أنهم محسنون ... وأنه ليس يحتاج إلى تعفير وجوهكم وفتح أدباركم .

الصواب : (لهجوا بهذه الصلاة) و (فتح أدباركم) .

ــ وقول طليحة الأسدي ص ٥٠ :

فلم يظفروا منكم بشيء وكنتم شحى بأشياء والدهر جم العجائب

وعجز البيت لا معنى له ، وصوابه : (وكنتم شجاً ناشباً) .

ــ وقول حريث بن زيد الخيل ص ٥١ من قصيدة : شتمتم أبا بكر سفاهاً . وصوابها : (بشتمكم) كما في المخطوطة .

ــ وقوله : ورجعتم عن الإسلام كفرا . والصواب : (ورَجْعُكم عن الإسلام كفراً) كما في المخطوطة .

ــ وقوله :

متى تغريكم ترجع بنهب وتشفي الصدر من ذا الغليل

ولا يستقيم البيت معنى ووزناً ، وصوابه :

(متى نغزوكم نرجع بنهب ونشف الصدر من داء الغليل)

وجاء الوهم من متابعة المحقق للناسخ في خطئه النحوي بعدم جزم

(نشفي) ومتابعة الرسم القديم في عدم كتابة الهمزة في داء (دا) فظنها اسم إشارة وأضاف لها نقطة الذال (ذا) .

ــ وقوله :

من الخيير من أسد جميعاً ومن غطفان تهتف بالعويل

والصواب : (من الحيين) لأنه يذكر أسداً وغطفان فهما حيان ، وليس هذا من خطأ الطبع ، لأن المحقق تابع خطأ الناسخ الذي رسم النون من كلمة (الحيين) لها ذيل يشبه الراء مع إثبات نقطة النون التي حذفها المحقق .

ــ وقول خالد بن الوليد يمدح بني طيء ص ٥١ :

هم أهل أرباب السماحة والندى إذا ما الصبالون بكل خباء

ويحمد للمحقق أنه ذكر في الهامش عند كلمة (الصبالون) قوله : (لم نهتد إلى صوابه) .

والصواب :

هم أهل رايا السماحة والندى إذا ما الصبا ألوت بكل خباء

ــ وقوله :

مراراً فمنها يوم أعلا بزاخة ويوم شغار دبّه بكاء

وصوابه :

(ويوم ثغاء ردِيَّة بكاء) . والأبيات في تاريخ دمشق ٩٩/٧ ومعجم البلدان ٢١٢/٤ .

وقول بعض المسلمين ص ٥٣ :

كل يوم نفرنا بناه وعلينا من عاره أثواب

وصواب صدر البيت : (كل يوم يعرّمُ ما بناه) .

ــ وقوله ص ٥٤ :

فإذا هم بعيينة بن حصن على بعير ويده مجموعة إلى عنقه فجعل المسلمون يشتمونه ويلعنونه وهو ساكت لا ينطق بشيء وهم يخسونه بالعصيان .

في الأصل المخطوط : (ينخسونه بالعسيان) وصوابها : (ينخسونه بالعسبان) جمع عسيب ، وهو جريدة النخل يكشط خوصها .

ــ وقول عيينة بن حصن :

إني شاكر نعمة الصديق ذلك المعصب بالأمور عتيق

والبيت غير موزون ، وصوابه كما في المخطوطة :

إني لشاكر نعمة الصديق ذاك المعصب بالأمور عتيق

ــ وقوله :

يتصببه من تيم مرة خيرها من فرعها واسمها العرنيق
والله لولا عفوه وأفضاله ضاق البلاد ولم يسعني ريقي

والبيتان مضطربان ولا معنى لهما ، وصواب القراءة :

(تنميه من تيم بن مرة خيرها من فرعها وأشمها الغرنيق
والله لولا عفوه وفضاله ضاق البلاد ولم يسغ لي ريقي)

ــ وقوله :

إني لعمرك يوم أطلب حربه لأخي الضلال مجانب التوفيق
أنت الذي كنا نؤمل دونها طول الشجا وتناول الأبصوق

الصواب في البيت الأول : (لأخو الضلال) وفي المخطوطة (لأخي) وهو خطأ نحوي يصحح لأنه في خبر إن . وفي البيت الثاني صوابه : (وتناول العيوق) وفي الأصل المخطوط (الأهيوق) محرفاً . والعيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها ، ومنه المثل (دونه العيوق) انظر مجمع الأمثال ٢٦٤/١ .

ــ وقول عمرو بن العاص ص ٥٥ :

إن التي ظنتك نفس خالياً مما توامله سراب ساطع

والصواب :

(إن التي منتك نفسك خالياً مما تؤمله سراب ساطع)

ــ وقول قرة بن هبيرة ص ٥٦ :

قضى الله رب كذا غالب وقدرة ربي هي القدرة

لقد تابع المحقق الرسم المخطوء في المخطوطة ، والملاحظ أن القراءة صحيحة والرسم خطأ ، والصواب : (قضى الله ربك ذا غالب) .

ــ وقول مالك بن نويرة ص ٥٨ :

ودونكموها إنها صدقاتكم مصورة أخلافها لم يجدد

وقد شك المحقق بكلمة (مصورة) فوضع بعدها علامة استفهام ، وصواب الشطر : (مصررة أخلافها لم تجدد) أي إن الإبل مشدودة ضروعها لم يذهب لبنها ، وكانوا يصرون ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها ، وأبيات مالك بن نويرة مشهورة ذكرتها مصادر من مثل : طبقات الشعراء والأغاني والإصابة واللسان وغيرها ، والرجوع للمصادر يعصم من الخطأ وينير الطريق . وإن تطلّب وقتاً وجهداً .

ــ وقوله :

وإلا فلسنا تفقه بتوقه ولا شحم شنا أو ظباء بفرقد

وقد شك المحقق بكلمة (تفقه) فقال في الهامش (لعله : فقعة) وقد أمسك بأول الخيط ولكنه لم يواصل ، والبيت كله أوهام وأخطاء ، وصوابه ــ والتصحيح من المصادر السابقة ــ :

(وإلا فلسنا فقعة بتنوفة ولا شحم شاء أو ظباء بفدفد)

ــ وقول حارثة بن سراقة ص ٩٦ :

منعها شيخ يجد به الشيب ملمع كما يلمع النوب

وليس له معنى ، وصوابه :

(يمنعها شيخ بخديه الشيب ملمع كما يلمع الثوب)

ــ وقول الأشعث بن قيس ص ٩٨ :

إذا غضبناك مات ديك الأرض وانكفت فإن رضينا والأرض لا تتزحزح

صوابه :

(إذا ما غضبنا مادت الأرض وانكفت فإن رضينا الأرض لا تتزحزح)

ــ وقول أبضعة بن مالك ص ١٠١ :

وأمرت عامر جرعة فأمست مطوقة بها طوق الحمامة

وصدر البيت مضطرب الوزن والمعنى ، وصوابه : (وقرت عامر جزعاً فأمست) .

ــ وقال رجل من كندة يمدح الأشعث ص ١٠٧ :

ظفر الأشعث عندما كندة غلبت لما حواها واحتمى
أترك الأوتاد من أعدائهم وسمى إلى الحرب قدماً وانتمى
يا زياد ألا تلاقي أشعثا ليسقي ما صله منك دما

الأبيات مضطربة في الأصل المخطوط بسبب ما حصل فيها من تقديم وتأخير ، ولم ينبه المحقق إلى الشعر المضطرب أو يصلحه ، وصواب الأبيات فيما أظن :

(ظفر الأشعث لما كندة عندما غابت حواها واحتمى)
(ترك الأوتار في أعدائهم وسما للحرب قدماً وانتمى)
(يا زياد لا تلاقي أشعثاً فسيسقى ضلة منك دما)

ــ ورد اسم مدينة تريم في الكتاب كثيرا وفي كل المواضع جعلها المحقق (يريم) انظر ص ١١١ مثلاً . ولو كان من منهج التحقيق أن يترجم المحقق لأعلام الناس والمواضع لاهتدى إلى صواب القراءة ، وتريم : (اسم إحدى مدينتي حضرموت ، لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها ومدينتاها شبام وتريم ، وهما قبيلتان سميت المدينتان باسميهما) معجم البلدان : تريم .

وجاء اسم مدينة (دبا) في المخطوطة بذال معجمة (ذبا) ، فجعلها المحقق (ذباء) وتكررت بهذا الرسم ثلاث مرات في ص ١١٣ ، وهي دبي الحالية ، قال ياقوت فيها : (قال الأصمعي ، سوق من أسواق العرب بعمان ، وهي غير دما ، ودما أيضاً من أسواق العرب ، وبعمان مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديماً قصبة عمان ، ولعل هذه السوق المذكورة فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصدق رضي الله عنه سنة ١١ هـ ، وأميرهم حذيفة بن حصن فقتل وسبي) ياقوت : دبا .

ــ وقول عبد المسيح بن بقيلة الغساني ص ١٣٥ :

تحاماها فوارس كل حي مخافة أعطف إلى الزبير
وكنا لا يباح لنا حريم فنحن كصرة ضرع الوزير

وحقاً الشعر مضطرب في الأصل المخطوط ، ولكنه من أبيات مشهورة حفظها الطبري ٣٦٢/٣ وابن أعثم ٧٨/١ وياقوت (الخورنق) ، وصواب قراءة البيتين :

(تحاماها فوارس كل حي مخافة أغضف عالي الزئير)
(وكنا لا يباح لنا حريم فنحن كصرة الضرع الفخور)

وأكتفي بهذا القدر من الأخطاء المنتقاة ، ولولا خشية الإطالة والإملال لذكرت أضعاف ما ذكر ، فالكتاب كثير الخطأ والوهم والتحريف والتصحيف والنقص . أما النقص فيكفي أن أذكر مواضعه من الكتاب :

١ ــ ص ٤٧ من الكتاب نقص ثمانية أسطر في الورقة ١٢ ب من المخطوطة يبدأ بقوله (قال : فلما وصل هذا الشعر إلى عيينة بن حصن الفزاري ... ... ألا انه الأهرت الجارد) وفي النص المفقود خمسة أبيات لجارية سوداء ولذلك جاء بعده قول عيينة (ويلك يا سوداء من يقول هذا الشعر) ، ولو تابع المحقق المعنى لفطن إلى وجود النقص عنده ، ولا أشك بأن المحقق قد أوكل إلى أحدهم نسخ الأصل المخطوط فوقع في وهم وخلط واضطراب نتيجة قلة الخبرة والتعجل ، وإلا فالمحقق رجل فاضل معروف في علمه وتآليفه القيمة .

٢ ــ ص ٨٢ نقص عبارة في الورقة ٢٥ ب قول خالد بن الوليد حين قرأ كتاب أبي بكر الصديق قال : (يرحم الله أبا بكر ، والله ما أعرف في هذا الكتاب من كلامه شيئاً ، ولا هذا إلا من كلام ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كان الذي كان وليس إلى رده من سبيل) .

٣ ــ ص ٩٧ من الكتاب وفيه نقص نصف صفحة من المخطوطة الورقة ٣١ أ من قوله : (قال فلما سمع زياد بن لبيد هذه الأبيات ، كأنه اتقى على ما جمع من إبل الصدقة أن تؤخذ منه ... ... فإنا أناس مجمعون على الصبر) وفي النص الساقط خمسة أبيات من شعر زياد بن لبيد يرد فيها على قصيدة حارثة بن سراقة ، ولذلك جاء الخبر التالي لدى المحقق مضطرباً قال : (ورد هذه الأبيات إلى زياد بن لبيد ، غضب أحياء كندة لذلك غضباً شديداً) ص ٩٧ . وصواب العبارة : (قال : فلما وردت أبيات زياد بن لبيد هذه غضبت أحياء كندة لذلك غضباً شديداً) ، أي أن كندة هي التي غضبت من أبيات زياد بن لبيد ، وليس الذي غضب هو زياد .

٤ ــ ص ١٠٢ من الكتاب نقص بيت من أبيات رجل من كندة في الورقة ٣٣ أ هو قوله :

(إن كان في قومي الذين أعدهم خير فذاك الخير عند الأشعث)

وبعد ، فقد ذكرت أني كنت حققت الكتاب وهممت بدفعه إلى الناشر قبل سنوات وقد شغلت بغيره ، ثم عدت إليه لأستكمل مبيضته وبلغني أن الكتاب صدر بتحقيق محمد حميد الله ، فتريثت وكدت أصرف النظر عن تحقيقي ، فلما وقع في يدي الكتاب ووجدت ما هو عليه ، صار لابد من نشرة أخرى تعطي الكتاب حقه من التحقيق والتوثيق والنشر السليم ، وبالله العون ، ومنه الهداية والتوفيق .

معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة

لمحمد العدناني

عبد الفتاح السيد سليم

أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر

العدناني ، محمد/معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة .ـ ط ١ .ـ بيروت : مكتبة لبنان ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .

المبحث الأول

بِحُبِّ الفُصْحَى والحِرْصِ على بقائها ونقائها ، يُهْرَعُ كثيرٌ من عشاق العربية ودارسيها إلى الذَّوْدِ عنها ، وحمايتها من أدران الخطأ ، وسواءٌ منهم من أُتِيحَ له أن يكون متخصصاً في العربية ومن لم يكن كذلك ، ولكنه مدفوع بحب لغته وقرآنه ودينه .

ومن هنا كان ذلك النَّتاج في مجال اللحن اللغوي ، الذي يقوم على دراسة ما قد يدور على ألسنة المثقفين أو يجري في كتبهم وصحفهم من ألفاظٍ وتراكيبَ تختلُّ بها عربيتهم على نحوٍ ما ، وبعض هذا النَّتاج يَتَّسِمُ بالعمق والتأني ومحاولة التقصِّي ، وبعضُهُ الآخر له من السطحية والعجلة أوْفَى نصيب .

ومن القسم الأول : ذلك المعجمُ الذي ألفه «محمد العدناني» ، وسَمَّاه (معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة) وقد صدر عن مكتبة لبنان في طبعته الأولى سنة ١٩٨٤ م .

و «محمد العدناني» من مواليد فِلَسْطِينَ سنة ١٩٠٣م ، وفيها تَلَقَّى تعليمه ، ثم في الجامعة الأمريكية بلبنان من بعد ذلك ، حتى نال شهادة (ب . ع) سنة ١٩٢٧ م ومارس التعليم في عدد من الأقطار العربية زمناً طويلاً ، ثم انْتُخِبَ عُضْوَ شرفٍ في مجمع اللغة العربية الأُرْدُنِّيِّ ، وله عِدَّةُ دواوين شعرية ، وبحوثٍ أدبية ولغوية ، يأتي في مقدمتها معجمه هذا ، ومن قبله (معجم الأخطاء اللغوية الشائعة) .

و «معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة» معجم يَرُوعُ القارىء شكلاً ومضموناً ، أما شكلاً : فبحجمه الكبير ، وورقه الناعم المصقول ، وغلافه الفاخر ، وطباعته الجيدة ، ودقته في الضبط بالشكل . وأما مضموناً : فبالقدرة على جمع تلك المواد وترتيبها ، وتتبع من خَطَّأَ ومَنْ صَوَّب ، مع إضافة آراء المجتهدين من أعضاء مجمع لغويّ ، أو مما أقرته هذه المجامع ، أو بَعْضُها ، كُلُّ ذلك في تأنٍّ دُءُوبٍ ، وبصبرٍ لا يكاد يَنْفَدُ ، قَلَّ أن يكون لأحدٍ من علماء هذا الزمان العَجِلِ .

يضمّ معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة [٢١٣٥] مادةً لغويةً ، عُرِضَتْ على بساط التخطيء والتصويب مناقشةً واستدلالاً وترجيحاً ، يَتْبَعُها دليلٌ موجز لهذه الموادّ ، يُبَيِّنُ الخطأَ وصوابه لمن كان في عَجَلَةٍ من أمره ، ثم مراجعُ هذا المعجم لمن رغب في الاستيثاق من مادة أو الاستزادة من شرح وتفصيل ، ومن قبل ذلك صُدِّرَ المعجمُ بمقدمة ضافية ، عُرِضَت فيها الخُطَّةُ والمِنْهاج .

والحقُّ أن هذا المعجم يشهد لصاحبه بطول الباع في النقد اللغوي ، ورَحْبِ الذِّراع في عرض الآراء وإبداء الرأي وترجيح المختار ، وهو أَمْرٌ يُريحُ قارئه ، ويحفظ عليه وقته وشَتِيتَ فكره ، ويُتْعِبُ ناقدَه ، إنْ حاول أن يظفر بِسَقْطَةِ قلم ، أو هفوة ضبط ، أو ضَحَالَةِ محصول ، أو سَذاجة رأي .

ولكنه ـــ مع هذا ـــ يُغْرِي بالدراسة ويَسْتَحِثُّ ، رغبةً في كشف محاسنه ، وأَمَلاً في تقويم ما قد يَنُدُّ عن الذاكرة البشرية ـــ ومن سِمَتِها السَّهْوُ والنسيان ـــ ولا سِيَّمَا مع إلحاح مؤلفه في ذلك ، حيث قال : «وما على الذين يجيئون بعدي إلا أن يصححوا هفواتي ـــ إن كان ثَمَّةَ هفواتٌ ـــ ثم يُكَمِّلُوا الطريقَ الْوَعْرَ الذي سِرْتُ عليه ، واحداً بعد آخر ، كما يفعلون في سباق الْمُرَاوَحَةِ ، الذي يسمونه سباق المواصلة ، أو سباق البريد» [المقدمة : ش] .

وقد رأيت أن يأخذ المبحث الأول ـــ من هذه الدراسة ـــ اتجاهاتٍ مختلفة ، أُلَخِّصُها فيما يلي :

ـــ منهج العدناني في تأليف المعجم .
ـــ منهجه اللغوي .
ـــ منهجه التصويبي .
ـــ موقفه من بعض القضايا اللغوية نظراً .
ـــ رأيه في الاحتجاج بلغة العلماء .
ـــ استعمال خطَّأه ، وهو يحتمل الصحة .
ـــ استعمال صحّحه ، وهو يحتمل الخطأ .
ـــ موادُّ تستحق التعليق ، ولكنه لم يعلِّق عليها .
ـــ قواعدُ مبتورة ، أو مُسَاءٌ فَهْمُها .

(أولاً) منهج العدناني العام في تأليف المعجم :

سلك محمدالعدناني في تأليف معجمه منهجاً يمكن تلخيصه فيما يأتي :

١ ــ أنه رتّب الموادَّ المخطَّأة على نَسَقِ المعجمات الحديثة ــ وهو الترتيب الهجائي ــ مبتدئاً بباب الهمزة ــ أي الكلمات التي يكون أوّلها حَرْفُ الهمزة ــ ومنتهياً بباب الياء ــ أي الكلمات التي يكون أوّلها حَرْفُ الياء ــ وذلك بعد تجريد الكلمات من حروفها الزوائد ــ إن كان بها زوائد .

٢ ــ وأنه أخذ بعض المُهِمِّ الصحيح مما أوردته كتب اللحن اللغوي من قبله ، بعد دراسة وتمحيص ، أما ما خَطَّأه هؤلاء وَرَأى هو أنه صحيح ، فقد أيَّدَ رأيه بالدليل ، وَدَعَمَهُ بالمصادر التي تسانده في ذلك .

٣ ــ وأنه أضاف إلى معجمه موادَّ جديدةً ، دار النِّقاشُ حولها تخطئةً وتصويباً ، ورأى في ذلك رأياً ، واعتمد دليلاً .

٤ ــ وأنه أعاد في هذا المعجم بعض موادَّ من معجمه السابق (معجم الأخطاء الشائعة) بعد أن زاد عليها شواهدَ جديدة ، أو بعد ظهور رأيٍ حديثٍ بشأنها من أحد مجامع اللغة .

٥ ــ وأنه لم يأخذ في تصحيح كلمة أو أسلوب برأي عضو واحد في أحد المجامع اللغوية ، إلا إذا وافق عليه المجمعُ اللغويُّ الذي ينتمي إليه ، أو مجمعٌ عربيٌّ آخرُ .

٦ ــ وأنه أورد في معجمه الأفعال مَتْلُوَّةً بحروف جرٍّ خاصة بها ؛ ليتقيد بها من يرغب في انتقاء الأفصح ، دون أن يُخطِّيء استعمالَ هذه الأفعال مَتْلُوَّةً بحروف أخرى ــ مع عدم تغيرّ معنى الفعل معها ــ وإن اختلفت درجة الفصاحة ، ولزيادة الإيضاح لهذا النوع من الأفعال أحال القارئَ إلى مادّتين في معجمه ، هما : مادة (لا يخفى على القراء) ومادة (اعتقد) ؛ حيث شرح وفصَّل آراء العلماء في التناوب بين حروف الجر .

٧ ــ وأنه اهتم بضبط الكلمات والأعلام بالشكل التام غالباً ؛ خوفاً من الوقوع في لَبْسٍ أو غموض ، ولأن المعجماتِ قد تهمل ذلك أحياناً .

٨ ــ وأنه ذكر صواب الكلمة المخطَّأةِ مرتين : مرةً صَدَّرَ بها عنوانَ المادة ؛ لكي يأخذه نَظَرُ القاريء ، فيبقى في ذهنه ، وَمَرَّةً في شرح المادة ؛ ليزداد رسوخاً في الذهن ، أما الكلمة الخطأ ، فقد اكتفى بذكرها في الشرح مرة واحدة .

٩ ــ وأن الكلمات ذات المعنيين أو أكثر : إذا كان أحدها أشْهَرَ من الآخر ، أو أقوى منه ، فإنه يضعه أوّلاً في عناوين المواد .

١٠ ــ وأنه التزم الإيجاز ــ قدر استطاعته ــ وذلك بذكر التعريف الواحد ، أو المعنى الواحد ، مرة واحدة ، متلُوّاً بأسماء جميع ما عنده من المصادر التي ورد فيها ، أو معظمها ، أو بعضها ، ورأى أن هذا يُغْني عن ذكر خلاصة ما قاله كُلّ معجم ، وَغَرَضُهُ ذلك الإيجاز هو تجنبُ التكرار المملّ ، والحِفَاظُ على وقت القاريء .

١١ ــ وأنه وَازَنَ بين عدد المخطِّئين لاستعمالٍ ما وعددِ المصادر التي يعتمد عليها في التصويب ، فإذا قَلَّ عدد المخطِّئين اكتفى بذكر بعض المصادر في التصويب ، وإذا كثر عددهم زاد من المصادر التي تؤيد وجهته .

١٢ ــ وأنه لم يذكر أسماء اللغويين والأدباء الذين خَطَّأَ استعمالَهُمْ ؛ لأن ذلك ضرب من التشهير بالمُخْطِيءِ لا يُرْضيه ، وليس لهذا الغرض أَلَّفَ معجمه ، اللهم إلا إذا اضْطُرَّ إلى ذلك ، إمّا لشهرة المستعمِل ، أو لأن غيره اقتدى به .

١٣ ــ وأنه ذكر أسماء الأدباء والعلماء كافَّةً خِلْواً من الألقاب العلمية وغير العلمية ، كلقب «الدكتور» أو «الأستاذ» أو «الأديب» ؛ لأنهم خالدون بآثارهم التي أفادت منها اللغة ، لا بألقابهم .

١٤ ــ وأنه وضع مصادر معجمه ــ القديم منها والحديث ــ على حسب وصولها إليه ، لا على حسب ترتيب حروف الهجاء ، ولا تاريخ الطبع ، ولا موضوعات كل مصدر منها .

١٥ ــ وأنه أورد المراجع اللغوية على حسب التسلسل التاريخي لوفاة مؤلفيها ، بادئاً بأقدمها ، ومنتهياً بأحدثها .

١٦ ــ وأنه أَكْثَرَ من الاستطراد إلى غير المسائل المخطَّأة ــ مما لا يتصل بموضوعه ــ مثل : جموع المادة ، والنسب ، والتصغير ، والتصريف ، والتفرقة بين الضبط المؤدي إلى التفرقة بين المعاني ، وبعض الطُّرَف الأدبية ، وبعض أشعارٍ له ، وَمَنْ يطالعْ في المعجم يَرَ مِنْ ذلك الكثيرَ .

(ثانياً) منهجه اللغوي :

أما المنهج اللغوي في معجم العدناني فيمكن تلخيصه فيما يأتي :

١ ــ إذا كان لحروف الكلمة حركاتٌ شاذةٌ أو نادرةٌ ، فإنه يكتفي بالحركات التي يضعها مُنَضِّدُ المطبعة ، دون أن يقول بعد ذلك : بفتح كذا ، أو كسر كذا .

٢ ــ والكلمات الفصيحة التي دخلها شيء من التحريف فَظُنَّتْ عامِّيَّةً ، يرى أن نُرْجِعَها إلى أصلها ونستعملها ؛ إحياءً لها ، وتضييقاً لِلْهُوَّةِ التي تفصل بين الفصحى والعامية .

٣ ــ وإذا كان للحرف أَكْثَرُ من حركة واحدة ، اكتفى بذكر أكثرها شيوعاً .

٤ ــ وإذا اجتمعت فصيحتان تستعمل العامة إحداهما وتهمل الأخرى ، فإن التي تستعملها العامة هي الكلمةُ العليا ــ في رأيه .

٥ ــ وأما الاجتهاد النحوي واللغوي ، فَبَابٌ يجب أن يكون مفتوحاً

على مِصْرَاعَيْهِ دائماً ، بشرط أن يكون المجتهد من المتبحّرين في اللغة والنحو ، مع ترك الحكم الفصل للمجامع اللغوية دون غيرها ؛ منعاً للفوضى في اللغة ، ورغبةً في عدم ترك الحكم على الاستعمال لكلّ أحد .

(ثالثاً) منهجه التصويبي :

اعتمد العدناني في تصويب الكلمة أو العبارة على وجودها في واحد مما يأتي :

١ ــ في القرآن الكريم .

٢ ــ في الحديث الشريف ، إذا تحققت أمور ثلاثة :

أ ــ التأكد من حرص الراوي على نقل اللفظ الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم نصّاً .

ب ــ التأكد من أن الراوي غير أعجمي ؛ خشيةَ أن يكون ممن لا يحسن النطق بالفصحى .

ج ــ أن يكون الحديث مما يقبله العقل ، فإذا رفضه العقل انصرف العدناني عن الاستشهاد به .

٣ ــ في أمهات المعجمات كلّها أو بعضها أو واحد منها ، على ألّا يكون سَبَبُ الانفراد خطأً مطبعيّاً .

٤ ــ في بيتٍ لأحد أمراء الشعر الجاهلي ــ على ألّا يكون منحولاً ــ أو في بيتٍ لأحد فحول شعراء صدر الإسلام والعصر الأمويّ .

٥ ــ فيما أقرته مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان .

٦ ــ في أمهات كتب النحو ، إذا غلب الرأي بتصويبها .

ثم يضيف العدناني إلى منهجه في التصويب ما يأتي :

١ ــ الالتزام بما أجمعت عليه المعجمات ، وبعض ما أقرته مجامع اللغة ، مع عدم الاهتمام بما نُسِبَ إلى بلغاء العرب في صدر الإسلام ، عند الشك في صحة الرواية عنهم ، ولا بما قاله أئمة الأدب العربي في القرون العشرة الأخيرة ، إذا لم يجد معجماً مُوَثِّقاً يَدْعَمُ أقوالهم .

٢ ــ إهمال جميع ما لم تذكره المعجمات ، ولم تُقِرُّهُ المجامع اللغوية في العالم العربي ، أو أَحَدُهَا .

٣ ــ إهمال جميع ما شَذَّ عن قواعد النحو والصرف .

٤ ــ الابتعاد عن معظم الضرائر الشعرية التي يُسْمَحُ بها للشاعر دون الناثر ، مع الدعوة إلى إجازة بعض هذه الضرائر في النثر ؛ لتذليل كثير من العقبات اللغوية والنحوية .

٥ ــ في اللغة بَعْضٌ من الاستعمال يرى العدناني أن يُهْجَرَ وَيُسْتَبْدَلَ به غَيْرُهُ ، مع أنه صحيح من جهة اللغة ؛ لأن استعماله يَصْرِفُ ذِهْنَ سامعه أو قارئه إلى معنىً قبيح أو غير مقصود ، وذلك نحو قولهم : جَامَعْتُ فلانة على أمر كذا ــ يعني : وافقتها في الرأي ــ فإن هذا التعبير يُشْعِرُ بمعنىً خاصٍّ يَخْجَلُ بعض الفضلاء من التَّفَوُّهِ به ، وَخَيْرٌ منه أن يقال : أَيَّدْتُ فلانة ، أو : رأيت رأيها .. الخ .

٦ ــ إذا اختلف النحاة في صحة المادة أو خطئها ، فإنه يختار من هذه المذاهب ما يرى أنه أقرب إلى العقل ، مع إجازة رأي المذاهب الأخرى .

٧ ــ الكلمات التي يقترح استعمالها ــ مما جاء في معجمه ــ لا يُلْزِمُ أحداً باستعمالها ، بل تَوَجَّه بها إلى المجامع اللغوية ؛ للنظر في رأيه وإقراره ــ إن بدا لها ذلك .

٨ ــ لم يَقْبَلْ استعمال الكلمات التي لم تَرِدْ في معظم المعاجم الموثوق بها ، والمشهود لها بالدقة ، أو فيها كلّها .

٩ ــ لم يَرْتَضِ رأياً انفرد به عضوٌ في أحد مجامع اللغة ، إلا إذا وافق عليه المجمع الذي ينتمي إليه ، أو مجمع عربي آخر .

ولي على هذا المنهج تعليق :

فإنه ــ إذا اعتمد على وجود الكلمة في القرآن الكريم ــ لم يُشِرْ إلى موقفه من القراءات القرآنية بدرجاتها المختلفة ، ولم يَرِدْ في موادّ معجمه ما يشير إلى أنه اعتمد هذه القراءات ــ أو بَعْضَ درجاتها ــ حُجَّةً في تصويب الاستعمال ، ومن الثابت أن القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، وأن بعض الكلام المخطَّأ يمكن تصحيحُهُ على هذه القراءات .

وكذلك الحديث الشريف ، ينبغي أن يكون المقياسُ هو التأكّد من حرص الراوي على نقل اللفظ الذي نطق به الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقط ، دون اشتراط ألّا يكون الراوي أعجميّاً ؛ إذ إنّ من الأعاجم من كان يُتْقِنُ العربيةَ ــ درايةً وروايةً ونطقاً ــ كأبنائها العرب ، وأكثر علماء العربية كانوا من العجم . ثم إنه لا علاقة بين عُجْمَةِ الراوي وصِحَّةِ ما يَروي ــ مع تحقق الشرط الأول من شروطه ــ وهو الحرص على نقل النصّ اللفظي للحديث . وكذلك الشرط الثالث ــ وهو أن يكون الحديث مما يقبله العقل ــ لا مَدْخَلَ له في صحة اللفظ ، فإن من الأحاديث ما يعجز العقل عن إدراك مضمونها ، كالأمور الغيبية ، ولا ينبغي أن يكون لهذا مَدْخَلٌ في صحة اللفظ أو الأسلوب أو فسادهما . ولم يُشِرْ العدناني في أثناء معجمه ــ على سَعَتِهِ ــ إلى حديثٍ رفضه لعدم تحقق الشروط التي اشترطها .

وكذلك دَعْوَتُهُ إلى إهمال جميع ما شَذَّ عن قواعد النحو والصرف ، دعوةٌ تتضمن شيئاً من المجازفة اللغوية ، والعَمَلُ بها يؤدّي إلى إسقاط بعض ما في القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث : شعراً ونثراً ، مع عدم صحة البديل القياسيّ له ــ والسماع مقدّمٌ على القياس وَمُسْقِطٌ له ــ ألا ترى أن الفعل (استَحْوَذَ) ــ وما يتصرف منه ــ مثلاً ، شاذٌ عن القياس ؛ لعدم إعلاله ــ مع استيفاء شروط الإعلال ــ فهو نظير (استقام) الذي

أصله (اسْتَقْوَمَ) ولم يَرِدْ هذا الفعل وتصريفاته مُعَلاً عن العرب ، فلم يقولوا : (اسْتَحَاذَ) وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ﴾ [المجادلة ١٩] .

ثم إن الشذوذ في اللغة ليس مَحَلَّ اتفاقٍ بين العلماء، بل هو خاضعٌ للرأي والاجتهاد في القاعدة والاشتراط لها ، فما يُعَدُّ شاذاً عند البصريين قد يكون قياساً عند الكوفيين ، أو قليلاً . وإذَنْ فما ضابط الشاذ الذي رغب العدناني في أن يُلْغِيَه كله من كلام الناس ؟

(رابعاً) موقفه من بعض القضايا اللغوية نظراً :

وضح العدناني موقفه من بعض قضايا اللغة — في مقدمة معجمه وغيرها — على النحو الآتي :

المُوَلَّد :

يفرق العدناني بين الألفاظ والعبارات الْمُوَلَّدَةِ قديماً والمولَّدة حديثاً ، فهو يقبل المولَّد قديماً ؛ للحاجة إليه ، ولكونه القِسْمَ الأكبر من اللغة ، ولا كذلك المولَّد حديثاً ، يقول : «وأنا ممن يدعون إلى استعمال الكلمات المولَّدة دون تردد ، وهي الكلمات المستعملة بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع الهجري في جزيرة العرب ، وقِسْمٌ كبير جدّاً من لغتنا مولَّد ، فإذا أنكرنا استعمال المولَّد نكون قد أنكرنا استعمال القسم الأكبر من الكلمات التي يستعملها اليوم كُتَّابُنا وشعراؤنا ، ونكون قد قتلنا آلاف الكلمات التي عاشت على ألسنتنا أكثر من عشرة قرون» ا هـ [الصفحة ي] .

ثم يقول : «ولم أقبل الكلمات المولَّدة الحديثة التي انفرد بذكرها المعجم الوسيط ، إذا كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة لم يوافق على استعمالها ، مع أنني اقترحت على المجمع الموافقةَ على بعضها ؛ لأنني اعتقدت أن المعجم كان مصيباً في رأيه» ا هـ [الصفحة م] .

الأعجمي المعرب :

يدعو إلى التسليم بصحة ما عُرِّبَ قديماً من ألفاظ العجم ، فإنه قد صار عربيّاً بالاستعمال ، ويقول : «وأنا أؤيد الْجَوَالِيقيَّ وابْنَ الجَوْزِيِّ وسواهما من أئمة العربية الذين قالوا : إن الكلمات الأعجمية التي عَرَّبَها العرب وحَوَّلوها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظهم تصبح عربية» ا هـ [الصفحة ي] .

أما المعرَّب حديثاً فلم يَرِدْ في مقدمته ما يؤيد قبوله أو ما يرفضه ، ولكن من تتبع مواد معجمه يَبِينُ اختلافُ رأيه — ولا سِيَّمَا في المعرَّب الذي له مقابلٌ عربي — فمرَّةً يرفضه ، ومَرَّةً يقبله مع مساواته العربيَّ في الاستعمال ، ومرة يفضِّله على العربيِّ ، ومرة يفضِّلُ العربيَّ عليه ، وسيأتي توضيح ذلك عندما أعرض موقفه التطبيقي من بعض القضايا اللغوية .

الأضـــداد :

وهي الكلمات العربية التي ورد لكل كلمة منها معنيان ، وقد ذهب إلى صحة استعمال مثل تلك الكلمة في كلا مَعْنَيَيْهَا ، ولكنه يختار لها المعنى المشهورَ المألوفَ ؛ لأنه الأقربُ إلى الذهن ، وللتيسير على الناس فهماً وإفهاماً ، وقد كتب في باب الضاد من معجمه بحثاً مفصَّلاً عن الأضداد في اللغة ، قال في آخره : «وفي هذا المعجم كلمات كثيرة تحمل كل منها مَعْنَيَيْنِ متضادَّيْن ، علينا ألَّا نستعملَ إلا معانيها المألوفة ، وألَّا نلجأ إلى استعمال المعاني المهجورة إلا عند الضرورة القُصْوَى ، وعندما توجد قرينةٌ تدل على المعنى المقصود ، والتقليل من استعمال الأضداد يعني التقليلَ من التشويش والفَوْضَى اللَّذيْن يصيب بهما ذلك الاستعمال أذهاننا» اهـ [م : ١١٤٢] .

ومن قبل ذلك قال في المقدمة : « وهذه الدعوة — يقصد دعوته إلى إهمال المعنى غير المألوف — لا تعني أنني أُخَطِّىءُ من يستعمل المعنى الآخر غَيْرَ المختار وَغَيْرَ المألوف ، ويهمل المختارَ والمألوفَ ؛ لأن هذا من شأن مجامعنا اللغوية » اهـ [الصفحة ق] .

اللهجة العاميـة :

لا يرفض العدناني لهجة العامة رفضاً باتّاً ، وإنما يدعو إلى التأنِّي في الرفض أو القبول ، فإذا ما كانت كلمةٌ تَتَفَوَّهُ بها العامة فصيحةً قَبِلَهَا ، بل آثرها على قرينتها في العربية الفصحى ؛ لأُلفِ الناس لها ، وائتناسهم بها ، يقول : « وأنا في هذا المعجم وفي تَوْأَمِهِ (معجم الأخطاء الشائعة) لا أؤيِّد استعمالَ الكلمات العامية — كما خُيِّلَ إلى بعض النقاد الذين قرأوا مقدمة المعجم الأول ، ولكنني أُوثِرُ استعمالَ الكلمة الفصيحة التي تتفوَّه بها العامة على الكلمة الصحيحة التي تَأْبَى العامَّةُ استعمالَها أَوْ لَا تستحسنه » اهـ [الصفحة ص] .

التنـاوب بين حروف الجـر :

يستسيغ ذلك ، على ألَّا نُسْرِفَ في اللجوء إليه ، ولكن الشرط عنده هو ألَّا يؤدِّيَ ذلك التناوبُ إلى التباس المعاني ، يقول : « ودعوت القارىء في نهاية كل مادة من هذا النوع إلى الرجوع إلى مَادَّتَيْ (لا يخفى على القرء) و (أعتقد) ليرى أنه يَحِقُّ له أن يضع حرف جر مكان آخر ، إذا لم يلتبس المعنى ، وهذ أوافق عليه موافقة تامة ، أو إذا أُشْرِبَ فِعْلٌ معنى فعل آخر ؛ لمناسبة بينهما ، وهذا أرى ألَّا نُسْرِفَ في اللجوء إليه ؛ لأن طريقه وَعْرٌ جدًّا ، لا نأمن فيه العِثَارَ » اهـ [الصفحة ل] . وفي إحدى موادِّ معجمه وضح العدناني هذهِ المسألة ، فذكر آراء العلماء فيها قبولاً ورفضاً ، ثم عَقَّبَ في كثير من الأحوال ، لكنها لا تَطَّرِدُ في كل موضع ، وَيُتْرَكُ

الأمر فيها إلى السماع لا القياس » اهـ [م : ٥٧٩] . وسيأتي توضيح ذلك تطبيقاً .

الشاذ :

يدعو إلى إلغاء الشواذ كلّها ، أو جُلّها ــ إن تعذر إلغاء الجميع ؛ لتخفيف العِبْءِ عن الكتاب والأدباء ، إذ إنّ الشاذ يُحْوِجُ إلى الرجوع إلى كتب اللغة والنحو والمعجمات ، ورُبَّما لا يتيسر لهم ذلك، يقول : «ولا أدري : لماذا لا تحاول مجامعنا الأربعة والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ــ إلغاء جُلِّ الشواذ في اللغة العربية ، إذا تعذر إلغاؤها كُلّها ؛ لكي تخفف قليلاً العِبْء الذي تحمله أذهان أبناء الضاد ومُحِبِّيها» ا هـ [م : ١٩٨٠] وقد سبق تعليقٌ لي على ذلك عند بيان منهجه التصويبي ، وسيأتي توضيحٌ أكثر عندما أعرض بعض مسائله ــ في هذا ــ في منهجه التطبيقي .

الترجمة الحرفية :

لا يرى وجهاً لترجمة التراكيب الأجنبية ترجمةً حرفية ، إذا كان في لغتنا ما يؤدي عن ذلك تأديةً تامةً أو شِبْهِ تامة ، أما الألفاظ الأجنبية فإنه لا يرى بأساً ــ في الأعلام بوجهٍ خاص ــ أن يوضع الاسم الأعجمي بين قوسين بعد الاسم العربي ، إذا كان العرب قد وضعوه أوّلاً ، اسماً لمكان أو لغيره ؛ لكي يعرف المتخرجون في المعاهد الأجنبية من أبناء الضاد الاسْمَ العربيَّ الأصليَّ قبل أن يُحَرِّفَهُ الأعاجم ؛ لأننا إذا اكتفينا بذكر الاسم الأعجمي فقط ابتعدنا عن تاريخنا العربي . [م : ٢٧٧) .

الخلاف المذهبي :

هو من أنصار قبول كلّ ما وافق عليه البصريون وخطّأه الكوفيون ، وكلّ ما وافق عليه الكوفيون وخطّأه البصريون ؛ والغرض من ذلك أن نقلل من عثرات الأدباء في اللغة ، ويقول : « وعلى مؤلفي كتب النحو الحديثة : الجامعية والثانوية ــ إجازة آراء النحاة البصريين والكوفيين جميعها ، على أن يُقِرَّ أحد مجامعنا اللغوية موادَّ تلك الكتب وأساليبها في التأليف ، قبل إقدام وزارات التربية والتعليم على طبعها » اهـ [الصفحة د] .

وتلك الدعوة منه ربما جاوزت حَدَّها ، ولم يُقَدِّر هو عاقبة أمرها ، فالأخذ بها ــ في رأيي ــ يؤدي إلى تضييع اللغة ــ ولا سيّما القواعد التي أُسِّسَتْ عليها ــ ولا يحفظ عليها شيئاً تستمسك به ! فهل يدري الأستاذ أنه لا يكاد يجد مسألة نحوية إلا وجد فيها خلافاً بين المذهبين ، أو بين من يسلك مسلكهما من النحاة المتقدمين والمتأخرين ؟ ألا ترى أن المشهور المألوف لكل أحد أن (الفاعل مرفوع وأن المفعول منصوب) وعلى ذلك جرى الكلام شعراً ونثراً ، وَعُدَّ ما خالفه خطأً ، أو شاذّاً فيما ورد من أمثلته لا يُقَاسُ عليه ، لكنّا وجدنا من النحاة من يجيز (نصب الفاعل ورفع المفعول) ويقيس على ذلك ، متى أُمِنَ اللَّبْسُ وَمُيِّزَ أحدهما من الآخر ، قال ابن أبي الربيع : « وأما ابْنُ الطَّرَاوَة فقال : إذا فُهِمَ المعنى فارفع ما شئت ، وانصب ما شئت ، وإنما يُحَافَظُ على رفع الفاعل ونصب المفعول إذا احتمل كل واحد منهما أن يكون فاعلاً ، وذلك نحو : ضرب زيدٌ عمْراً ، لَوْ لَمْ ترفع زيداً وتنصب عَمْراً لم يُعْلَمْ الفاعلُ من المفعول » ويعلّق ابن أبي الربيع على هذا بقوله : « فيلزم على قوله أنك إذا قلت : ضَرَبَتْ زيداً هِنْدُ ، يجوز لك أن ترفع زيداً وتنصب هِنْداً ، لأن علامة التأنيث اللاحقة للفعل دالّةٌ على أن هنداً هي الفاعل ، فلا يُحْتاج إلى المحافظة على الإعراب ــ على قوله ــ » اهـ [البسيط في شرح الجمل ١ /٢٦٢] .

وقديماً قال الخليل : لغة العرب أكثر من أن يَلْحَنَ متكلم ، وروى الفراء عن الكسائي قال : على ما سمعتُ من كلام العرب ليس أحَدٌ يَلْحَنُ إلا القليل .

ومن شاء الاستزادة من هذا الاضطراب المذهبي فليذهب إلى أمهات كتب النحو ، مثل : همع الهوامع للسيوطي ، وشرح المفصّل لابن يعيش ، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل .

ثم : كيف نحقق الهدف من تدريس اللغة والنحو ، إذا كان الدارس يعرف ــ سَلَفاً ــ أن كلّ كلام يقوله مُجازٌ على رأي ما ؟ وأن كلّ شرط في قاعدة مُعْتَرَضٌ عليه من جانب ؟ وكان الأوْلَى بالأستاذ أن يَدْعُوَ إلى تدريس الأرجح من الآراء ، ويدعو إلى التمسك باستعمال ما وافقه على شروطه وتجنب دراسة الخلافات في المدارس الثانوية ، وفي المرحلة الجامعية لغير المتخصصين في اللغة ؛ حتى تَمْرُنَ ألسنتهم على الأفصح المشهور من كلام العرب ، وتُتْرَك دراسة المذاهب والآراء وما يَعْلَقُ بها إلى المتخصصين في اللغة ، ولا تهمل أصلاً ؛ لأن من القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث الشعري والنثري ما ورد به ، ولا يمكن التخريج إلا عليه .

التنازع النحوي :

ذكر العدناني بعضاً من أمثلته تحت هذا العنوان ، وبيّن وِجْهَةَ العلماء فيها ، ثم قال : «هذه الفوضى ــ يقصد في تخريج أمثلة التنازع ــ تحملني على أن أقترح على مجامعنا الأربعة إلغاءَ التنازع من كتاباتنا المعاصرة : نثرها وشعرها ؛ لأن الشاعر الفَحْلَ والأديب الكبير لا يحتاجان إلى هذا الأسلوب المعقّد لنظم بيت أو كتابة جملة ، وأقترح على نُحَاتِنَا المعاصرين أن يكتفوا بذكر بعض الأمثلة التي أوردتها ، مع تفسير واضح ووَافٍ لها ، على أن

يُوصُوا القرّاء بالابتعاد عن هذا الباب الغامض الشائك» اهـ [م : ١٨٩٣] وانظر هذا المعنى أيضاً في [م : ١٢٣٢] .

نزع الخافض :

إذ وَرَدَ عن العرب أمثلةٌ قليلة حُذِفَ فيها حرف الجر فَنُصِبَ ما كان مجروراً به ، كقولهم : ذهبتُ الشامَ ، ومُطِرْنا السَّهْلَ والجبلَ ، وَرَأْيُ العدناني فيه هو : «أن نقبل — على مَضَضٍ — بالجُمَلِ التي نطق بها العرب وفيها كلماتٌ منصوبة عن نزع الخافض ؛ لكيلا نقطع الصلة بيننا وبين ما تفوّه به أجدادنا ، وأن نخطّىء كُلَّ كاتب حديث معاصر يلجأ إلى نصبٍ على نزع الخافض ، مستعملاً الفعل الذي استعمله الأجداد وحاذفاً حَرْفَ الجر ؛ لكي يُري المتحذلقين أمثاله أنه يعرف قاعدة النصب على نزع الخافض ، وأن نُفهِمَ كُلَّ شاعر معاصر يلجأ إلى نصب اسم على نزع الخافض في نظمه أن في البيت الذي ورد فيه ذلك الاسم منصوباً — بَدَلاً من أن يكون مجروراً — رِكَّةً يجب ألّا تظهر في شعر الشعراء الفحول ، وأنه إذا ورد الأسلوب بروايتين ، إحداهما على نزع الخافض ، فعلينا أن نأخذ بالرواية الثانية المستقيمة» اهـ [م : ١٨٩٢] .

الكون العام :

أشار إلى آراء العلماء في حذف الكون العام وجوباً أو جواز ذكره وحذفه ، وذلك نحو قولنا : الشهامة «موجودة» عند العرب — أو — هذه الكلمة «موجودة» في المعجم الكبير ، ونقل أن ابن جني أجاز ظهوره ، وأن ابن مالك جعله أغلبيّاً ، وأن ابن يعيش أجاز ظهوره قبل الظرف ، وأن المجمع اللغوي أجاز نحو المثالين السابقين ، وجعلهما من باب الكون الخاص ، ثم قال العدناني : «وأرى أن نحذف الكون العام ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ؛ لأن في الإيجاز البلاغةَ العظمى» اهـ [م : ٢٠٣٩] .

المنع من الصرف :

يدعو إلى إجازة صرف الممنوع من الصرف في النثر والاختيار ، كما أُجيز في الشعر والاضطرار ؛ تسهيلاً لجريان اللغة على ألسنة الأدباء والكتاب ، وبُعْداً عن التعقيد اللغوي ، يقول : «إن كثرة الأسباب التي تمنع الكلمة من الصرف والتي تدعو إلى صرفها ؛ محافظةً على وزنٍ أو مراعاةً للتناسب في أواخر الكلمات المتجاورة — أو غير ذلك من أسباب التسامح الكثيرة — تحملني على أن أقترح على مجامعنا إجازة صرف الممنوع في النثر ، كإجازة صرفه في الشعر ؛ تجنباً للغموض الذي يكتنف الكاتب في مجاهل هذا الموضوع العويص الشائك» اهـ [م : ١٠٩٩] .

الضرورة :

يدعو إلى أن يُسْمَحَ للناثر باستعمال ما جاء ضرورةً في الشعر ، حتى يستقيم الكلام على وَتِيرَةٍ واحدة ، فيستريحَ الْمُنْشِىءُ كما استراح الْمُنْشِدُ ، يقول : «وأنا أدعو اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية أن يُقِرَّ بالإجماع السماحَ للناثر بجميع ما سمح به للشاعر ، وأُطلِقَ عليها اسم (الضرائر) ؛ لنزيح عن كواهل الكتّاب عِبْئاً ثقيلاً ، لا يزالون يرزحون تحت شدة وطأته» اهـ [م : ١١٤٦] .

وعلى هذا أجاز قياساً في نثر الكلام حَذْفَ النون من المضارع (يكون) إذا وَلِيَهَا ساكنٌ ، نحو : فَلْيَكُ الرسولُ قدوة لنا ، قياساً على قول الشاعر :

فَإِنْ لَمْ تَكُ المِرْآةُ أَبْدَتْ وَسَامَةً   فَقَد أَبْدَتِ الْمِرْآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

[م : ١١٤٦] .

وأجاز أن يستعمل (العُلَامَةُ) — بالتاء — للمؤنث ، قياساً على قول الشاعر :

وَمُرْكَضَةٌ صَرِيحِيٌّ أَبُوها   تُهَانُ لها العُلَامَةُ والغُلَامُ

[م : ١٤١٧] .

(خامساً) رأيه في الاحتجاج بِلُغَةِ العلماء :

لم يَرِدْ عن العدناني رأيٌ صريحٌ — في معجمه — يشير إلى أخْذِهِ بِلُغَةِ العلماء — من أهل اللغة وغيرهم — أو عدم الأخذ بها في تصحيح الاستعمال المخطأ ، وأعني بِلُغَةِ العلماء : ما أُثِرَ عنهم من ألفاظٍ وتراكيبَ تضمنتها مؤلفاتهم ، أو نُقِلَتْ عن ألسنتهم ، مما قد يُجَافِي الفصحى على نحوٍ ما — ولكنَّ مَنْ تتبع موادَّ معجمه يتضح له أنه يفرق بين لغة علماء اللغة ولغة غيرهم في الاقْتِبَاسِ بها في تصحيح الاستعمال ، فهو لا يعتدُّ بِلُغَةِ العلماء من غير أهل اللغة ، ولذا خطَّأ :

★ (النويري) صاحب كتاب (نهاية الأرب) حين استعمل الظرف غير المتصرف (دُونَ) بالباء (بِدُون) في قوله : «كان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بِدُونِ أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة بالأسجاع» اهـ . قال العدناني : «وأنا لا أستطيع الاعتماد على قول النويري ؛ لأنه ليس من أعلام اللغويين ، الذين يمكننا الاستشهاد اللغوي بما يكتبون» اهـ [م ٦٧٩] .

أما علماء اللغة فقد أخذ بلغتهم ، وصحح عليه بعض الاستعمال ، وذكر من هؤلاء :

★ (المبرّد) في كتابه (الكامل في اللغة والأدب) حيث جمع (المِرْجَل) — وهو القِدْرُ من الطين المطبوخ أو النحاس — على (المراجيل) — بالياء — مع أن صوابه هو (الْمَرَاجِل) بلا ياء — [م : ٧٣٢] .

★ (ابن جني) في كتابه (الخصائص) حيث قدّم (النفس) ـــ مقصوداً بها التوكيد ـــ على المؤكَّد ، فقال : «وهي متعلقة بِنَفْسِ تَبًّا» ، يريد : متعلقة بـ «تَبًّا» نَفْسِها [م : ١٩٣٦] .

كما أخذ باستعماله أيضاً حيث استعمل الفعل (استرسل) ـــ بمعنى واصل شيئاً ما ـــ وقال : « .. وأنه ليس استرسالاً ولا تنجيحاً» ، كما قال : «ألا ترى أنهم إذا استرسلوا في وصف العلّة وتحديدها ..» [م : ٧٥٢] .

★ (سيبويه) في (الكتاب) حيث استعمل (النفس) ـــ مقصوداً بها التوكيد ـــ مقدَّمةً على المؤكَّد ، فقال : «وإذا أَضَفْتَ إلى شاة ، قلت : شاهِيٌّ ، تَرُدُّ ما هو من نَفْسِ الحرف ـــ وهو الهاء» يقول العدناني : «وحسبنا الاعتماد على هذين العملاقين ـــ يقصد ابن جني وسيبويه ـــ» [م : ١٩٣٦] .

(سادساً) رأيه في بعض المعجمات اللغوية :

(أ) المعجمات القديمة :

ذكر العدناني ـــ في مقدمة معجمه ـــ أنّ من منهجه التصويبي وُجُودَ المادة المخطَّأة في أمّهاتِ المعجمات كلّها ، أو بعضها ، أو واحد منها ـــ على ألّا يكون سبب الانفراد خطأً مطبعيّاً [الصفحة ح] كما ذكر أنه لا يقبل الكلمات التي لم ترد في جلّ المعاجم الموثوق بها ، والمشهود لها بالدقة ، أو فيها كلّها [الصفحة ل] وهو ـــ بهذا ـــ يضع الثقة فيما رَوَتْهُ هذه المعجمات أو نقلته موضع عنايته في تصحيح ما خطَّأ غيره ، ومن هنا كان الغالب على موادّه الأخذ بما جاء في المعجمات القديمة ، ولكنه خرج عن ذلك في بعض مواده ، فخطّأ بعض هذه المعجمات فيما جاءت به ، ومن ذلك :

★ (لسان العرب) لابن منظور حيث أورد : (الرَّهَابِنَة ، والرَّهَايِين ، والرَّهَبَانُونَ ، والرُّهْبَانِيُّون) جموعاً لـ (رُهْبان) ـــ وهو من يعتزل الناس ويختلي للعبادة في صومعة ، من النصارى ـــ وهذا عند من يرى أن (الرُّهْبَان) مفرد . [م : ٧٨٩] .

كما خطَّأه إذ ذكر أنه يقال : (مَرَئِيّ) في النسب إلى : (امْرِىء القَيْس) ، قال العدناني : «ولما كان اللسان قد انفرد ـــ من دون المعاجم الأخرى ـــ بذكر النسبة (الْمَرَئِيّ) فإنني أرى أن نهملها ، ونخطّىء من يستعملها ، لأننا لا نستطيع الاعتماد على مصدر واحد ، ولو كان ثَبَتاً كاللسان» اهـ [م : ١٧٨٥] .

وكذلك خطَّأه في الإتيان بالفعل (تَصَامَمَ) بغير إدغام ، إذْ لا موجب للفك من الوجهة الصرفية ، والصحيح هو (تَصَامَّ) ، وعدّ ذلك من عثراته [م : ١١١٧] .

★ (تاج العروس) للزبيدي :

خطَّأه العدناني في فك الإدغام في الفعل (تَصَامَمَ) بلا موجب له ، ثم قال : «وهذا يدل على أن اللسان عثر ، فعثر التاج مثله ، دون أن يَفْطَنَ لذلك ، وهو يَحْتِمُ عليَّ تخطئة هذين المعجمين اللَّذَيْن لا يزالان ـــ حتى يومنا هذا ـــ في قمة معاجمنا دقة وتفصيلاً وَنَدْرَةً في العثرات» ا هـ [م : ١١١٧] .

★ (القاموس المحيط) لِلْفَيْرُوزَابَادِيّ :

خطَّأه في ذكره الجموع السابقة لـ (رُهْبان) عند من يرى أنه مفرد . [م : ٧٨٩] .

★ (أساس البلاغة) للزمخشري :

خطّأه العدناني في ذكر (الْوَلِه) ـــ بمعنى : المتحير من شدة الحب ـــ وصفاً للفاعل من الفعل (وَلِهَ) ، ورأى أن الصواب : (وَالِهٌ ، وَوَلْهَانُ) . [م : ٢١٠٣] .

كما خطّأه في تسكين الهاء من (الوَهَم) مصدراً للفعل (وَهِمَ) ـــ بمعنى : غَلِطَ في الحساب ـــ ؛ لأن الصواب فتحها . [م : ٢١١١] .

كذلك خطّأه في الإتيان بالمصدر (اللَّحِق) ـــ مفتوح الحاء ـــ للفعل (لَحِقَ) ، والصواب إسكانها . [م : ١٧٢٩] .

★ (المفردات) للراغب الأصفهاني :

وقد خطّأه في ضبط (المنخر) بكسر الميم وفتح الخاء ؛ لأن الصواب هو : ضمهما ، أو كسرهما ، أو فتحهما . [٢ : ١٨٨١] .

(ب) المعجمات الحديثة :

لم يُشِرْ ـــ في مقدمته ـــ إلى رأيه في المعجمات الحديثة ، ولا سيّما إذا انفردت بمادة لغوية ـــ ويبدو أنه يعتدُّ بذلك ـــ غالباً ـــ إذا كان المعجم موضع ثقته ، كأن يكون من مؤلفات هيئة لغوية ، كمعجم (الوسيط) مثلاً ، الذي وضعه وأقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولا كذلك إذا كان المعجم الحديث من وضع فرد ليس موضع ثقة لغوية أو ضبط ـــ مثل معجم (محيط المحيط) مثلاً ـــ ولكن الأمر ليس على إطلاقه دائماً ، فقد كان العدناني يعرض المواد التي جاءت في هذه المعجمات ويمحصها ويختار ، ولهذا وجدناه يخطّىء بعض هذه المعجمات :

★ (الوسيط) :

خطّأه العدناني في اتباعه (أساس البلاغة) في ضبط (الوهم) مصدراً ـــ بمعنى : الغلط في الحساب ـــ بسكون الهاء ، والصواب فتحها . [م : ٢١١١] .

وخطّأه في متابعة (أساس البلاغة) حيث ذكر أن وصف الفاعل من (وَلِهَ) هو : (وَلِهٌ) والصواب : (وَالِهٌ ، وَوَلْهَانُ) . [م : ٢١٥٣] .

وخطّأه في متابعة (أساس البلاغة) حيث ذكر أن مصدر الفعل (لحق) هو (اللَّحَق) ـــ بفتح الحاء ـــ والصواب إسكانها . [م : ١٧٢٩]

وخطّأه في الإتيان بمصدر الفعل (نعس) مفتوح العين (النَّعَسُ)، والصواب إسكانها. [م: ١٩٢٥].

وخطّأه حيث تابع (محيط المحيط) في جمع: (أُظفور) على: (أظافِر)، والصواب: (أظافير). [م: ١٢٢٩].

وخطّأه حيث تبع (محيط المحيط) فأورد (الفِطَحْل) — بمعنى: العالم غزير العلم، في نحو قولنا: فلان من فطاحل العلماء، والصواب: من فحول العلماء. [م: ١٤٨١].

وخطّأه في اتباعه (متن اللغة) الذي أورد قولهم: شَكَّلَ الكتاب — بتشديد الكاف — بمعنى: ضبطه بالشكل، وكتاب مُشَكَّلٌ — بتشديد الكاف أيضاً — لأن التشديد لم يرد في اللغة في هذه المادة. [م: ١٠٣٠].

وخطّأه إذ اتبع (محيط المحيط) في ضبط (الضفدع) — وهو الحيوان ذو النقيق المعروف — بضم الضاد، والصواب كسرها أو فتحها. [م: ١١٥١].

وخطّأه في إيراده قولهم: تَوَلَّعَ به — بمعنى: تعلّق به وحرص —، والصواب: وَلِعَ به، وأُولِعَ به. [م: ٢١٠٠].

وخطّأه في إيراد (صُوعَان) جمعاً لـ (صاع)، والصواب: أَصْوُعٌ، وآصُعٌ، وصُوعٌ، وأَصْوَاع، وصِيعَان. [م: ١١٢٨].

★ (متن اللغة) لأحمد رضا:

خطّأه في متابعة كل من: اللسان والقاموس، فذكروا أن (الرُّهبان) مفرداً، يجمع على (رُهبانون، ورَهَابنَة، ورَهَابين). [م: ٧٨٩].

وخطّأه في ضبط (الشُّدْق) — وهو جانب الفم — بضم الشين، والصواب فتحها أو كسرها. [م: ٩٩٣].

وخطّأه في إيراد: شَكَّلَ الكتاب، وكتاب مُشَكَّل — بتشديد الكاف — ولم يرد هذا الفعل في اللغة مشدداً، ولا ما تصرف منه. [م: ١٠٣٠].

وخطّأه في الإتيان بالفعل (أَكْتَمَ السِّرَّ) — بالهمزة في أوله — والمعروف أنه لم يرد كذلك، وإنما الوارد: (كَتَم، وكَتَّمَ، وتَكَتَّمَ، وكاتَمَ). [م: ١٦٣٧].

وخطّأه في فتح الدال من قولهم: فلان مُعْلِمُ، والصواب كسرها. [م: ١٢٦٠].

وخطّأه في متابعة الراغب الأصفهاني في ضبط (المنخر) بكسر الميم وفتح الخاء، والصواب ضمهما، أو كسرهما، أو فتحهما. [م: ١٨٨١].

★ (مد القاموس) لإدْوَرْد وِلْيَم لَيْن:

خطّأه في ذكر (المُطران) — وهو الرئيسي الديني عند النصارى — مضموم الميم، والصواب فتحها أو كسرها. [م: ١٨١٨].

وخطّأه في إيراد (أصهرهم) — بمعنى: تزوج منهم — نقلاً عن (المُغْرِب) والصواب: أَصْهَرَ بهم، وأَصْهَرَ إليهم، وصاهرهم، وصاهر إليهم، وصاهر فيهم [م: ١١٢٣].

وخطّأه في الإتيان بالمصدر (مَنْسِبَة) — بفتح السين — من الفعل (نسب) — بمعنى تغزل بحبيبته شعراً، والصواب كسر السين. [م: ١٩٠٠].

★ (محيط المحيط، لبطرس البستاني — وأقرب الموارد، لسعيد الشرتوني):

وقد يخطىء العدناني واحداً منهما منفرداً، وقد يجمعهما في التخطىء؛ لأن الثاني يتابع الأول كَظِلِّهِ — على حَدّ قول العدناني.

فقد خطأ (محيط المحيط) وحده في: ذكر (الشَّرَاهَة) مصدراً للفعل (شَرِهَ) — بمعنى: اشتد حرصه على الطعام واشتهاؤه له — والصواب هو: (الشَّرَهُ). [م: ١٠٠٥].

وخطّأه في ضبط (الضفدع) بضم الضاد، والصواب كسرها أو فتحها. [م: ١١٥١].

وخطّأه في زعمه أن (الغَوْغَاءَ) — بمعنى الجلبة واللغط — من كلام العامة؛ لأنها كلمة فصيحة. [م: ١٤٢٩].

وخطّأه في انفراده بقوله: هَرِعَ إليه يَهْرَعُ هَرَعاً — ببناء الفعل للفاعل؛ لأن الصواب: هُرِعَ يُهْرَعُ — بالبناء للمجهول [م: ١٩٩١].

وخطأ (أقرب الموارد) وحده في جمع (أُظْفُور) على (أظافر)، والصواب (أظافير). [م: ١٢٢٩].

وخطأهما معاً في إطلاق (إشباط) — على الشهر المعروف — وصوابه (شُبَاط) — بضم الشين من غير همزة — [م: ٩٧٩].

وخطأهما في إيراد (أصهر فيهم) — بمعنى: تزوج منهم — والصواب: أصهر بهم، وأصهر إليهم، وصاهرهم، وصاهر إليهم، وصاهر فيهم. [م: ١١٢٣].

وخطأهما في إيراد (أضائف) جمعاً للمفرد (ضيف)، والوارد هو (ضُيُوفٌ، وأَضْيَافٌ، وضِيفَان، وضِيَافٌ). [م: ١١٦٤].

وخطأهما في الإتيان باسم الفاعل من الفعل (عَمَّرَ) بكسر الميم (مُعَمِّرٌ) في نحو قولهم: فلان مُعَمِّرٌ، والصواب فتح الميم (مُعَمَّرٌ) اسم مفعول من المبني للمجهول (عُمِّرَ)، ويقال: عَمَّرَ الله فلاناً، فالله مُعَمِّرٌ له، وفلان مُعَمَّرٌ. [م: ١٣٤٤].

وخطأهما في إيراد (أَعْمَاء) جمعاً لـ (أَعْمَى) — وهو من فقد بصره — والصواب (عُمْيٌ وعُمْيَانٌ، وعُمَاةٌ، وعَمُونَ). [م: ١٣٥٠].

كما خطأ العدناني بعض المراجع غير المعجمية ، وذلك في :

★ (الألفاظ الكتابية) للهمذاني :

خطأه في إيراد الفعل (تَشَوَّقَ) متعدياً بنفسه : (تَشَوَّقْتُ فلاناً) ، والصواب : تشوقتُ إليه ، وقال : «وقد اضطررت إلى تخطئة الهمذاني وَكُلِّ من يَحْنُو حَذْوَهُ ، حين تعذر عليَّ العثورُ على مصدر آخر يجيز لنا أن نقول : تشوقت فلاناً» . [م : ١٠٥٦] .

★ (المغرب في ترتيب المُعْرِب) للمُطَرِّزِيّ :

خطأه في إيراد (أصهرهم) — بمعنى : تزوج منهم ، والصواب : أصهر إليهم ، وفيهم ، وصاهرهم ، وصاهر إليهم ، وفيهم . [م : ١١٢٣] .

(سابعاً) استعمال خطأه ، وهو يحتمل الصحة :

★ خَطَّأ قولهم : (بُوَيْت) — في تصغير بَيْت — والصواب عنده هو : (بُيَيْت) ، أو (بِيَيْت) — بضم الباء أو كسرها . [م : ٢٥١] .

وما خطأه شاذ عند البصريين ، وجائز قياساً عند الكوفيين ، واختاره ابن مالك ، والشاذ وارد عن العرب مستعمل لا يخطأ ، ووجهة الكوفيين في جواز قلب الياء هنا واواً هي الميل إلى التخفيف ؛ لأن الواو تناسب الضمة قبلها . وفي تصغير الثلاثي مما ثانيه ياء باقية أو منقلبة ألفاً جاء في همع الهوامع للسيوطي [١٣٤/٦] : «وجوز الكوفيون الإقرار والقلب واواً ؛ كراهة اجتماع الياءات ، واختاره ابن مالك ، فيقال : بُوَيْت وشُوَيْخ ومُوَيْت وسُوَيْد ونُوَيْب» ا هـ يعني : في تصغير : بيت وشيخ وميت وسيد وناب . [وانظر : ارتشاف الضرب ١٧٤/١] .

★ وخطأ قولهم : جاء الجنود اثنين اثنين ، أو ثلاثة ثلاثة ، والصواب عنده : جاء الجنود مَثْنى أو ثُناء ، أو مَثْلَثَ أو ثُلاثَ ، وقال : «وأما قول الشاعر :

إذا شَرِبْنا أَرْبَعاً أَرْبَعاً فَقَدْ لَبِسْنا الْفَرْوَ مِنْ دَاخِلِ

فقد يكون ضرورة شعرية للمحافظة على الوزن ، وربما كان الشاعر ممن لا يحتج بكلامهم» ا هـ . [م : ٣٢٥] .

ولا وجه لتخطئة ما خطأ هنا ، وَزَعْمُهُ أن البيت السابق ضرورة شعرية إنما يستقيم لو كان هو الواردَ فقط ، أما وقد ورد غيره كثيراً في الشعر والنثر ، فذلك يُسْقِطُ دعوى الضرورة فيه . ومِنْ رَأْيِ الشِّهاب الخفاجي أن تكرير العدد — على النحو السابق — مقيسٌ كثير في كلام العرب ، قال : «ولو لم يكن أصلاً شائعاً لما كان أُحادُ مَعْدولاً عنه (يعني عن : واحداً واحداً) وكان العدل فيه تقديرياً ، ولا قائل به ، وفي شرح الكافية للحديثي : أسماء العدد المستعملة للتكرير المعنوي بلفظها مُطَّردة ، وإنما عدل عنه ؛ ليكون نصّاً فيما قُصِدَ به ، فإن : ثلاثةً — مثلاً — يحتمل التأكيد ، بخلاف صيغ أُحادَ وَمَوْحَد» . ا هـ [انظر : شرح الخفاجي على درة الغواص ص ١٩١] .

وقد جمعتُ أنا أمثلةً كثيرةً من كتب التراث ، جاءت على هذا النحو من الاستعمال ، ومنها :

— جاء في الأغاني ، للأصفهاني [١٨٦٣/٥] : «فقال : أَيَضْرِبْنَ كُلُّهُنَّ أَمْ واحدة ؟ فقال : بل تضرب اثنتان اثنتان ، وتغني واحدةٌ فواحدةٌ» .

— وجاء في الأغاني أيضاً [٣٦٤١/١٠] : «بل تضرب — الجواري — اثنتان اثنتان ، وتُغَنِّي واحدةٌ واحدةٌ» .

— وجاء في عيون الأخبار ، لابن قتيبة [٦٠/٧] : «من شعر العُتْبِيّ» :

فَمَرُّوا على حادثات الزَّما نِ كَمَرِّ الدَّرَاهِم بالناقدينا
فأفنتهم واحداً واحداً إلى أن أبادتهمُ أجمعينا

— وجاء في صحيح البخاري [باب فضائل القرآن] من حديث عبد الله : «قد علمتُ النظائرَ التي كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة ...» .

— وجاء في لسان العرب [بدد] : «وتَبَادَّ القومُ : مَرُّوا اثنين اثنين ، يَبُدُّ كل منهما صاحبه» .

— وجاء في لسان العرب أيضاً [وخز] : «وإذا دُعِيَ القومُ إلى طعام ، فجاءوا أربعةً أربعةً ، قالوا : جاءوا وَخْزاً وَخْزاً» .

وعندي أمثلة أخرى ، وهي تثبت صحة الاستعمال ، إن لم يكن على سبيل الاستشهاد ، فعلى سبيل الائْتِناس .

★ وخطأ قولنا : جمهورية مصر العربية ، والصواب عنده هو : الجمهورية العربية المصرية ، وجعل عمدته في ذلك ما جاء في المصباح المنير من قوله : «فإن كان في النسبة لفظ عام وخاصّ ، فالوجه تقديم العام على الخاص ، فيقال : القرشيّ الهاشميّ ، لأنه لو قُدِّمَ الخاص لأفاد معنى العام ، فلا يبقى له في الكلام فائدة إلا التوكيد ، وفي تقديمه يكون للتأسيس ، وهو أولى من التأكيد» ا هـ [م : ٣٧٩] .

ولي هنا تعقيبان :

أحدهما : ما جاء في نَصِّ المصباح السابق من قوله : «فالوجه تقديم العام على الخاص» فهو وجهٌ وأفضلُ من تأخيره ، فالتأخير صحيح ، وإن كان غير الأفضل ، فلا يخطأ من عكس فقدم الخاصَّ على العام .

والثاني : أن هذا يستقيم إذا تحققت النسبة الصرفية في كلٍّ من العام والخاص — كالقرشيّ الهاشميّ — وما هنا ليس كذلك ؛ إذ فيه نسبةٌ واحدةٌ هي (العربية) فهي صفة (مصر) مجرورة بالكسرة (ضبطها العدناني بالضمة صفةً لـ جمهورية) ، وأما مصر فمضافة إلى (جمهورية) ، وقد غالى الأستاذ الفاضل فَعَدَّ (العربية) صفة لـ

(جمهورية) وفي ذلك تقدير بعيد ؛ فإن القصد الظاهر هو وصف مصر بأنها عربية ، لا وصف الجمهورية بأنها عربية ، اللهم إلا على ضرب من المبالغة غير مُرَاعىً وغير مأمون .

★ وخطَّأ قولهم : أضاعت السيّدة مجوهراتها في السوق ، والصواب عنده : أضاعت جواهرها ، وقال : «لأنني لم أجد في المعجمات التي لَدَيَّ مَنْ ذكر كلمة (المجوهرات) ..» اهـ . [م : ٤٠٥] .

وهو على حَقٍّ في أن المجوهرات لم ترد نصّاً عن العرب ، ولكن لا يُسَلَّمُ له تخطئتها ؛ ذلك لاختلاف الرأي في الاشتقاق من الأسماء المعرَّبَة بين مانع ومجيز بشرط ومجيز بغير شرط ، وممن أجاز ذلك بلا شرط مصطفى الغلاييني في كتابه (نظرات في اللغة والأدب ص ١٩٨) ، وممن أجازه بشرط مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة (انظر : كتاب في أصول اللغة ص ٦٢) .

ويبدو لي أن العدنانيَّ نَفْسَهُ يجيز الاشتقاق من المُعَرَّب ؛ فقد جاء في معجمه هذا قوله : «ولما كانت المعجمات التي ذكرت «البَرْنَامَج» لها وزنها الكبير ، ولما كانت هذه الكلمة معروفة في العالم العربي كلّه ، أقترح على مجامعنا الموافقة على قولنا : بَرْمَجَ فلانٌ البَرْنَامَج يُبَرْمِجُه بَرْمَجَةً ، فهو مُبَرْمَجٌ ، وواضعه مُبَرْمِجٌ» [م : ١٩٥٥] .

فأنت تراه قد صاغ الأفعال ومصدرها ومشتقاتها من (البرنامج) ، وهي كلمة فارسية أصلها بَرْنَامَه ـــ كما قال ـــ ولم تَرِدْ هذه الصياغة في معجمات اللغة الموثوق بها .

ومثل هذا ما ذكره من الدعوة إلى : إجازة صوغ الفعل (زَنْجَرَ) من الجامد المُعَرَّب (الزِّنْجَار) ـــ وهو صدأ النحاس ـــ [م : ٨٣٧] وإلى : إجازة صوغ الفعل (قَرْصَنَ ، يُقَرْصِنُ ، وتَقَرْصَنَ ، يَتَقَرْصَنُ) والمشتق (مُقَرْصِنٌ ومُقَرْصَنٌ) من الجامد المُعَرَّب (القُرْصان) ـــ وهو من يسرق السفن في البحار ـــ وهي كلمة إيطالية الأصل . [م : ١٥٤٨] .

★ وخطَّأ قولهم : حَاشَ اللصَّ ، ونحوه ـــ بمعنى : منعه وأمسكه ، والصواب عنده أن يقال : أمسكه ، أو قبض عليه ، أو حال بينه وبين السرقة ، وقال : «إن المعجم الوسيط ذكر أنها محدثة» اهـ [م : ٥٢٢] .

ولا يتجه لي ذلك من كلامه في هذه المادة ، فقد ذكر العدناني للفعل (حاش) بعض الاستعمال الوارد في المعجمات ، وفيه المعنى نَفْسُهُ الذي خطَّأ به القول السابق ، فقد قال : «وهناك الفعلان : حاش الإبلَ ، أو الدوابَّ ـــ بمعنى : جمعها وساقها ، وحاش الصيدَ بمعنى : جاءه من حَوَالَيْه ليصرفه إلى الحِبَالَة» ونقل ذلك عن أمّهات المعجمات القديمة والحديثة ، فأيُّ فرق ـــ إذَنْ ـــ بين هذا الاستعمال وبين الاستعمال السابق المخطَّأ في المعنى أو في اللفظ أو في التعدية ؟ ألا ترى أن جمع الإبل وسياقتها يتضمن الإمساك بها ومنعها من التفرق والهرب ، وأن المجيء من حَوَالَيْ الصيد يتضمن حصره للإمساك به ؟

★ وخطَّأ قولهم : أرسل إليه برسالة ، والصواب عنده : أرسل إليه رسالةً ـــ على حسب ما جاء في المعجمات في رأيه ـــ [م : ٧٥١] .

ولا وجه لهذه التخطئة ، بل إن الإمام الحريري في (درة الغواص) خطَّأ ما صححه العدناني هنا وصوّب ما خطّأه ، وجعل من حجته أن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه : أرسلته ، كما قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [المؤمنون : ٤٤] وتقول فيما يُحْمَلُ ولا يتصرف بنفسه : أرسلت به ، كما قال الله تعالى تعالى : ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل : ٣٥] (انظر : درة الغواص في أوهام الخواص ص ٤١) .

والتحقيق أن الاستعمالين جائزان ، وإن كان كلام الحريري محمولاً على الأغلب ، قال الشهاب الخفاجي في رده على الحريري : «ما زعمه ممنوعاً صَرَّحَ ابْنُ جني بجوازه في شرح ديوان المتنبي .. وقال ابن بَرِّي : إن (أرسلت) يقتضي مُرْسِلاً ومُرْسَلاً به متصرفاً كان أو غير متصرف ، فلا إنكار لما أنكره المصنف» ـــ يقصد الحريري [شرح الخفاجي على درة الغواص ص ٤٢] .

ومن هنا تتبين ما في كلام العدناني من عكس لرأي الحريري ، وربما دفعه إلى هذا ما وجده من أن الفعل (أرسل) يتعدى بنفسه دائماً ، وهو كذلك ، لكنه غفل عن احتمال أن يكون المفعول به محذوفاً في المثال المخطَّأ ؛ للعلم به (وحذف ما يُعْلَمُ جائزٌ) ، وهذا هو الأقرب ؛ إذ الأصل أن تقول : أرسلت فلاناً برسالة .

★ وخطَّأ قولهم : (شِتَائِيٌّ) في النسب إلى (الشِّتاء) ـــ وهو من فصول السنة معروف ـــ والصواب عنده : (شَتَوِيّ ، أو شِتْوِيّ) ، [م : ٩٨٥] .

وما ذكر أنه الصواب هو الوارد المسموع حقّاً ، ولكنه ليس نصّاً في أنه نسبة إلى (الشتاء) ، فقد يجوز أنه نسبة إلى (الشَّتْوَة) ـــ وهي واردة بمعنى الشتاء ـــ ، أو هي المفرد منه ، أو مصدر للمرة من : شتا بالمكان ، وكأنهم اسْتَغْنَوْا بهذه النسبة عن النسب إلى (الشتاء) على لفظه ـــ على ما هو القياس ، كما يرى ابْنُ سِيدَهْ .

ومع هذا ، لا مانع من النسب إلى (الشتاء) على قياس ما يماثله ، وقد جاء في المصباح المنير (شتا) : «واخْتُلِفَ في النسبة ، فمن جعله جمعاً قال في النسبة : شِتْوِيّ ـــ رداً إلى الواحد ـــ وربما فتحت التاء ، فقيل : شَتَوِيّ ـــ على غير قياس ـــ ومن

جعله مفرداً نسب إليه على لفظه ، فقال : شتائي أو شتاويّ» .

★ وخطأ (الأشرِطة) جمعاً للمفرد (شريط) ــ وهو الحبل المفتول ، أو ما يماثله في الاستعمال الحديث ــ والصواب عنده في الجمع : (الشُّرُط ، أو الشرائط) . [م : ١٠٠٠] .

وإنما يستقيم هذا على مذهب من يرى أن جموع التكسير سبيلها السماع عن العرب ، أما من يقول بقياس كثير منها فَغَيْرُ مستقيم ، والمشهور أن بعض جموع التكسير مُطَّرِدٌ فيما جاء على صور معينة من المفرد ، فإذا ما تحققت هذه الصور جاز جمعه تكسيراً على صيغة خاصة ، دون تردد ، ولا رجوع إلى كتب اللغة أو غيرها ، لمعرفة وروده عن العرب أو عدم وروده ، ومثل هذا الجمع يكون صحيحاً فصيحاً ، ولو كان غير مسموع ، ولا يصح رفضه ، ولا الحكم عليه بالضعف اللغوي ، أو بشيء يعيبه من ناحية صياغته أو وزنه أو فصاحته ــ على ما يقول عباس حسن [انظر : النحو الوافي ٦٣٣/٤] .

ومن هذه الأوزان المقيسة وزن (أَفْعِلَة) فهو مقيس في الاسم المذكر الرباعي الذي قبل آخره حرف مد ، مثل : رغيف وأرغفة ، قال ابن مالك :

في اسْمٍ مذكر رُبَاعِيٍّ بِمَدّ ثالثٍ أَفْعِلَةٌ عَنْهُمُ اطَّرَدْ

[انظر : شرح ابن عقيل على الألفية ٤٥٦/١] .

و(الشريط) من هذا الباب ، فلا مانع من جمعه على (الأشرِطَة) .

★ وخطّأ قولهم : الفدائيون يُشَكِّلُون خطراً على إسرائيل ، وقولهم : تَشَكَّلت لجنة التربية من فلان وفلان ؛ لأن الفعل (شَكَّلَ) وما يتصرف منه لا يأتي بمعنى (كَوَّن) . [م : ١٠٢٨ ، م : ١٠٢٩] .

وما خطأه هنا استساغه مصطفى الغلاييني على ضربٍ من التأويل لطيف ؛ فإن من معاني (شَكَّلَ الشيء) : صَوَّرَهُ ، و(تَشَكَّلَ الشيء) : تَصَوَّرَ ــ كما في اللسان والقاموس ــ فإذا قالوا : شَكَّلَ فلانٌ الحكومةَ ، وتَشَكَّلَت الحكومةُ ، فهو راجع إلى معنى تصويرها وتصوّرها ، أي جعلها على شكل خاص ، وأَخْذِها طريقةً خاصة ، فمن صَوَّرَ الشيء فقد نظمه ورتبه وعُني به عناية المنظم في تنظيم الأمور .

بل ذهب الغلاييني إلى تفضيل (التشكيل) على (التكوين) و (التنظيم) ، وقال : «ينبغي أن يقال : تشكيل الحكومة ــ إذا أرادوا معنى انتخاب رجال يقومون بأعمالها (والتنظيم لا يفي بهذا المعنى) وأن يقولوا (تنظيمها) ــ إن أرادوا معنى إصلاحها وتهذيبها وترتيب أعمالها ــ و(التشكيل) يفي بهذا المعنى أيضاً . على أنه ينبغي التفريق في الاستعمال رغبة في الإيضاح والتسهيل على الناس» . [انظر : نظرات في اللغة والأدب ص ٦٩] .

★ وخطّأ قولهم : أَصَرَّ الأبُ على حضور ابنه الحفلة ، والصواب عنده : أَصَرَّ الأبُ على ابنه أَنْ يَحْضُرَ الحفلة ، وقال : «لأن الحضور ليس شخصاً لكي نُصِرَّ عليه أن يفعل أمراً ما ، والإنسان العاقل وحده هو الذي نستطيع أن نُصِرَّ عليه أن يقوم بعمل كذا ، أو يكفَّ عن عمل كذا» اهـ [م : ١٠٩٥] .

وعندي أن التعبيرين كليهما جائزان ، وإن كان بينهما فرق من جهة المعنى المراد ، فقولنا : أَصَرَّ الأبُ على حضور ابنه، إنما يقال عندما تكون للابن رغبة في الحضور ، ويمنع من ذلك أهل الحفل . أما قولنا : أَصَرَّ الأبُ على ابنه أن يحضر الحفل ، فإنما يقال عندما لا تكون للابن رغبة في الحضور ولكن للأب رغبة في استصحابه ، من غير إشارة إلى رأي أصحاب الحفل أنفسهم : هل يرغبون في حضور الابن أولا ؟

ودعوى الأستاذ العدناني أن الذي يُصَرُّ عليه هو الإنسانُ العاقلُ وحده دعوى بغير دليل ؛ فإن الفعل (أَصَرَّ) يُعَدَّى بحرف الجر (على) إلى من يراد التشديد عليه في الأمر ، وإلى الأمر المشدد عليه فيه ، تقول : أَصْرَرْتُ على فلان أن يفعل كذا ــ أي عزمتُ عليه بشدة ــ وتقول : أصررت على أن أفعل كذا ــ أي عزمتُ عزماً شديداً ــ والاستعمال الثاني أكثر ــ وهو الذي خطّأه الأستاذ ــ ولم يَرِدْ الفعل في القرآن الكريم إلا عليه ، قال تعالى : ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران : ١٣٥] وقال تعالى : ﴿وكانوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٤٦] فقد عُدِّيَ الإصرار في الآيتين إلى كُلٍّ من الفعل (المصدر المؤول من : ما وفعلوا) والحِنْث بحرف الجر (على) .

وجاء في لسان العرب (صرر) : «وأصرَّ على الأمر : عزم» ، وفيه أيضاً : «أَصَرَّ على فعله يُصِرُّ إصراراً : إذا عزم على أن يمضي فيه ولا يرجع» ، وفيه : «وفي الحديث : وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ، الذين يُصِرُّونَ على ما فعلوه وهم يعلمون» .

★ وخطّأ العدناني أن يكون جمع (الضريح) ــ بمعنى القبر ــ هو (الأَضْرِحَة ، والأَضْرُح) ، والصواب عنده : (الضرائح) ، قال : «وهو جمع شاذ ؛ لأن الضريح مذكر ، و(فعائل) مقيسٌ في كل رباعي مؤنث ثالثه مدة» اهـ . [م : ١١٤٣] .

وما ذكره هو الوارد المسموع ، وإن كان القياس لا يمنع من (الأضرحة) ، لأن المفرد ــ ضريح ــ اسم مذكر رباعي ثالثه مدّ ، فيقاس جمعه تكسيراً على (أَفْعِلَة) وقد سبق توضيح ذلك في : (الأشرطة) جمع (شريط) .

أما الجمع الثاني الذي خطأه وهو (الأَضْرُح) فلا وجه لصحته من السماع ــ لعدم وروده ــ ولا من القياس ؛ لأن الجمع (أَفْعُل)

يقاس من الثلاثي : إذا كان اسماً صحيح العين وليست فاؤه واواً ، ولا لامه مماثلة لعينه ، ويقاس من الرباعي : إذا كان مؤنثاً بلا علامة وقبل آخره مَدَّة و(الضريح) ليس واحداً من هذين .

★ وخطَّأ قولهم : أكثر الغُرَف مغلقةٌ ، والصواب عنده : أكثر الغرف مغلق ، وقال : «لأن كلمة (مغلق) هي خبر للمبتدأ (أكثر) ، و(الغرف) مضاف إليه ، لامبتدأ» اهـ . [م : ١٤١٥] .

وهو يعني بهذا أن الخبر يطابق مبتدأه في التذكير والتأنيث ، ولما كان المبتدأ (أكثر) مذكراً ، وجب أن يكون الخبر مذكراً كذلك ..

وهذه هي القاعدة في التطابق بين المبتدأ أو الخبر ، ولكن غاب عنه أن من مسائل باب الإضافة مسألة اكتساء المضاف من المضاف إليه التذكيرَ أو التأنيث — أو غير ذلك مما هو مذكور في موطنه — فقد يكتسي المضاف من المضاف إليه التأنيث فتجري عليه الصفات والأخبار وغيرها على هذا الاكتساء ، وذلك بشرطين :

احدهما : أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه ، أو مثل جزئه ، أو كُلاً له .

والثاني : أن يكون المضاف صالحاً للحذف وإقامة المضاف إليه مُقامَهُ من غير أن يتغير المعنى ، ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ولكن حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

فالمبتدأ (حُبّ) مذكر ، وخبره الجملة الفعلية (شَغَفْنَ) والرابط فيها ضمير جماعة الإناث (نون النسوة) ، وصح ذلك ؛ لاستيفاء الشرطين ، فإنه يصح أن يقال : وما الديار شغفن قلبي . قال ابن مالك :

وَرُبَّمَا أَكْسَبَ ثَانٍ أَوَّلَا تأنيثاً إنْ كانَ لِحَذْفٍ مُوهَلَا

ويقول عباس حسن : «وكلمة (رُبّما) قد تفيد التكثير ، فالقياس عليه صحيح ، وقد يكون معناها التقليل ، وأن استفادة التأنيث السالفة قليلة ، وهذا صحيح ، ولكنها قِلّةٌ لا تمنع القياس عليها ؛ إذ هي قلة نسبية لا ذاتية» اهـ [النحو الوافي ٣/٦٥] .

والشرطان السابقان تجدهما في المثال الذي خطّأه العدناني ؛ ألا ترى أن أكثر الشيء بعضٌ منه ؟ وأنه يصح في المثال حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَهُ ، فنقول : الغرفُ مغلقةٌ ؟ وعلى ذلك فالمثال المخطَّأ صحيح .

★ وخطَّأ قولهم : قَسَّت الغربةُ قَلْبَهُ ، والصواب عنده : أقْسَت الغربةُ قلبه — أي جعلته قاسياً ، وقال : «لم أعثر على الفعل (قَسّى) بهذا المعنى في أيّ معجم آخر ، مما يجعلني أرجح أن (محيط المحيط) قد أخطأ في جعل (قسّاه) بمعنى (أقساه)» اهـ . [م : ١٥٦٤] .

وواضح أن التخطئة هنا تتعلق بتعدية الفعل اللازم ، فالمعاجم تذكر التعدية بالهمزة فقط ، ومن هنا خُطِّىءَ التضعيف ، ولكن مجمع اللغة العربية بالقاهرة جعل تعدية الفعل الثلاثي اللازم قياسية بالتضعيف ؛ لإفادة التكثير والمبالغة : [انظر : كتاب في أصول اللغة ص ٢٢٤] .

★ وخطَّأ قولهم : (النَّعَس) — بفتح العين — بمعنى النوم ، والصواب عنده (النُّعاس) . [م : ١٩٢٥] .

وما خطَّأه صحيح — على مذهب الكوفيين — فقد ورد للفعل (نعس) مصدران : أحدهما (النُّعاس) والثاني (النَّعْس) — بسكون العين — وجاء في [شرح الخفاجي على درة الغواص — ص ١٤٨] : « قال ابن جني في المحتسب : قرأ سَهْلُ بْنُ شُعَيْب السَّهْمِي : جَهَرَةً وَزَهَرَةً — في كل موضع ، محركاً — ومذهب أصحابنا في كل حرف ساكن بعد فتح لا يحرك إلا على أنه لغة فيه — كالنَّهْر والنَّهَر ، والشَّعْر والشَّعَر ، والحَلْب والحَلَب — ومذهب الكوفيين أنه يجوز تحريك الثاني ؛ لكونه حرفاً حلقياً قياساً مُطَّرِداً ، كالبحر والبَحَر ، وما أرى الحقَّ إلا معهم ، وكذا سمعتُهُ من عامّة عقيل» اهـ .

★ وخطَّأهم حين يجيبون بحرف الجواب (نَعَمْ) عن سؤالنا : ألم ننتصر في حرب تشرين ١٩٧٣ م ؟ لأن إجابتنا بـ (نَعَمْ) تعني أننا لم ننتصر ، والصواب هو أن نجيب بحرف الجواب (بَلَىٰ) . وهي حرف جواب يُجَابُ به النفي خاصة ، ويفيد إبطاله ، سواء أكان هذا النفي مع استفهام أم لا ، أما (نَعَمْ) فهي تصديق للمخبر في جواب الخبر ، ووَعْدٌ للطالب في جواب الأمر أو النهي ، وإعلامٌ للسائل في جواب الاستفهام . [م : ١٩٢٨] .

وما ذكره هنا هو الأصل والقاعدة ، ولكن قد يجري الكلام على مألوف العرف ، الذي لا يفرق بينهما في الجواب — على ما قال الكرماني — [انظر : شرح الخفاجي على درة الغواص ص ١٤٤] ، وقد حَلَّتْ (بَلَى) محل (نَعَمْ) والعكس في بعض الحديث ، ووردت به بعض أشعار ، وهو ما دفع بعضهم إلى استساغته عند أمن اللبس ، وقد شرحتُ هذه المسألة بإفاضة في كتاب [اللحن في اللغة : مظاهره ومقاييسه ١/١١١ وما بعدها] .

(ثامناً) استعمال أجازه ، وهو يحتمل التخطىء :

★ عَدَّ من الصواب أن يقال : كانت الجياد كُلّها من نَسْلٍ عربيّ أصيل — أو — كان الجياد كُلُّهُم من نسل عربي أصيل ، وقاس ذلك على الآيتين الكريمتين : قوله تعالى : **﴿يا أيُّها النمل ادْخُلوا مَسَاكِنَكُمْ﴾** [النمل : ١٨] وقوله تعالى : **﴿ والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من مَّاءٍ ، فَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى**

رِجْلَيْن ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ [النور : ٤٥] .

ولي على هذا تعقيبان :

أحدهما : أن قولهم : كان الجياد كلهم .. لا يصح ؛ لأن الضمير في (كلهم) لجماعة الذكور العقلاء ، وهو في المثال يعود على (الجياد) وهي جمع لغير العقلاء ، وإنما يصح لو قيل : (كُلُّهُنَّ) — على وجه — .

ومن المقرر في كتب النحو أن جمع التكسير يصح فيما يجري عليه أن يعامل معاملة المفردة المؤنثة ، وأن يعامل معاملة جماعة الإناث ، جاء في حاشية الشيخ ياسين [باب النعت ١٠٩/٢] قوله : «بَقِيَ أشياءُ مستثناةٌ من المطابقة أي من مطابقة النعت وجوباً للمنعوت في الجمع — ومن ذلك : صفة مذكر ما لا يعقل ، قال ابن الحاجب في أمالي القرآن : أنت فيها بالخيار ، إن شئت عاملتها معاملة الجمع المؤنث ، وإن شئت عاملتها معاملة المفرد المؤنث ، فتقول : هذه الكتب الأفاضل ، والفُضْلَيَات ، والفُضَل ، والفُضْلَى — فالأفاضل ؛ على لفظه في التذكير ، والفُضْلَيات والفُضَل ؛ إجراءً له مُجْرَى جمع المؤنث ، — لكونه لا يعقل ، والفُضْلَى ؛ إجراءً له مُجْرَى الجماعة ، وهذا جارٍ في الصفات والأخبار والأحوال ..» ا هـ .

والثاني : فساد القياس على الآيتين السابقتين ، لأن (النمل) في قوله تعالى : ﴿يا أيها النَّمْلُ ادْخُلوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ ليست جمع تكسير ، وإنما هي اسم جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، على أن (النمل) هنا عومل معاملة من يعقل لَمَّا صَدَرَ منها ما يصدر عن العقلاء من الكلام والتوجيه ، وهذا كشأن السموات والأرض ، حين استجابتا لأمر الله استجابة من يعقل ، جرى عليهما الكلام جريانه على العقلاء في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ : ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، قَالَتا : أتينا طائعين ﴾ [فصّلت : ١١] .

وكذلك الآية الثانية : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن ماء..﴾ اختلط فيها العقلاء وغيرهم ، فجرى الكلام على تغليب العقلاء ، وليس في مثالَي العدناني سابقاً مثلُ هذا الاختلاط .

★ وَعَدَّ من الصواب أن تجمع (حَلْواء) — وهي كل ما عُولِج بِحُلْوٍ من الطعام — على (حَلْوَايَات) . [م : ٤٩٢] .

وهذا غير معروف في القياس ، ولم يَرِدْ به سماع ؛ لأن قياس الجمع في الاسم الممدود أن تقلب همزته واواً وجوباً — إذا كانت للتأنيث — كما هنا ، فيقال : حَلْوَاوَات — على غِرار : صحراء وصحراوات — وهمزة الممدود في أنواعها الأخرى تدور بين الإبقاء والقلب واواً ، وليس فيها ما يقلب ياء في الجمع ولا في التثنية ، إلّا في شواذّ قليلة ليست (الحلواء) من بينها [انظر : النحو الوافي ١٦٧/٤ وما بعدها] .

★ وَعَدَّ من الصواب قولهم : رَوَّحَ فلانٌ إلى منزله — بمعنى : ذهب إليه ، ثم نقل بعض ما جاء في معجمات اللغة من هذه المادة ، وقال : «فهذه المعجمات التسعة تُرينا أن في وُسْعِنا استعمالَ (رَوَّحَ) بمعنى ذهب ، تاركةً المجال للمُتَنَطِّعِينَ من النقاد ؛ لكي يضعوا علامة استفهام حول هذا الاستعمال ، ولكننا نستطيع أن نجعل هذه الجملة قويةً بإشراب الفعل (رَوَّحَ) معنى الفعل (ذهب) ، دون أن يستطيع أَحَدٌ محاسبتنا على ذلك» اهـ . [م : ٧٩٦] .

ولي هنا تعليقات ثلاثة :

الأول : أن الأفعال التي جمعها من معجماته التسعة هي : «راحَ القومُ ، وتَرَوَّحُوا ، وَرَوَّحْتُ القومَ ، وتَرَوَّحْتُهُم ، وَرُحْتُهُمْ ، وَرُحْتُ إليهم ، وَرُحْتُ عندهم — وقال محيط المحيط : بعضهم يستعمل : رَوَّحَ إلى بيته — بمعنى : ذهب» اهـ .

ويبدو في هذه الأفعال أنها : إما ثلاثيٌّ لازمٌ متعدٍ ، وإما ثلاثيٌّ مزيدٌ بالتاء والتضعيف : لازمٌ أو متعدٍّ ، وإما ثلاثيٌّ مزيدٌ بالتضعيف — وهو متعدٍّ فقط — (رَوَّحْتُ القومَ) . ولم يرد لازماً إلا فيما انفرد به محيط المحيط — وهو عنده غير ثقة — وفي عبارته : «بعضهم يستعمل» ما يوحي بالضعف والشك ، وربما كانت عامية .

والثاني : أن بِوُسْعِ النقاد اللغويين أن يحاسبوا على ادّعاء «التضمين» بتحميل الفعل (رَوَّحَ) معنى : ذهب ؛ وذلك لأمرين :

أحدهما : أن التضمين بَابُهُ السماع — على الأرجح المختار — ولم يسمع مثل هذا .

والآخر : أن أصل التضمين وحقيقتَهُ إنما يكون في فعلين لكل منهما معنى يخالف معنى الآخر ، فَيَحْمِلُ أحدهما معنى الثاني ، فيصير ذا معنيين : أصليٌّ وفرعيٌّ ، ثم يأخذ حكمه في التعدية واللزوم — وما هنا ليس من ذا ، فإن الفعلين (رَوَّحَ وذَهَبَ) لهما معنى واحد — كما هو الظاهر . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ [الكهف : ٢٨] كيف ضمن الفعل (تَعْدُ) معنى الفعل (تقتحم) ، فصار المعنى : ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ، ثم إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء : ٢] كيف ضمن الفعل (تأكلوا) معنى الفعل (تَضُمُّوا) ، فصار المعنى : ولا تضموها إليها آكلين ، وانظر أمثلة أخرى للتضمين في : (مغني اللبيب ص ٨٩٧ وما بعدها) .

وأنت إذا فَحَصْتَ الفعلين : (رَوَّح وذهب) لم تجدهما من هذا الباب ؛ لأن لهما معنى واحداً ، كما هو الظاهر .

أما التعليق الثالث : فهو أن قولهم : رَوَّح فلان إلى منزله ــ قد يصح عند إرادة التكثير في مرّات الرواح ، لا في معنى الفعل ، ولا في الفاعل ؛ إذ لا يتأتى التكثير فيهما ، ويبقى أنه ــ مع هذا ــ ضعيف الوِجْهَةِ ؛ لعدم الفائدة الصرفية من التضعيف ؛ إذ المألوف أن التضعيف يعدّي الفعل .

★ وَعَدَّ من الصواب أن يقال : زرت مدينة القدس مَرَّةً وَمَرَّةً ، إلى جانب صحة قولهم : زرت مدينة القدس مَرَّتَيْن ، وأَيَّدَ «عباس حسن» فيما ذكره من أن التعبير عن الكثرة بقولنا : مَرَّةً وَمَرَّةً ، صحيح فصيح ، مع التكرار ، بعطف أو بغيره ــ كما نصَّ على هذا النحاةُ في باب الحال من مُطَوَّلاتهم ، عند الكلام على الحال الدالة على الترتيب أو الاستيعاب [٢ : ١٧٩١] .

ولي على هذا تعقيبان :

أحدهما : أنه لو كان القصد بقولنا : (مَرَّةً وَمَرَّةً) معنى التثنية ، فإنه لايصح ، بل لابد من الإتيان بعلامة المثنى ، فيقال : (مَرَّتَيْن)، اللهم إلا على ضرب من الشذوذ ، لا يقاس عليه .

والآخر : أن ما نقله عن «عباس حسن» مختصٌ عند النحاة بالحال الدالة على ترتيب ــ كما نقل هو ــ نحو قولنا : ادخلوا الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ؛ لأنها في تأويل الحال المشتقة ، أي : مُرَتَّبِينَ ، أما قولنا : زرت مدينة القدس مرة ومرة ، فليس فيها معنى الحال ، ولا معنى الترتيب ، بل لا يبدو فيها معنى التكثير ؛ لأنها في المثال المذكور ظرف زمان ، أو نائب عن المفعول المطلق ، والأول رأي سيبويه والفارسيّ ، وهو الأرجح .

★ وعندما خطّأ قولهم : هاب من فلان ، وجعل صوابه : هاب فلاناً ، استطرد إلى ذكر المشتقات من هذا الفعل ، وجاء فيها : أن اسم المفعول من (هاب) هو : مَهُوب وَمَهِيبٌ وَمَهَابٌ (بفتح الميم) . [م : ٢٠٢٦] .

وضبط الأخير (مَهَابٌ) بالفتح ، خطأٌ قياساً وسماعاً : أما القياس ؛ فلأن ضم الميم من اسمِ المفعول إنما يكون من غير الثلاثي ، نحو : مُكْرَمٌ ومُسْتَخْرَج ، وأما الثلاثي فميمه مفتوحة دائماً ، نحو : مَنصُور ومَقُول ومَبِيع .

وأما السماع ؛ فلأن الوارد هو : مَهِيب ومَهُوب ، وأما (مَهَابٌ) ــ بفتح الميم ــ فهي اسم مكان من (هاب)، ولعل العدناني أخذ بظاهر ما جاء في لسان العرب (هيب) من قوله : «ومكان مَهَاب ، أي مَهُوبَ» فَحَسِبَها اسم مفعول ، لكن صاحب اللسان وضح ذلك عندما شرح قول أمية بن أبي عائذ الهذلي :

أَلَا يا لَقَوْمٍ لِطَيْفِ الخيال أَرَّقَ مِنْ نَازِحٍ ذي دَلَالْ
أَجَازَ إِلَيْنَا عَلَى بُعْدِهِ مَهَاوِيَ خَرْقٍ مُهَاب مَهَال

ففي تفسير ألفاظ البيت الثاني قال ابن بَرِّي ــ كما نقله اللسان ــ : «ومَهَاب : موضع هيبة ، ومَهَال : موضع هَوْل» اهـ . ومنه يعلم أنه أراد الدلالة على المكان ، لا على اسم المفعول .

★ وقد أجاز أن يقال : سافروا وُحَادَ وُحَادَ ، أو : سافروا مَوْحَدَ مَوْحَدَ ، أو : سافروا وَاحِداً وَاحِداً . [م : ٢٠٤٤] .

والتعبير الثالث صحيح ــ وإن خطّأه بعضهم ، ورأى العدول عنه إلى : أُحَادَ ومَوْحَدَ) .

وأما التعبيران : الأول والثاني (وُحَادَ وُحَادَ ، مَوْحَدَ مَوْحَدَ) فلا وجه لتكرير العدد المعدول في كل منهما ، والصحيح أن يقال : سافروا أُحَادَ ــ أو وُحَادَ (بقلب الهمزة واواً جوازاً) أو يقال : سافروا مَوْحَدَ (بلا تكرير) قال الله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّماواتِ وَالأرضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [فاطر : ١] .

جاء في التصريح على التوضيح للشيخ خالد ــ في الممنوع من الصرف للوصفية والعدل [٢/٢١٤] : «وهي ــ يقصد : أُحَادَ وثُنَاءَ ونحوهما ــ معدولةٌ عن ألفاظ العدد الأصول مكررة ، فأصل : جاء القوم أُحَادَ : جاءوا وَاحِداً وَاحِداً ، وكذا الباقي . ولا تستعمل هذه الألفاظ إلا نعوتاً نحو : ﴿**أُولي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ أو أحوالاً ، نحو : ﴿ **فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النساءِ مَثْنَى وثلاثَ ورُبَاعَ**﴾ . أو أخباراً نحو : «صَلَاةُ اللَّيل مَثْنَى مَثْنَى» ، وإنما كُرِّر ــ يقصد في المثال الأخير ــ بقصد التوكيد ، لا لإفادة التكرير التأسيسَ» اهـ .

وجاء في شرح الخفاجي على درة الغواص [ص ١٩١] : «وفي شرح الكافية للحديثي : أسماء العدد المستعملة للتكرير المعنوي بلفظها مُطَّرِدةٌ ، وإنما عُدِلَ عنه ؛ ليكون نصّاً فيما قُصِدَ به ؛ فإن (ثلاثةً ثلاثةً) مثلاً يحتمل التأكيد ، بخلاف صيغ (أُحَادَ وَمَوْحَدَ) » اهـ .

ومنه يعلم أن التكرير إنما يكون في العدد قبل عدله ، وأما إذا عدل إلى وَزْنَي : فُعَالَ ومَفْعَل ، فلا تكرير ، لأن العدل يغني عن التكرير ، وما ورد منه مكرراً ، فعلى سبيل التوكيد للمعدول ، لا على إفادة معنى جديد .

وقد أشرتُ إلى هذا ؛ ظناً مني أن العدناني رُبَّما وَهِمَ في مثل هذا ، وإلّا فلو قصد إلى التوكيد بالتكرير لذكر الأسلوب الصحيح أَوَّلَ الأمر ، ثم قَفَّاهُ بالأسلوب المكرر للتوكيد ، وأشار إليه .

(تاسعاً) مواد تستحقُّ التعليق ، ولم يعلّق عليها :

★ ذكر أن بعضهم يخطّيء أن يجمع (السَّمَك) على (أَسْمَاك) ؛ لأن الوارد في المعجمات القديمة هو : (سِمَاكٌ ، وسُمُوكٌ) ثم اكتفى بأن قال : «ولكن : جمع السَّمَك على : سِمَاك ، وسُمُوك ، وأَسْماك كلٌ من ...» اهـ [م : ٩٣٣] .

وكان عليه أن يعلّق ويرجح ويختار ؛ فإن (الأَسْمَاك) — مع وروده ، كما ذكر هو — أفضلُ من أَخَوَيْهِ (سِمَاك، وسُمُوك) في الدلالة على المعنى المقصود ؛ فإن الأول (سِمَاك) يحتمل أن يكون جمع (سَمَكٌ) وأن يكون مفرداً — بمعنى : ما سُمِكَ به الشيءُ ، أي : رُفِعَ — أو هو نجم ، جاء في لسان العرب (سمك) :

«والسِّمَاكُ : ما سُمِكَ به الشيء ، وجمعه : سُمُكٌ ، وفي التهذيب : والسِّمَاكُ : ما سَمَكْتَ ، حائطاً أو سقفاً ، والسِّمَاكَانِ : نجمان نيِّران ، أحدهما السِّماك الأَعْزَلُ ، الآخر السِّمَاكُ الرَّامِحُ» اهـ .

وأما الجمع الثاني (سُمُوكُ) فيحتمل أن يكون جمع (سَمَكٌ) وأن يكون مصدراً للفعل (سَمَكَ الشيء سُمُوكاً ، بمعنى : ارتفع ارتفاعاً — ودلالةُ الاستعمال على المعنى نصاً أفضلُ من دلالته عليه احتمالاً .

ثم ما المانع أصلاً من جمع (سَمَكٌ) على (أَسْمَاك) مع أن النحاة نصُّوا على أن (أفعالاً) يجمع عليه جَمْعَ تكسيرٍ للقلة : كل ما لم يجمع على (أَفْعُل) مما لم يستوفِ شروطه ، قال ابن مالك :
وَغَيْرُ مَا أَفْعُلُ فِيهِ مُطَّرِدْ مِنَ الثلاثيِّ اسْماً بأَفْعَالٍ يَرِدْ
و(سَمَكٌ) لا يجمع على (أَفْعُل) فلا يقال : (أَسْمُكٌ) لأن (أفعلاً) يجمع عليه من الثلاثي ما كان اسماً على وزن (فَعْل) — بسكون العين — ليست فاؤه واواً ، وليس مضعفاً ، وعلى هذا يصح فيه (أفعال) ، وكذلك قاسه مجمع اللغة العربية بالقاهرة [انظر : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما — ص ٤٥] .

★ وذكر أنه يقال لبعض أغطية الرأس : (الطَّرْبوش) — بفتح الطاء — و (الطُّرْبُوش) — بضم الطاء — وجعل الفتح رأي الأكثرية ، وقال : «وجميع هؤلاء كالعامة ، ذكروا أن حرفة الأول مفتوح ، ما عدا محيط المحيط ، الذي جاء به مضموماً ، فقال طُرْبوش ، وما علينا إلا أن نؤيد الأكثرية» اهـ . [م : ١٧٧٩] .

وكان عليه أن يعكس ، فيكون مع محيط المحيط ، ويختار الضم — مع أن محيط المحيط في رأيه غير ثقة — ؛ وذلك لأن الغالب على أبنية العرب مما جاء على (فُعْلُول) أن يكون مضموم الفاء ، ولم يجىء منه مفتوح الأول إلا (صَعْفُوق) — وهو مَنْ يَدْخُل السوقَ ولا مال له ، فإذا اشترى التجار شيئاً دخل معهم فيه — جاء في لسان العرب (صعفق) : «ولم يجىء على فَعْلُول شيء غيره ، وأما الخَرْنُوبُ ، فإن بعض الفصحاء يضمونه ويشددونه مع حذف النون ، وإنما يفتحه العامة» اهـ . ونقل العدناني نفسه عن الصحاح والنهاية والمختار قولهم : «لا يقال : طَرْسُوس — اسم بلد — إلا في ضرورة الشعر ؛ لأن فَعْلُولاً ليس من أبنيتهم» اهـ [م: ١١٨٢] .

★ وذكر أنه يصح أن يقال: للشجاعة اليد الطُّولَى في انتصار العرب ، كما يصح أن يقال : «للشجاعة يَدٌ طُولَى في انتصار العرب ، وأن الاستعمال الثاني مما أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد نقل هو عنه : «يستعمل الكاتبون صيغة (فُعْلَى) مجردةً من أل والإضافة في نحو قولهم : سياسة عُلْيا ، ومكرمة جُلَّى ، ويَدٌ طُولَى — وترى اللجنة جواز أمثال هذ التعبيرات على أن الصيغة فيها غير مراد بها التفضيل ، وأنها مؤولة باسم الفاعل أو الصفة المشبهة» اهـ [م : ١٢١٩] .

وكان عليه أن يعلّق بأن إخراج أفعل التفضيل عن بابه — من الدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما عن الآخر فيها — ليس مقيساً عند جميع العلماء ، فهو مُطَّرِدٌ عند المبرد ، وهو مقصور على السماع عند ابن مالك ومن معه ؛ لقلّة ما ورد من أمثلته ، وقد شرحتُ هذا بإفاضة في كتاب (اللحن في اللغة ١٠٦/١ وما بعدها] .

★ وذكر أنه يصح أن يقال : رجال عَانِسُون في جمع : رَجُلٌ عَانِسٌ — بمعنى : طال مُكْثُهُ من غير أن يتزوج — كما قال قيس بن رفاعة :
مِنَّا الَّذِي هُوَ مَا إِنْ طَرَّ شَارِبُهُ وَالْعَانِسُونَ وَمِنَّا الْمُرْدُ وَالشِّيبُ
[م : ١٣٥٣] .

وكان عليه أن يعلّق بأن هذا هو رأي الكوفيين ، أما البصريون فلا يجيزون جمع (عانس) جمع مذكر سالماً ؛ لأن من شروط جمع الصفة عندهم الواو والنون : أن تكون لمذكر عاقل ، خالية من التاء ، ولكنها تقبلها لمعنى التأنيث لا لمعنىً آخر — وعلى ذلك ، فلا يجمع — عند البصريين — ما لا يقبل التاء أصلاً ، نحو: أحْمَر وسَكْران وصَبُور وجريح وعانس ، أو ما يقبل التاء لمعنى غير التأنيث ، كالمبالغة مثلاً ، نحو رجل راويةٌ للشعر ، أو تأكيد المبالغة ، نحو : نَسَّابَةٌ وعَلَّامةٌ وفَرُوقَةٌ ومَلُولَةٌ .

وواضح من هذا أن (العانس) صفة تقبل التاء لمعنى التأنيث ؛ إذ يصح أن يقال : امرأة عانسة — في رأي بعضهم — أو لا تقبل التاء أصلاً — في رأي آخر — .

وجَوَّزَ الكوفيون جمع صفة لا تقبل التاء نحو البيت السابق ، قال السيوطيّ : «وذلك عند البصريين من النادر الذي لا يقاس عليه ، قال صاحب الإفصاح : عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً أو فصلاً ، وليس بالجيِّد» اهـ [انظر : همع الهوامع ١٥٣/١] .

وذكر أن قولهم : تناولتُ طعام الغداء ، خطأ ، والصواب عنده : تناولت الغداء ، أو تَغَدَّيْتُ ، أو غَدِيتُ ، وقال : «لأن الغداء : هي الكلمة التي أطلقها مجمع اللغة العربية بالقاهرة على أكلة الظهيرة ، ولا حاجة بنا إلى إقحام كلمة (طعام) هنا ؛ لأن كلمة (الغداء) وحدها تحمل هذا المعنى ، فلا مُسوِّغَ لتكراره» اهـ . [م : ١٣٨٦] .

وكان عليه أن يعلّق بأن قولهم : طعام الغداء ، إنما لا يصح ؛ لأنه من إضافة الشيء إلى نفسه ، أو من إضافة العام إلى الخاص ، وكلاهما لا يجوز في القياس . كما كان عليه أن يضعف قولهم : تناولت الغداء — أو يخطئه — ويستحسن : تَغَدَّيتُ ، أو غَدِيتُ ؛ لأن (تناولت الشيء) — في اللغة — مطاوِعٌ للفعل (ناولته الشيء) بمعنى : عاطيته الشيء فتعاطاه ، وليس الأكل من هذا المعنى ، وإن جرى العرف بأن تناول الطعام مقدِّمة لأكله عادةً ، ولكن تناول الغداء في اللغة هو أخذه ، ولا يفهم حدوث الأكل إلا في استعمال المعاصرين ، بخلاف قولنا : تغديت، أو غَدِيتُ ، فهي نصٌّ في الدلالة على المعنى المقصود .

★ وَعَدَّ من الخطأ أن يقال : لَوَّعَ الحبُّ فلاناً ، وهو مُلَوَّعٌ — والصواب عنده : لَاعَهُ الحبُّ ، فهو لَائِع ، والْتاعَهُ الحبُّ ، فهو مُلْتَاعٌ . ثم نقل أن : (لَوَّعَ ومُلَوَّع) عامّيٌ لم تنصَّ عليه المعجمات القديمة . [م : ١٧٦١] .

وكان عليه أن يعلّق بأن : (لَوَّعَ ، ومُلَوَّع) — إن لم تنصَّ عليه المعجمات القديمة — فلا مانع منه من جهة التصريف والقياس ؛ إذ يصح أن يكون من : لاعه الحبُّ يَلُوعُه (وهو وارد عن العرب) ولكن ضُعِّفَ وسطه ؛ للمبالغة والتكثير ، فقيل : لَوَّعَه ، والوصف منه مُلَوَّعٌ ، ومعنى التكثير والمبالغة واضحٌ في استعمال هذه المادة مع العاشقين والمحبّين ، ولا مانع من أن يُقوَّى هذا بأن مجمع اللغة العربية بالقاهرة جعل تضعيف الثلاثي للتكثير والمبالغة مقيساً . [انظر : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً — ص ٥٥] .

★ وذكر أن العامة تقول : (المُرُسْتَان) ، والصواب عنده هو : المَارَسْتَان ، أو المَارِسْتَان — بفتح الراء أو كسرها — وهي كلمة فارسية ، معناها : المَصَحَّة أو المستشفى . [م : ١٧٩٢] .

وكان عليه أن يعلّق باختيار الاستعمال الثاني (المصحة ، أو المستشفى) ؛ لخفته على اللسان ، ولأنه عربيّ له أصل في الاشتقاق — بخلاف المارستان الفارسيّ المُعَرَّب — ، ولكثرة استعمال الناس له . وهذه هي الأمور الثلاثة التي يَعْتَمِدُ عليها العدناني في تفضيل استعمال على آخر في غير هذه المادة من موادّ معجمة .

★ وذكر أن (النهار) — وهو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس — يجمع على : (نُهُرٌ ، وأَنْهُرٌ ، وأَنْهِرَة) وجمع الجمع : نَهَرٌ — بفتحتين [م : ١٩٥٨].

وكان عليه أن يعلّق بتعليقتين :

الأولى : أن هذه الجموع التي ذكرها ليست محلّ اتفاق ؛ فمن العلماء من ذهب إلى أن (النهار) لا يثنى ولا يجمع مثل (العذاب والسراب) ، وقد ذكر لسان العرب (نهر) ذلك نقلاً عن الجوهري ، كما جاء مثله في المصباح .

والثانية : أن القول بأن (نَهَرٌ) — بفتحتين — هو جمع الجمع للمفرد (النهار) هو رأي أحمد بن يحيى ثعلب ، نقله عنه ابن منظور في اللسان (نهر) ، ولكن هناك رأياً آخر — ولعله الأرجح ، أو الراجح — وهو أن (النَّهَرَ) — بفتحتين — مفرد فتح ثانيه للتخفيف ، أو هو لغة ، نحو : الشَّعْر والشَّعَرَ ، قال صاحب اللسان : «ونصب الهاء أفصح» .

(عاشراً) قواعدُ مبتورةٌ ، أَوْ مُسَاءٌ **فَهْمُهَا** :

★ بعض النقاد يخطىء قولهم : فلان أَبْلَهُ من فلان ، وأَحْمَقُ من فلان ، وأَخْرَقُ من فلان ، وأَرْعَنُ من فلان — ويرى هؤلاء النقاد أن الصواب : فلان أشدُّ بلاهةً ، وأشدُّ حُمْقاً ، وأشدُّ خَرَقاً ، وأشدُّ رُعُونَةً ، لأن من شروط صوغ اسم التفضيل من الفعل الثلاثي الذي يدل على عيب أو لون : ألّا يكون الوصف منه على وزن أَفْعَلَ — والأفعال : بَلَه ، وحَمُقَ ، وخَرِقَ ، ورَعُنَ — يقال في أوصافها : رجل أَبْلَهُ ، وأَحْمَقُ ، وأَخْرَقُ ، وأَرْعَنُ . [المواد : ٢٢٦ ، ٥٠٠ ، ٥٥١ ، ٧٦٤] .

وَرَأى العدناني صحة الاستعمالات السابقة كلها ، وقال : «ولكن يرى النحاة أن تلك العيوب والألوان إذا لم تكن حسّية ظاهرة ، وكانت معنوية — كالبَلَهِ والحُمْق والخَرَق والرُّعُونة — صح أن يصاغ اسم التفضيل فيها مباشرة» اهـ [م : ٢٢٦] .

ولي هنا تعليقتان :

الأولى : أن قوله : (لا يكون الوصف منه على وزن أفعل) في حاجة إلى تكملة للقاعدة وتوضيح ؛ فإن الوصف إذا كان على وزن (أَفْعَلَ) فهو نوعان :

أحدهما : وصف على (أفعل) ولا مؤنث له أصلًا ؛ لكونه من أوصاف الذكور ، نحو : رجل أَكْمَرُ — أي : عظيم الكَمَرَةِ — ، ورجل آدَرُ — أي كبير الأُدْرَةِ .

والآخر : وصف على (أفعل) ومؤنثه فَعلاء ، نحو : أعور وعوراء ، وأبله وبلهاء — وهذا النوع الآخر هو ما نَصَّ عليه النحاة (جمهورهم) ، وأما النوع الأول فلم يقع لي فيه نقل ، والأرجح أنه مما لا يكون التفضيل منه إلا بالواسطة (أشدّ ، ونحوه) .

والثانية : أنه عمّم الحكم إذ قال : «ولكن يرى «النحاة» .. الخ» وليس هذا من مواضع الاتفاق بينهم ، بل نازع فيه بعض العلماء الأَثْباتِ ، وهذه بعض آرائهم من كتب النحو :

ــ جاء في همع الهوامع للسيوطي [٤١/٦] عند بيان شروط صوغ صيغتي التعجب والتفضيل : «ولا ما فاعله ــ أي وصفه ــ على أفعل ، كحَمِرَ ، وسَوِدَ ، وعَوِرَ ــ وعلّله الجمهور بأن حق ما يصاغان منه أن يكون ثلاثياً محضاً ، وأصل هذا النوع أن يكون فعله على (أفْعَلَ) ، قال ابن مالك : وأسهل منه أن يقال : لأن بناء وصفه على أفعل ، ولَوْ بُنِيَ منه أفعل تفضيل لالتبس أحدهما بالآخر» اهـ .

فأنت تراه هنا قد أطلق الوزن (أفعل) دون أن يميز بين ما له فعلاء وما ليس له فعلاء ، وهو كذلك لم يفرق بين العيوب الحسية والعيوب المعنوية . ويَنِمُّ تعليله هنا عن أن هذا هو رأي جمهور النحاة .

ــ وجاء في شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري : «إنما يصاغ أفعل التفضيل مما صيغ منه فِعْلا التعجب ، وهو كل فعل ثلاثي متصرف تام مثبت قابل للتفاضل مبني للفاعل ، ليس الوصف منه على أفعل فعلاء» اهـ ثم علق الأزهري على قوله : (ليس الوصف منه على أفعل فعلاء) فقال : هذا ما اشْتَهَرَ ، وقَيَّدَهُ الرضيُّ ــ كما أفصح عن ذلك ابن كمال باشا في الفرائد حيث قال : «شاع فيما بينهم أن اسم التفضيل لا يُبْنَى مما منه أفعل لغيره ..» ثم قال ياسين بعد ذلك : «وليس الأمر كما شاع ، كما أفصح عنه رضِيُّ الدين حيث قال في شرح الكافية : وينبغي أن يقال : (في الألوان والعيوب الظاهرة) ؛ فإن الباطنة يُبْنَى منها أفعل التفضيل ، نحو : فلان أَبْلَهُ من فلان وأَحْمَقُ ..» اهـ .

فأنت ترى صاحب التصريح هنا نَصَّ على أن يكون أَفْعَلَ مما له فَعْلاءُ ، ولم يُشِرْ إلى ما ليس كذلك ، ولم يُفَرِّقْ بين العيوب الظاهرة والعيوب الباطنة ، ثم ترى ياسين يُفَرِّقُ بين النوعين ، فيمنع في الظاهرة ، ويجيز في الباطنة ، ويطلق القول من غير تحديد لخلاف بين العلماء في ذلك ، وكأنه من مُسلّماتِهِمْ ، أو كأنه رَأْيٌ خاصٌّ له .

ــ وجاء في المساعد على تسهيل الفوائد [١٦٢/٢] : «وفيما كان ــ مما يُعَبَّرُ عن فاعله بأفعل فعلاء ــ عاهةً قولان : المنع لجمهور البصريين ، والجواز للأخفش وبعض الكوفيين ، ومنهم الكِسائيُّ وهشامٌ ، فأجازوا : ما أَعْوَرَهُ» اهـ .

وأنت تراه لم يُفَرِّقْ بين نَوْعَيْ العيوب ، وأطلق المنع ونسبه إلى جمهور البصريين ، كما أطلق الجواز ونسبه إلى الأخفش ــ وهو من البصريين ــ وإلى بعض الكوفيين ، وذكر منهم الكسائيَّ وهشاماً .

ومن ذلك كله يَبِينُ أن التفضيل المُبَاشَرَ مما دَلَّ على لون أو عيب مسألة خلافية ، وكان على العدناني أن يشير إلى ذلك .

★ وذكر أن الصاغاني في كتاب (الذيل والصلة) والخفاجي في (شفاء الغليل) قد خطّأا من يقول : هو جائع وجَيْعَانُ ، ويقولان : إن الصواب هو : جَوْعان ــ ثم يعلّق ويقول : «وقد عَثَرا ــ حيث خطّأا من يقول : جائع ؛ لأن جميع المعجمات تذكر اسم الفاعل هذا ، ولأن اسم الفاعل يصاغ من الثلاثي السالم على وزن (فاعل) ومن الأجوف على وزن (فاعل)» اهـ .

ولي هنا ملاحظتان :

الأولى : أن صحة (جائع) ونحوه من أسماء الفاعلين لكل ثلاثي أجوف لا تحتاج إلى سماع ؛ فهي من المُسلّمات القياسية عند الصرفيين ، والصاغاني والخفاجي من أعلام اللغة ، لا يفوتهم مثل هذا ، ولا يحتاجان إلى تذكير ، فالخطأ عندهما هو الخطأ عند غيرهما في هذه المادة ، وذلك الخطأ هو في (جَيْعان) ــ بالياء ــ وصحتها أن تكون بالواو (جَوْعان) ، ورُبَّما أساء العدناني فهم عبارة كل منهما ، وكثيراً ما يتسامح العلماء في التعبير ، أو في المسائل الظاهرة المألوفة للشُدَاةِ في العلم ، بَلْهَ غَيْرَهُمْ ، ثقةً بالفطنة ، واعتماداً على استقامة القياس .

والثانية : أنه جعل اسم الفاعل من الأجوف على وزن (فائل) ــ بالهمزة ــ ولم يَقُلْ بذلك أحد ، وإنما هو على وزن (فاعل) أيضاً كالصحيح وغيره من كل ثلاثي ، ولكن حدث فيه إعلال صرفيّ مألوفٌ للطلاب ، إذ وقعت الواو عيناً لاسم فاعل فِعْلٍ أعلت فيه فقلبت همزةً وجوباً ، ويبقى الميزان الصرفي (فاعل) كما هو قبل الإعلال ؛ لأن الإعلال بالقلب مما تُوزَنُ فيه الكلمة على صورتها الأصلية قبل حدوثه ، وربما اغْتَرَّ العدناني ــ بوجود الهمزة في لفظ اسم الفاعل (جائع) دون أن تكون في الفعل منه (جاع) فحسبها زائدة ، وهو غير صحيح ؛ لأنها عين الفعل .

★ وأجاز ــ من باب القياس ــ أن يقال : تجول في البلاد ، وقال : «وَلَمَّا كان قياس المطاوعة لـ (فَعَّل) ــ جَوَّلَ ــ هو (تَفَعَّل) ــ تَجَوَّلَ ــ كان هذا الفعل قياسيّاً ، ولا حاجة بالمعاجم إلى ذكره» اهـ . [م : ٤٠٢] . وهذا سَهْوٌ منه عن قاعدة المطاوعة عند الصرفيين ؛ فإنها لا تكون إلا من فعل علاجي متعدٍّ ، ومعنى (العلاجيّ) هو أن يكون الفعل مما يحتاج في حدوثه إلى تحريك العضو وبذل الجهد العضليّ والمحاولة الحسّية ، ومعنى (المتعدي) أن ينصب مفعولاً به أو أكثر بنفسه ، لا بواسطة حرف الجر .

ومن المقرر أن الفعل المطاوِع ينقص مفعولاً عن المطاوَع ، فإن كان المطاوَعُ متعدياً إلى واحد جاء مطاوِعه لازماً ، نحو : كسرت الزجاج فانكسر ، هذّبتُ الطفلَ فتهذب . وإن كان متعدياً إلى اثنين

تعدّى مطاوعه إلى واحد ، نحو : علمته اللغة فتعلمها [انظر : المغني في تصريف الأفعال لمحمد عبد الخالق عضيمة ــ ص ١١٠] .

والفعل (جَوَّل) ليس من ذا ؛ لأنه فعل لازم ، فلا تأتي منه صيغة المطاوعة ، لا قياساً ، ولا سماعاً .

★ وخطّأ قولهم : الأمهات الحَنَاين ــ بالياء ــ جمع (حَنُونٌ) وجعل صحته : الحنائن ــ بالهمزة ــ وقال في تعليل ذلك : «لأن جمع التكسير (فعائل) مقيسٌ في كل رباعيٍّ ــ اسمٍ أو صفةٍ ــ مؤنثٍ تأنيثاً لفظياً أو معنويّاً ، ثالثه مَدَّةٌ ..» اهـ . [م : ٥١٤] .

وليس هذا بتعليل ، وإنما هو قاعدة للجمع على هذا الوزن ، وذلك لأن كُلاً من (حنائن ، وحناين) صيغة منتهى الجموع على وزن (فعائل) ، وإنما سبب التخطيء في (حناين) هو الإعلال الخطأ بقلب الواو ياء ، وأصله (حَنَاوِنُ) ولا وجه لهذا ، وإنما الوجه المقيس هو قلب الواو همزة ؛ لوقوعها بعد ألف ما يشبه مفاعل وهي مدة زائدة في المفرد (حنون) ومثله : عجوز وعجائز ــ والألف والياء كالواو في هذا الإعلال ، يقول ابن مالك :

وَالمَدُّ زِيدَ ثالثاً في الواحِدِ هَمْزاً يُرَى في مِثْلِ كالقَلائِدِ

★ وقال : «ويُخَطِّئون من يضيف الاسم إلى الفعل ، فيقول : هذه ساعة يُثْأَرُ فيها من العدوّ ، ولكن أجازت العرب ذلك ؛ إذ قال سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ : رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ اهـ . [م : ١١٦٢] .

ولا ينبغي أن يحمل هذا الكلام على ظاهره ، أو يؤخذ على إطلاقه ؛ لما يأتي :

١ . أن ذلك مشروط بأن يكون المضاف دالاً على زمان أو ما في معنى الزمان ، فما دَلّ على زمان كالآية السابقة ، وما دل على ما في معنى الزمان ألفاظٌ مسموعةٌ تؤدي معنى الزمن لارتباطها به ، ومنها (آية) بمعنى : علامة ــ والوقت علامة لمعرفة الحوادث وترتيبها ، كما أن العلامة تتصل بالوقت ــ ومن ذلك قول الشاعر :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّيَ تَمِيماً بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَعَامَا
بِآيَةِ يُقْدِمُونَ الخَيْلَ شُعْثاً كأَنّ على سنابكها مُدَامَا

ومن هذه الألفاظ ــ عند بعضهم ــ كلمة (ذي) في قولهم : اذهب بِذِي تَسْلَمُ ، واذهبا بِذِي تَسْلَمَانِ ، واذهبوا بِذِي تَسْلَمُون .

٢ . أن في التعبير بجواز إضافة الاسم إلى الفعل تسامحاً من النحاة ؛ لأن المقصود هو الإضافة إلى الجملة الفعلية بِرُمَّتِها ، وهذه الجملة في تأويل المفرد ، مسبوكةً بغير سابك ، فالتقدير في قوله تعالى : ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ هو : إلى يوم بَعْثِهِمْ ، والتقدير في البيتين السابقين هو : بآيَةِ حُبِّهِم الطعامَ ، وبآيَةِ إقدامِهم الخَيْلَ شُعْثاً [انظر : باب الإضافة في كتب النحو] .

وكان على العدناني أن يوضح ذلك ؛ لما في عبارته من إلباس وخلط ، ولأنه من المعاصرين الذين لا ينبغي أن يتسمَّحوا في عباراتهم اللغوية .

★ وذكر أنهم يخطّئون من يطلق على المقصّ أو ما يُقْرَضُ به الثوب وغيره ، اسم (المِقْراضان) ، ويقولون : إن الصواب هو : (المِقْرَاض) .. الخ [م : ١٥٥١] .

وقد عكس هو المسألة ؛ فالمعروف في كتب اللحن أن العامة تُخْطِيءُ فتقول : المِقْراض ، والمِقَصّ ــ والصواب هو : المِقْراضان والمِقَصَّان ، جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة [ص ٣٢٤] : «باب ما يُتَكَلّم به مثَنّى والعامة تتكلم بالواحد منه ، يقال : اشتريت مِقْراضين ومِقَصَّيْن وجَلَمَيْن ، ولا يقال : مِقْراضٌ ، ولا مِقَصٌّ ولا جَلَمٌ» اهـ . وانظر : الاقتضاب لِلْبَطَلْيَوْسِيّ ــ ص ٢٢٣ ، ودرة الغواص للحريري ــ ص ١١٥ ، وشرح الخفاجي على درة الغواص ــ ص ٢٣٦ .

★ وذكر أن (لسان العرب) قد أخطأ حين انفرد بـ (المَرَئيّ) في النسب إلى (امرىء القيس) . [م : ١٧٨٥] .

وليس كما زعم ؛ فإن النسب وما يتصل به من أحكام ليس مما تهتم به المعجمات اللغوية ، وإنما هو من مباحث علم الصرف ، ولم ينفرد لسان العرب بذكر (المَرَئِيّ) ، وإنما وردت هذه النسبة في كتاب سيبويه [٣/٣٧٦] وفي غيره من كتب النحو والصرف .

★ وذكر أنهم يفتحون الميم من (المِلْح) ــ وهو ما يوضع في الطعام لإساغته ــ وإنما الصواب كسر ميمه ، ثم قال : «ويجمع المِلْحُ على : مِلاَح ، ويصغر على : مُلَيْحَة» اهـ [م : ١٨٣٢] .

وكلامه هنا يُوهِمُ أن للمِلْح جمعاً واحداً هو (مِلاَح) الذي ذكره ، مع أن له جموعاً أُخَرَ ، منها ما هو أكثر شهرةً مما ذَكَر ، وهذه الجموع هي : مِلَحَةٌ ، ومِلَحٌ ، وأَمْلاحٌ ــ والأخيرُ أشهرها . وما ذكره ليس نصًّا في جمع (المِلْح) ؛ إذ يحتمل أن يكون جمع (مَلِيح) بمعنى : حَسَنٌ جميلٌ .

وَعَدَّ من باب التنازع ما جاء في معجم مقاييس اللغة في مادة (فهم) من قوله : (كذا يقولون أَهْلُ اللغة) ، وفي مادة (فوه) من قوله : (ويقولون أَهْلُ العربية) . [م : ١٨٩٣] .

وليس هذا من باب التنازع ، وإنما هو إلحاق علامة الجمع بالفعل مع مرفوعه الظاهر ، وهذه لغة لبعض العرب ، نُسِبَتْ إلى بني الحارث بن كعب ، وللعلماء فيها توجيهاتٌ عِدَّةٌ . أما التنازع عند النحاة فهو : تَوَجُّهُ عاملين إلى معمول واحد ، وله أحكام خاصة مبسوطة في كتب النحو ، وقد ذكر العدناني بعضاً منها .

★ وقال : «أما جمع (النَّحْوِيّ) ــ وهو المشتغل المتخصص في قواعد

اللغة ـــ فهو (نَحْوِيُّونَ) . [م : ١٨٨٠] .

وجمع المذكر السالم هنا مقيسٌ ؛ لأنه صفة لمذكر عاقل مستوفية لشروط جمعها تصحيحاً ، ولو لم يذكر هذا الجمع هنا ما كان عليه من ملام . أما الجمع الذي كان ينبغي أن يذكره فهو جمع التكسير (نُحَاة) ؛ فقد يَغْفُلُ عنه بعضهم ، وهو جمع (نَاح) بمعنى (نَحْوِيّ)

ـــ أي مشتغل بفنّ النحو المعروف ـــ جاء في لسان العرب : «ورجل ناح، من قوم نُحَاةٍ : نَحْوِيٌّ ، وكأن هذا إنما هو على النسب ، كقولك : تَامِرٌ وَلَابِنٌ» ومثله ما جاء في القاموس المحيط . وجاء في عبارة (أساس البلاغة) للزمخشري ما يُوهِمُ أن (نُحاة) جمع (نَحْوِيّ) ، فقد قال : «وفلان نَحْوِيٌّ من النُّحَاةِ» اهـ .

(يتبع)

المَلَامِح الجَدِيدَة في الطبعة العشرين من تصنيف ديوي العشري

يُونس أحمد الخاروف
كلية إربد للبنات - الأردن

تمهيد :

جرياً على سياسة التحديث والمراجعة المستمرة التي تنتهجها هيئة التحرير المشرفة على تصنيف ديوي العشري ، وبعد عشر سنوات تقريباً من صدور الطبعة التاسعة عشرة من هذا التصنيف العريق ، صدرت في عام ١٩٨٩ الطبعة العشرون من تصنيف ديوي العشري[1] بملامح جديدة تميزها بعض الشيء عن الطبعات السابقة وخاصة الطبعة التاسعة عشرة .

وتهدف هذه المراجعة إلى استعراض الملامح العامة للطبعة العشرين وبيان أهم التغييرات التي طرأت عليها ، سواء في شكل مراجعة جذرية شاملة ، أو في شكل مراجعة محدودة ، أو من خلال عملية توسيع الأرقام لبعض الموضوعات .

وصف عام للطبعة الجديدة :

تتألف هذه الطبعة من ستة أقسام (أجزاء) رئيسية وزعت على أربعة مجلدات على النحو التالي :

المجلد الأول ويضم :

١ ـــ المقدمة : وهي التي تقدم تصنيف ديوي العشري للقارىء ، ولا تختلف كثيراً عن المقدمة الموجودة في الطبعة التاسعة عشرة ، إلا أنها تقدم وصفاً موجزاً للملامح العامة للطبعة العشرين .

٢ ـــ الجداول المساعدة (Tables) وهي الجداول السبعة المساعدة التي تشتمل على رموز يمكن إضافتها لأرقام التصنيف في الجداول الرئيسية لتوفير أكبر قدر من التخصيص للموضوع الواحد .

٣ ـــ القوائم التي تقارن الأرقام الجديدة في الطبعة العشرين بالأرقام السابقة في الطبعة التاسعة عشرة ، والأرقام التي تم توسيعها أو تم إيقاف استخدامها ونقل موضوعاتها إلى أماكن أخرى ، كما تشتمل على جداول مقارنة الموسيقى بين الطبعتين التاسعة عشرة والعشرين . وجداول مقارنة رمز المكان لمقاطعة كولومبيا البريطانية الذي تمت مراجعته وتوسيعه بشكل جذري .

المجلد الثاني والثالث ويضمان :

٤ ـــ الجداول الرئيسية (Shedules) التي تغطي أقسام المعرفة العشرة ٠٠١ ـــ ٩٩٩

المجلد الرابع ويضم :

٥ ـــ الكشاف النسبي (Relative Index) وهو عبارة عن قائمة هجائية بالموضوعات الموجودة في الجداول الرئيسية والمساعدة ، ويضم المترادفات والمصطلحات المختارة ذات الاستعمال الشائع .

٦ ـــ الدليل الإرشادي (Manual) ويضم إرشادات وتعليمات توجه المصنف وتساعده في استخدام الخطة وفي التغلب على المشكلات التي تعترضه في المجالات الموضوعية المعقدة ، ويعتبر هذا الدليل من أبرز الاختلافات بين الطبعة العشرين والطبعة التاسعة عشرة .

الملامح والتغييرات التي تميز الطبعة العشرين :

لاشك أن كل طبعة من طبعات تصنيف ديوي العشري تتميز بملامح وتغييرات تجعلها مختلفة عن الطبعات الأخرى ، وقد اشتملت الطبعة العشرون على مجموعة من الملامح والخصائص التي تميزها عن الطبعة التاسعة عشرة ، ومن أهم هذه الملامح :

١ . الشكل المادي :

صدرت الطبعة العشرون في أربعة مجلدات ، كما أشرنا في النقطة

السابقة ، بينما صدرت الطبعة التاسعة عشرة في ثلاثة مجلدات ، وربما كان السبب في زيادة عدد المجلدات هو تجزيء المجلد الذي كان يضم الجداول الرئيسية كاملة في الطبعة التاسعة عشرة إلى مجلدين في الطبعة العشرين ، بحيث أصبحت الجداول الرئيسية من ٠٠١ ــ ٥٥٩ تقع في المجلد الثاني ، والجداول الرئيسية من ٦٠٠ ــ ٩٩٩ تقع في المجلد الثالث ، وهذا في حد ذاته إجراء سليم ومنطقي ، لأنه لو بقيت الجداول الرئيسية كلها في مجلد واحد لتضخم حجم هذا المجلد بسبب الإضافات والتوسيعات التي أدخلت على هذه الجداول في الطبعة العشرين .

٢ . الدليل الإرشادي (Manual)

أشرنا في الوصف العام للطبعة العشرين إلى أن المجلد الرابع يشتمل بالإضافة إلى الكشاف النسبي على الدليل الإرشادي ، ويعتبر هذا الدليل من أهم الملامح والتغييرات التي تتميز بها الطبعة العشرون عن الطبعة التاسعة عشرة ، إذ لم تكن تلك الطبعة ولا الطبعات التي سبقتها تشتمل على مثل هذا الدليل .

وتنقسم المعلومات في هذا الدليل إلى قسمين رئيسيين :

الأول : للإرشادات والتعليمات المتعلقة باستخدام الجداول السبعة المساعدة ، وهي مرتبة تسلسلياً حسب أرقام هذه الجداول . كما تضم هذه التعليمات معلومات عن أهم التغييرات التي طرأت على استخدام بعض هذه الجداول وتسمياتها ومدلولاتها الجديدة .

الثاني : ويضم الإرشادات والتعليمات المتعلقة باستخدام الجداول الرئيسية ، وهي مرتبة تسلسلياً حسب أرقام التصنيف . بحيث يتمكن القارىء أو المصنف من معرفة كل ما طرأ على هذه الأرقام من تغيرات أو مشكلات تتعلق باستخدامها وكيفية الإضافة إليها من الجداول المساعدة .

وقد ألحق بالقسم الثاني بعض السياسات والممارسات «الخاصة» التي ينتهجها قسم تصنيف ديوي في مكتبة الكنجرس ، وهي في الغالب سياسات وممارسات «خاصة» ولا تعتبر ملزمة للمكتبات التي تستخدم تصنيف ديوي .

٣ . الملخصات ، والشروح (التبصرات) والإحالات والأمثلة والخيارات .

أ . الملخصات (Summaries)

ليست الملخصات بالشيء الجديد في الطبعة العشرين ، فهي موجودة في الطبعات السابقة ، إلا أن الجديد في مجال الملخصات هو زيادة عددها ، وإضافة ما يسمى بالملخصات الشاملة التي تقدم ملخصاً كاملاً لفرع من الفروع مما يعطي المصنف فرصة أكبر للتعرف على محتويات هذا الفرع ، ويعتبر الملخص الموجود تحت الرقم ٣٧٠ (التربية والتعليم) أبرز مثال على هذا النوع من الملخصات .

ب . الشروح (التبصرات) هناك زيادة ملحوظة في عدد الشروح في الجداول الرئيسية والمساعدة . وذلك إلى جانب الشروح والملاحظات الموجودة في الدليل الإرشادي ، وهناك ملاحظات إرشادية من نوع «صنف هنا» أو «صنف .. في» Class here» ... class... in» وذلك لتوضيح العلاقة بين الموضوعات المترابطة جداً .

جـ . الإحالات : تشتمل الطبعة العشرون ولأول مرة على إحالات من نوع «انظر أيضاً» لإحالة المصنف إلى الموضوعات الأخرى ذات الصلة بالموضوع الذي يبحث عنه .

د . الأمثلة : تشتمل التعليمات والإرشادات الموجودة في الجداول الرئيسية والمساعدة على مثال واحد على الأقل يوضح كيفية تطبيقها .

هـ . الملاحظات المتعلقة بالخيارات والأفضليات وضعت في الطبعة العشرين بين قوسين هلالين ، وتوفر هذه الملاحظات رموزاً يمكن أن تستخدم بدلاً من الرموز الأصلية في الجداول .

٤ ــ التغييرات ذات الصبغة الشاملة والمشاركة الدولية :

تميزت الطبعة العشرون بمشاركة دولية في تحريرها إلى جانب الهيئة الأميركية المشرفة على تحرير تصنيف ديوي العشري ، وقد تجلت هذه المشاركة الدولية في العديد من المراجعات الشاملة ، سواء في الجداول الرئيسية أو المساعدة ، ومن أبرز الأمثلة عليها :

أ . المراجعة الشاملة لفرع الموسيقى (٧٨٠) في قسم الفنون والفنون الجميلة والديكور ، حيث تمت مراجعة وتغيير قسم الموسيقى بشكل كامل بمساعدة أحد الخبراء البريطانيين . وهناك وصف مفصل للتغييرات التي طرأت على فرع الموسيقى يجدها المصنف تحت الرمز ٧٨٠ في الدليل الإرشادي (Manual) .

ب . المراجعة الشاملة للرقم المخصص لمقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا (٩٧١,١) ومن ثم لرمز المكان الخاص بها في الجدول المساعد الثاني (٧١١) وقد تم وضع مسودة هذه المراجعة في كندا من قبل فريق كندي برئاسة ديفيد بالاتي والمكتبة الوطنية في كندا .

٥ ــ التغييرات الجزئية المحدودة .

هناك العديد من التغييرات في أجزاء الفروع ، وفي فروع الأجزاء ، حيث تم نقل بعض الموضوعات من أرقامها السابقة إلى أماكن جديدة مع توسيعها (كما حدث في موضوعي الحاسوب والاتصال) ، كما تم إيقاف استخدام بعض الأرقام وإعادة استخدام أرقام توقف استخدامها في الطبعة السابقة .

وسوف نستعرض مجموعة التغييرات الجزئية في الجداول المساعدة ثم في الجداول الرئيسية :

أ ــ في الجداول المساعدة :

١ ــ الجدول الأول : التقسيمات الموحدة

٠١١ الأنظمة (Systems)

رمز جديد أضيف لتحديد أنظمة الموضوع .

٠٢٨ التقنيات المساعدة والإجراءات والأجهزة والمواد

لقد توقف استخدام هذا الرمز للتقنيات الأساسية للموضوع وأصبح يستخدم فقط للتقنيات المساعدة . أما التقنيات الرئيسية فتصنف مع الموضوعات في ٠٠١-٩٩٩ دون إضافة رموز من الجدول المساعد الأول .

٠٤ موضوعات خاصة (سابقاً موضوعات خاصة ذات تطبيق عام) أصبح هذا الرمز من الرموز التي لا تستخدم إلا إذا وردت في الجداول الرئيسية ، بمعنى أن المصنف لا يستطيع أن يستخدمها وأن يضيفها إلى رموز الجداول الرئيسية كغيرها من التقسيمات الموحدة في الجدول الأول . وقد اختصرت التسمية إلى موضوعات خاصة فقط بدلاً من موضوعات خاصة ذات تطبيق عام .

٠٧ البحث والتعليم والموضوعات ذات الصلة (سابقاً الدراسة والتدريس) .

كما هو واضح من التسمية الجديدة لهذا الرمز فقد تغير مدلول ٠٧ في الطبعة الحالية عن مدلوله في الطبعة التاسعة عشرة . فقد أصبح بمدلوله الجديد يشتمل على ثلاثة جوانب :

أ . البحث والبحوث ، وهناك وصف مفصل لمدلول هذا الجانب في الدليل الإرشادي ، ويمكن القول باختصار إن مدلوله الحالي يعني عملية إجراء البحث وليس مناهج وطرق البحث (٠١٨) .

ب . التعليم ، وهو الجانب المتعلق بتدريس ودراسة الموضوع .

جـ . الموضوعات ذات الصلة ، ويقصد بها الموضوعات المرتبطة بالموضوع الذي يضاف إليه هذا الرمز وليس الموضوعات ذات الصلة بالبحث والتعليم ، فإذا أردت أن تعبر عن ارتباط الاقتصاد بالسياسة فيمكن استخدام ٠٧ للتعبير عن هذه العلاقة بإضافته إلى رمز الأساس ٣٣٠ .

٠٨ تاريخ ووصف الموضوع المرتبط بأنواع من الأشخاص (سابقاً معالجة الموضوع عند جماعات من الأشخاص) .

لا زال هذا الرمز من رموز الجدول الأول التي تحتاج إلى المزيد من التوضيح وخاصة في التطبيق والاستخدام ، وإن كان بمدلوله الحالي أفضل من مدلوله السابق ، إلا أنه بهذه التسمية يمكن أن يختلط بمفهوم رموز الأشخاص في الجدول السابع . على أية حال فالرمز ٠٨ بتسميته الجديدة يعني معالجة ووصف الموضوع عند فئة من الأشخاص كالرجال أو النساء ، كالأطفال أو الكبار ، كالمراهقين والعجزة وهكذا .

٠٩ المعالجة التاريخية والجغرافية والأشخاص (سابقاً المعالجة التاريخية والجغرافية) احتفظ هذا الرمز بمدلوله السابق مع إضافة جديدة وهي : التعبير عن دلالته أيضاً على تراجم الأشخاص ، حيث إنه فعلياً كان يعني ذلك ، وكان رمز التراجم ٠٩٢ يفرع من ٠٩ ، ولذلك فالأولى به أن يكون شاملاً في دلالته على المعالجة التاريخية والجغرافية وتراجم الأشخاص .

٠٩٢٤ تراجم الأفراد

توقف استخدام هذا الرمز ، وأصبحت تراجم الأفراد تصنف في ٠٩٢ .

الجدول الثاني : المناطق الجغرافية والفترات الزمنية والأشخاص (سابقاً الأماكن).

يلاحظ تغير تسمية الجدول المساعد الثاني من جدول الأماكن فقط في الطبعة التاسعة عشرة إلى المناطق الجغرافية والفترات الزمنية والأشخاص ، وقد تم تحديث الأسماء الجغرافية وتغيرها بحيث تتلاءم مع الشكل المقنن للأسماء الجغرافية في قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية ــ ط ٢ . كما تم توسيع رموز الأماكن للدول التالية :

٤٣ ألمانيا

٤٩٢ هولندا

٤٩٣ بلجيكا

٥٢ اليابان

٥٣ شبه الجزيرة العربية[٢]

٥٦٣ القسم التركي الأوروبي أعيد تصنيفه تحت الرمز ٤٩٦١

٧١١ كولومبيا البريطانية (روجعت مراجعة جذرية وشاملة)

الجدول الثالث : تقسيمات الآداب الفردية والأشكال الأدبية

أعيد تقسيم هذا الجدول إلى ثلاثة جداول فرعية هي

٣ A لأعمال المؤلف الواحد أو ما كتب عنه

٣ B لأعمال أكثر من مؤلف واحد أو ما كتب عنهم

٣ C للتقسيمات التي يجب إضافتها إلى أرقام ٣ B والأرقام ٨٠٨ ــ ٨٠٩ في الجداول الرئيسية .

والواقع أن تقسيم الجدول الثالث على هذا النحو قد زاد في تعقيد الأمر ، وهناك شروح كثيرة في الجدول ٣ A والجدول ٣ B ينبغي على المصنف قراءتها بدقة وتمعن ، وقد أفقدت هذه الشروح هذا الجدول روح البساطة والسهولة التي كان يتمتع بها في الطبعة التاسعة عشرة .

الجدول الخامس : الجماعات العرقية والوطنية والقومية

٩٦ ــ ٩٨ : تم توسيع أرقام السلالات والشعوب الأمريكية

والأفريقية الأصلية .
الجدول السادس : اللغات .
٩٦ : تم توسيع أرقام اللغات الإفريقية
ب . في الجداول الرئيسية :
الأرقام : هناك قوائم في المجلد الأول للأرقام التي تم تغييرها في الطبعة العشرين ، وقد سبقت الإشارة إليها في الفقرة المتعلقة بوصف الطبعة العشرين . وسنكتفي هنا بإيراد أمثلة على التغييرات الجزئية في الجداول الرئيسية :
٠٠١ ــ ٠٠٦ : تمت مراجعة جميع الأرقام التي تغطي المعرفة والنظم والاتصال ومعالجة المعلومات آلياً . فقد توقف استخدام ٠٠١,٥ لعلوم الاتصال والسوبرناطيقا وتم توزيعها على الأرقام ٣٠٢,٢ و ٠٠٣,٥ و ٠٠٦,٣
كما توقف استخدام ٠٠١,٦ لمعالجة البيانات وعلم الحاسوب ، وتم توزيع موضوعاته على الأرقام ٠٠٤ ــ ٠٠٦ التي لم تكن مستخدمة في الطبعة التاسعة عشرة . وهذا يعني أن علم الحاسوب والبرمجة حظي بمراجعة جذرية شاملة .
٣١٢ : الإحصاءات السكانية ، توقف استخدام هذا الرقم ونقل إلى ٣٠٤ ,٦٠٢١ وإلى الموضوع ، مثال إحصاءات الوفيات الناجمة عن جرائم العنف تصنف في ٣٦٤ ,١٥٠٢١
٣٧٤ : تعليم الكبار ، تمت مراجعة وتوسيع أرقام هذا الموضوع .
٣٨٠,٣ : الأعمال الشاملة عن النقل ، أعيد هذا الموضوع إلى ٣٨٨ .
٤٠١,٩ : علم الاجتماع اللغوي ، أعيد هذا الموضوع إلى ٣٠٦,٤٤ .
٥١٣,٩٣ : الحساب المهني ، نقل هذا الموضوع إلى الرقم ٦٥٠,٠١٥١٣ .
٦٠٤,٦ : تكنولوجيا الفضلات ، نقل هذا الموضوع إلى الرقم ٦٢٨,٤ .
٦٢١,٣٨١٩٥ : هندسة الحاسوب ، نقل هذا الموضوع إلى الرقم ٦٢١,٣٩ .
٧٨٠ : الموسيقى ، روجعت مراجعة شاملة بمشاركة دولية .
٩٧٢,٨ : الفترات التاريخية لأميركا الوسطى ، روجعت لتعكس تاريخ كل دولة .
٢ . التسميات :
يلاحظ أن تسميات بعض الأقسام الرئيسية ، وبعض الفروع الرئسية قد تغيرت أو تم تعديلها :
أ . فالقسم الثاني الفلسفة (١٠٠) تغيرت تسميته من الفلسفة والعلوم المتصلة بها إلى الفلسفة وعلم النفس وعلم نفس التخاطر والقوى الخفية .
ب . والقسم السادس العلوم النظرية (٥٠٠) تغيرت تسميته من العلوم النظرية إلى العلوم الطبيعية والرياضية .
جـ . والفرع السابع من القسم الأول (٠٧٠) الصحافة والنشر والصحف تغيرت تسميته وأصبحت المواد الوثائقية والإخبارية والتعليمية ؛ الصحافة ؛ النشر .
٦ ــ الكشاف النسبي : (Relative Index)
تميز الكشاف النسبي في الطبعة التاسعة عشرة بضخامة الحجم وبكثرة عدد الإحالات من نوع «انظر» و «انظر أيضاً» وبالمداخل التي لا توجد أمامها أرقام التصنيف .
أما كشاف الطبعة العشرين فقد تميز بما يلي :
أ . صغر الحجم ، حيث إنه أصغر بكثير من الكشاف النسبي للطبعة التاسعة عشرة ، ويقع مع الدليل الإرشادي (Manual) في أقل من ألف صفحة .
ب . استبعدت منه جميع إحالات انظر ، وأصبح لكل مدخل رقم ، وغالباً ما يكون هذا الرقم هو الرقم المخصص للموضوع .
أما إحالات «انظر أيضاً» فقد تم الإبقاء عليها .
جـ . استبعدت منه الكثير من المداخل غير المرغوبة والقلقة والمكررة التي كانت تعج بها الطبعة التاسعة عشرة .
تلك هي أهم ملامح الطبعة العشرين الجديدة ، ولاشك أن القارىء العربي سيطرح سؤالاً مهماً للغاية : ماذا بشأن الموضوعات العربية والإسلامية في الطبعة العشرين ؟
هذا السؤال ستجيب عنه الفقرة الأخيرة من هذه المراجعة .

الموضوعات العربية والإسلامية في الطبعة العشرين :

لم تقدم الطبعة العشرون جديداً ذا أهمية فيما يتعلق بالموضوعات العربية والإسلامية الرئيسية وهي :
١ . الدين الإسلامي الذي بقي يحتل الرقم نفسه المخصص له في الطبعة التاسعة عشرة وهو ٢٩٧ وفروعه .
٢ . اللغة العربية : التي ظلت تحتفظ بالرقم نفسه المخصص لها في الطبعة التاسعة عشرة وهو ٤٩٢,٧ مع الإصرار على إعطاء رقم لما يسمى باللغة العربية الجنوبية ٤٩٢,٩ التي تفصلها عن اللغة العربية الشمالية ٤٩٢,٧ اللغة الحبشية ٤٩٢,٨ ولا ندري لماذا يصر محررو تصنيف ديوي العشري على هذا التقسيم العجيب للغة العربية ؟!
٣ . الأدب العربي : الذي ظل يحتفظ بالرقم المخصص له في الطبعة التاسعة عشرة وهو ٨٩٢,٧ مع الإصرار على ما يسمى بالأدب العربي الجنوبي ٨٩٢,٩ جرياً على اللغة العربية الجنوبية ٤٩٢,٧ .
٤ . التاريخ العربي الإسلامي وتاريخ الدول العربية الحديثة : لم يغير تصنيف ديوي شيئاً بالنسبة لأرقام التاريخ العربي والإسلامي وأرقام

الدول العربية الحديثة ، اللهم إلّا من لفتة جديدة تضمنت تخصيص أرقام لبعض دول شبه الجزيرة العربية التي لم يخصص لها أرقام خاصة في الطبعة التاسعة عشرة .

وهذا يعني أن الرقم ٩٥٣ المخصص لشبه الجزيرة العربية ، قد روجع بحيث تتفرع منه أرقام جديدة لتلك الدول ، وأصبح في الطبعة العشرين على النحو التالي :

٩٥٣ الجزيرة العربية

٠١ ـــ ٠٥ الفترات التاريخية

١ شبه جزيرة سيناء

٣ الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة العربية

٣٢ اليمن الشمالي

٣٥ اليمن الجنوبي

٥ عمان والإمارات العربية المتحدة

٥٣ سلطنة عمان

٥٧ دولة الإمارات العربية المتحدة

٦ دول الخليج العربي

٦٣ دولة قطر

٦٥ البحرين

٦٧ الكويت

٨ المملكة العربية السعودية .

[الدولة الوحيدة التي كانت مذكورة تحت الرقم ٩٥٣ في الطبعة التاسعة عشرة]

وعلى الرغم من أن قائمة الأرقام التي روجعت أو تم توسيعها قد اشتملت على كل الأرقام الموسعة إلا أنها لم تشتمل على الرقم ٩٥٣ ، ولا ندري إن كان ذلك أمراً متعمداً أم أنه من قبيل الإهمال أو النسيان !

إن هناك حاجة ملحة لأن تهتم الهيئات والمؤسسات العربية المعنية بضرورة مكاتبة هيئة التحرير المشرفة على تصنيف ديوي العشري التي لا زالت تغمض عينيها عن الموضوعات العربية والإسلامية ، وذلك من أجل مطالبتها بضرورة مراجعة الأرقام المخصصة للموضوعات العربية والإسلامية من خلال تعاون وثيق مع الجهات العربية ذات الاهتمام المتبادل وخاصة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبعض الجامعات العربية التي تتولى تدريس علم المكتبات .

الهوامش

(I) Dewey Decimal classificatiion and Relative index.__ 20th ed.__ Albany (N.Y): Forest press, 1989. 4 vols.

(٢) تم في الطبعة العشرين تخصيص أرقام للدول العربية المستقلة في شبه الجزيرة العربية التي لم يخصص لها أرقام في الطبعة التاسعة عشرة وهذه الدول هي : اليمن (الشمالي والجنوبي) سلطنة عمان ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، الكويت ، قطر والبحرين .

رسائل جامعية

مدى استخدام المؤسسات الصناعية السعودية للإعلان

لفريد زاهد

زاهد ، فريد محمد إبراهيم/مدى استخدام المؤسسات الصناعية السعودية للإعلان في نشاطها التسويقي (بالتطبيق على مدينة جدة). ــ رسالة لاستكمال درجة الماجستير . ــ إشراف متولي السيد متولي ، علي رفاعة الأنصاري . ــ جدة : جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الاقتصاد والإدارة، قسم إدارة الأعمال ، ١٤٠٩ هـ ، ٦ ، ١٧٦ ورقة .

يتناول البحث ظاهرة عدم اهتمام المؤسسات الصناعية بالإعلان ــ العنصر الفعال في تسويق وترويج المنتجات ــ بالرغم من الصعوبات التي تواجهها في تسويق منتجاتها . وعلى هذا ألقي الضوء على موضوعين أساسيين :

١ ــ نظرة شاملة على الصناعة في المملكة بصفة عامة والنشاط الصناعي في مدينة جدة بشيء من التفصيل .

٢ ــ نظرة على دور الإعلان كقوة محركة للسلع في دورة انتقالها من المنتج إلى المستهلك .

وقد اتجه الباحث إلى بحث مدى ممارسة المؤسسات الصناعية الوطنية للنشاط الإعلاني للوقوف على الجانب الواقعي والمشكلات العملية المرتبطة بممارسة المؤسسات الصناعية بجدة لذلك النشاط . ثم استعرض الوسائل الترويجية التي تستخدمها المنشآت الصناعية وأهمية الإعلان من وجهة نظرها ، وميزانية الإعلان وطرق تحديدها ، والطرق المتبعة في تصميم وتنفيذ الإعلان والوسائل المختارة للإعلان عن منتجاتها ، وأسباب اختيارها ، وفترة ظهور العلاقة بين تواريخ الإعلان وزيادة المبيعات ، والحملات الإعلانية وطرق توزيعها ، ودراسة جدوى الإعلان واتجاه الإدارة والاتجاهات السائدة نحو تكلفة الإعلان ، وطرق اتخاذ القرارات الخاصة بالإعلان عن منتجات المنشآت الصناعية ، ووجهات نظر إدارتها في الإعلان ودوره .

ثم بحث في وجهات نظر وكالات الإعلان ــ الواردة في البحث ــ في الإعلان ، حيث استعرض وظائف وكالات الإعلان وكيفية بيع المساحات الإعلانية ، وطرق الحصول على العملاء ، والوكالات التي تقدم التسهيلات للمنشآت الصناعية ، ونوعية هذه التسهيلات ، وقيام المنشآت الصناعية بحملات سنوية مخططة ، والطرق التي تتبعها المنشآت الصناعية في الإعلان ، وحصر إعلانات القطاع الصناعي وتقصيره من الناحية الإعلانية ، وأسباب هذا التقصير ، والدراسات التي تقوم بها وكالات الإعلان ومدى قيامها بحملات إعلانية متكاملة ونماذج من هذه الحملات ، وأخيراً بعض الخدمات التي تقدمها هذه الوكالات لعملائها .

يلي ذلك عمل مقارنة بين المصانع التي تمارس الإعلان كسياسة تسويقية ثابتة والتي لا تعتقد فيه وتمارسه بطريقة غير منظمة ، حيث بدأ بالحديث عن الإعلان كاستثمار ، ثم بحث مدى وجود الوعي الإعلاني ، وأسباب اختيار الباحث لشركتين معينتين ، ثم قام بالمقارنة وبيان نتائجها .

وأخيراً استخلص النتائج مع التمييز بين تلك التي أجمعت عليها إدارات المصانع وتلك التي تعكس وجهة نظر وكالات الإعلان . وكانت أهم نتائج البحث عدم وجود وعي لدى إدارات المصانع الوطنية بجدة بدور الإعلان وأهميته في ترويج المنتجات مما أدى إلى عدم إنشاء الأقسام الإعلانية وعدم تخصيص الميزانيات الكافية للإنفاق على النشاط الإعلاني وعدم القيام بالحملات الإعلانية المتكاملة ، وكذلك صغر حجم الوكالات الإعلانية وعجزها عن تأدية دورها الكامل في النشاط الإعلاني . وقد جرت الدراسة في شكل بحث ميداني يعتمد على المنهج الاستنباطي ، ويستخدم قوائم الاستقصاء للوقوف على وجهة نظر كل من المعلنين ووكالات الإعلان وإدارات المؤسسات الصناعية في مدينة جدة ، كذلك استخدم أسلوب المسح المستندي للوقوف على البيانات المتصلة بأسلوب ممارسة الإعلان بواسطة الشركات التي وقع عليها الاختيار .

ومما أوصى به الباحث هنا :

ــ على المنشآت الصناعية أن تدعم الميزانيات اللازمة للإعلان عن منتجاتها وتعتمد صرفها في مجال الإعلان نفسه .

ــ وعليها أن تحدد جهة معينة تكون مسؤولة عن الإعلان ومختصة به .

ــ ينبغي على إدارات المصانع أن تركز على الإعلان كعنصر أساسي لترويج وبيع منتجاتها .

ــ وعليها أن تتصل بالوكالات الإعلانية المختلفة الموجودة لكي تحصل على خدمة أفضل .

ــ التركيز على الوسائل المناسبة للنشر والإعلان عن منتجاتها .

ــ الاستفادة من ميزة سلعها ومنتجاتها الموسمية وتركيز الحملات الإعلانية في هذه الفترات الموسمية أو قبلها مباشرة لكي تروج منتجاتها وتزيد مبيعاتها .

ــ توزيع حملاتها بطريقة منتظمة حسب نوعية وطبيعة المستهلك والتوقيت المناسب .

ــ القيام بدراسات لمعرفة جدوى الحملات الإعلانية .

ــ تحديد أسعار مخفضة جداً للإعلان عن المنتجات والخدمات الوطنية مقارنة بالمستوردة في التلفزيون .

ــ على وكالات الإعلان ــ وخاصة الكبيرة ــ أن تقوم بوظائفها الأساسية كاملة ، وأن تتخصص الوكالات الصغيرة في وظائف معينة .

ــ وعليها أن تساعد المنشآت الصناعية في الاستفادة من الإعلان قدر الإمكان ، وذلك عن طريق تقديم المشورة اللازمة من حيث تخطيط الحملات واختيار الوسائل واختيار الأوقات المناسبة للإعلان .

النيسابوري مفسراً

لعلاء محمد علي

علي ، علاء محمد عيد/النيسابوري مفسراً . ــ رسالة ماجستير . ــ إشراف مصطفى الصاوي الجويني ، محمد محمد عثمان يوسف . ــ مصر : جامعة المنيا ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤٠٩ هـ ، ٥٦٤ ص .

يدرس الباحث منهج أحد العلماء المفسرين ، وهو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابورى الخراساني ، المتوفى في القرن الثامن الهجري (٧٢٨ هـ) .

وتفسيره يسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» يقع في عشر مجلدات ــ ثلاثين جزءاً .

وهو أحد مفسري أهل السنة ، الذي حاولت الشيعة ــ ظلماً وعدواناً ــ أن تنسبه إلى علمائها ؛ نظراً لاسمه أو اسم جده ، أو موطن ولادته ، إلا أنّ هذه الحيثيات لا تخضع أمام البحث العلمي المنهجيّ ، وقد أثبت الباحث ذلك في

أطروحته مستنداً إلى دفاع النيسابوري عن نفسه، وإثبات عقيدته التي يدين بها ربه في غير مرة، ورده على الشيعة وخاصة فيما يتعلق بالمسائل العقدية، كمسألة الولاية وتفضيل الصديق والفاروق والاعتراف بفضلهما ومآثرهما في الإسلام، والنواحي الفقهية كموقفه من نكاح المتعة واللواطة بالنساء، واستنكاره لذلك وتخطئة من افترى ذلك، ودحض حججهم الواهية.

وهو أحد المفسرين البلاغيين المولعين بالإعجاز القرآني، الذي حاول جاهداً أن يتلمسه في تفسيره للآيات كما فعل الزمخشري في تفسيره، وقد قدمه الباحث على الزمخشري، نظراً لما في تفسير الزمخشري من الاعتزاليات التي قام النيسابوري بتعقبه والرد عليه فيها منطلقاً من عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول دراسة لـ «شخصية النيسابوري» ويتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول: (عصر النيسابوري) وقد كشفت الدراسة عن الحالة السياسية في عصره حيث كان الاحتلال التتري لخراسان، وما فعله هؤلاء الهمج من قتل للعلماء، ووأد للعلم، تمشياً مع سياستهم الهمجية غير المتحضرة، بعد أن استولوا على خراسان، وقتلوا آخر ملوكها جلال الدين خوارزم شاه ٦٢٨ هـ.

ثم احتلوا خراسان، وعاثوا فيها فساداً، إلا أنّ هذا لم يمنع العلماء من أن يتكلموا بالحق ويجهروا به، وإن أصابهم منه الضرّ والبأساء، كما حدث للإمام النيسابوري.

الفصل الثاني: (حياة النيسابوري) وقد وقف فيه على بيئة النيسابوري، وحياته، وأسرته التي عاش فيها، وبالرغم من أن كتب التراجم قد أهملت حياة النيسابوريّ في طفولته، ثم في شبابه، وموقفه من أحداث عصره، وتاريخ ولادته ووفاته، إلا أن الباحث حاول أن يقدم للقارىء شيئاً عن حياته، ونشأته الأولى من خلال ما جادت به كتب التراجم على قلتها، ومن خلال ما ذكره في ثنايا تفسيره.

الفصل الثالث: (عقيدة النيسابوري وتهمة التشيع المنسوبة إليه) وفيه قام الباحث بعرض أهم أصول الشيعة، وموقف النيسابوري المخالف لها المتمشي مع عقيدة أهل السنة والجماعة.

الفصل الرابع (مصنفات النيسابوري) فهي متعددة في جل الفنون مثل (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) في عشر مجلدات (٣٠ جزءاً)، وله كتاب (لب التأويل في تفسير القرآن) في مجلد، وهو تفسير موجز، وكتاب (أوقاف القرآن) وهو مطبوع مع التفسير، وهو تفسير متوسط الحجم، وتوضيح التذكرة وهو شرح على تذكرة نصير الدين الطوسي، وتعبير التحرير وهو شرح تحرير المجسطي، وشرح شافية ابن الحاجب في الصرف، والشمسية في الحساب، والبصائر في مختصر تنقيح المناظر، وشرح مفتاح العلوم للسكاكي، والمناسبة بين كل علة ومعلولها، والزيج العلائيّ.

الباب الثاني دراسة منهج النيسابوري في التفسير.

وهذا الباب هو صلب الرسالة، وأوسعها، وقد قسمه إلى ثلاثة عشر فصلاً:

الفصل الأول: بيان لأهم المصادر التي اعتمد عليها النيسابوري في تفسيره. وعلى الرغم من تعدد مصادر النيسابوري (التفسيرية — اللغوية — البلاغية — الفلسفية — التاريخية — الفقهية — العقدية .. الخ) إلا أنّ النيسابوريّ هضم ما قرأ فظهرت شخصيته العلمية الناقدة.

الفصل الثاني: (موقف النيسابوريّ من التفسير العقليّ والنقليّ) الذي يقوم على المزج بينهما.

الفصل الثالث: (علوم القرآن): كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدنيّ، والمناسبة بين الآيات والسور ... الخ.

الفصل الرابع: (الإسرائيليات وموقف النيسابوريّ منها) وقد بينت الدراسة كيفية احتياط النيسابوري لما حشيت به كتب التفاسير من إسرائيليات تتعارض مع العقل والنقل، فكان يرد الكثير من الإسرائيليات التي تتعارض مع العقل، أو مع النصوص الشرعية المقطوع بصحتها، وأحياناً يتوقف عنها مرجعاً العلم فيها إلى الله إذ لا نصّ، وإن كان يتورط في ذكرها أحياناً أخرى، إلا أنها في مواضع قليلة.

الفصل الخامس: (الجانب الكلامي في تفسيره) وفيه أسفر لنا النيسابوريّ عن عالم موسوعيّ متفهم درس عقائد الفرق الإسلامية المختلفة، وتفوق فيها كأحد رجالاتها، ثم قام بالردّ عليها مستنداً إلى أصول أهل السنة والجماعة.

الفصل السادس: (الأحكام الفقهية) فقد التزم النيسابوريّ بالحياد التام، واقتنع بدور السفارة بين الفقهاء، فكان يذكر آراءهم دون تدخل منه إلا في القليل وخاصة إذا كان للشيعة فيه رأي، كما حدث في مسألتي (اللواط — جواز المتعة) وقد ذكرت في المبحث الخاص بالردّ على الشيعة، وإن كان النيسابوريّ يكثر من ذكر آراء الشافعيّ، ويظهر حججها على غيرها، ولكن من طرف خفيّ.

الفصل السابع: الاتجاه اللغوي:

الفصل الثامن: النحو والصرف:

فقد عني النيسابوري بها عناية فائقة، وذكر الكثير من مباحث اللغة كالاشتقاق، والترادف، والاشتراك، والمعرّب .. الخ.

أما بالنسبة لجانبي النحو والصرف فهو فارس هذا الميدان، وله شرح على شافية ابن الحاجب قال عنه السيوطيّ: «إنه شرح مشهور متداول» وإن كان قد عني بالجانب الإعرابيّ: إلا أنه قنع بدور السفارة بين النحاة، ولم يتدخل إلا في مواضع قليلة، وبالنسبة للجانب الصرفيّ فقد ذكر بعض مباحث الصرف التي تعين القارىء على فهم كتاب الله دون توغل؛ لعلمه أنّ القرآن كتاب هداية في المقام الأول، وليس كتاب نحو وصرف.

الفصل التاسع: القراءات والوقوف:

وقد أبدع فيهما النيسابوري، وعني بهما قبل أن يلج إلى تفسير الآيات، بل وفي مقدمة تفسيره، حيث ذكر أنه سيعنى بذكر المشهور من القراءات، أمّا الشواذ فلا يذكرها إلا للرد عليها، وانتصر للقراءة المتواترة على القاعدة النحوية استناداً إلى أنّ الجانب النحويّ يخضع للقرآن، ولا يخضع القرآن له؛ لأنّ القاعدة النحوية استمدت منه.

الفصل العاشر: النزعة الأدبية وفيه أفاض النيسابوري وسبق عصره في المناولة بالتفسير البياني، ويتجلى ذلك واضحاً في أسلوبه الأدبي الرائق الرائع، وإن كان رحمه الله يذكر أنصاف الأبيات الشعرية في أغلب تفسيره، وفي الكثير منها لم ينسب هذه الأبيات، وبعضها غامضة لم يهتد الباحث إلى نسبتها.

الفصل الحادي عشر: التفسير الإشاري «جانب التأويل» وفيه أسهم النيسابوريّ إسهاماً كبيراً، وأبرز لنا المواجيد الروحية الوجدانية التي تعطي للتفسير مزاجه الخاص به، فبعد أن يفسر الآيات على مقتضى الظاهر، يعرج بروحه، ويتسامى بفكره في فهم الآيات، فيستشف ما بطن فيها من معان، تسري بالنفس، وتعرج بها إلى التفسير الصوفي المعتدل.

الفصل الثاني عشر : الإعجاز القرآني . ولقد أسهم النيسابوري كذلك في إبراز بلاغة القرآن وإعجازه البياني ، فعرض لفنون البلاغة المختلفة من معانٍ وبيانٍ وبديع ، وعرض الباحث لكثير من الصور البلاغية كالالتفات والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والاستفهام ، والتكرار ، والتأكيد ، والتشبيه ، والاستعارة ، والمجاز ، والكناية ، والتعريض ، ثم اللف والنشر .. الخ .

الفصل الثاني عشر : الجانب العلمي الموسوعي . وفيه حاول أن يفسر الآيات تفسيراً علمياً ينم عن علم كثير بالجوانب العلميّة وخاصة في النواحي الطبية والطبيعية ، فهو من أوائل من نادوا بالتفسير العلمي للآيات دون حملها ما لا تحتمل .

الباب الثالث : «النيسابوريّ بين الزمخشري والرازيّ ـــ دراسة مقارنة»

وبين فيه كيف أنّ النيسابوريّ قد تأثّر بالزمخشري في جانب الإعجاز القرآني ، كما أنه تأثر بالرازي تأثراً واضحاً في المباحث الكلامية ، وبالرغم من هذا التأثر إلا أنّ النيسابوري قد احتفظ بشخصية علمية مستقلة ، حيث قام بتعقب كثير من أقوالهم وتفنيدها ، وخاصة أنّ النيسابوريّ كان ينتصر دائماً للجانب السلفيّ المأثور في حالة مقارنة مع جانب العقل .

إشارات سريعة عن الرسائل الجديدة

شارك في إعداد هذه البيليوجرافيا كل من محمد نور يوسف من سورية ، وخالد غازي من مصر .

أولا : الماجستير

• **أثر البلاغيين والنقاد في صناعة الأدب حتى نهاية القرن الخامس عشر**/حمد ابن عبد العزيز السويلم .ـــ (؟) ، ١٤١٠هـ .

• **أثر تدريس مادة البلاغة في مهارة التحليل الأدبي لدى طالبات الصف الخامس الأدبي**/عبد الجبار بجاي الزهوي ؛ إشراف فائزة محمد سعيد عبد الوهاب .ـــ بغداد : جامعة بغداد ، كلية التربية ، ١٩٨٨ م .

• **أثر المقننات المائية على نمو وإنتاجية وكفاءة استخدام الماء على محصول الفول البلدي**/سامي بن سعد الثابت .ـــ الأحساء : جامعة الملك فيصل ، كلية العلوم الزراعية والأغذية ، قسم المحاصيل ، ١٤١٠ هـ .

• **الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة في الفترة ما بين ١٩-١٩٨٧ م**/فهد بن سعود آل سعود ؛ إشراف طه عثمان الفرا ، ١٤١٠ هـ .

• **الثقبة الذروية : موقعها وشكلها في الأسنان الدائمة**/إلهام عبود ؛ إشراف فيصل ديوب .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية طب الأسنان ، ١٤١٠ هـ .

• **الجغرافيا الزراعية لقطاع غزة في الفترة ٦٧ ـــ ١٩٨٧ م : دراسة في الجغرافيا الاقتصادية**/ماجد محمد الدقس ؛ إشراف عبد الرحمن الشريف .ـــ السعودية : (؟) ، ١٤١٠ هـ .

• **الحاجات اللغوية والأخطاء الشائعة لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها : دراسة ميدانية في معهد تعليم اللغة العربية للأجانب في مدينة دمشق**/وفاء خالد سليم ؛ محمدخير الفوّال .ـــ دمشق : كلية التربية ، ١٩٨٩ م .

• **الحياة الإدارية والسياسية في الإمارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام**/وفاء جوني ؛ إشراف أمينة بيطار .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٤١٠ هـ .

• **الحياة الاقتصادية في مملكة ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد**/علم الدين أبو عاصي ؛ إشراف محمد حرب فرزات .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٤١٠ هـ .

• **السلطة السياسية في سورية المعاصرة : طابعها ومحتواها الاجتماعي والاقتصادي من ١٩٢٠ م حتى الآن**/يوسف حبيب اليوسف ؛ إشراف أحمد درغام .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، شعبة علم الاجتماع ، ١٤١٠ هـ .

• **الشعر في ظل مرين**/مها البغدادي ؛ إشراف عمر موسى باشا .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ .

• **صحافة الأطفال في الوطن العربي المعاصر**/شعيب الغباشي .ـــ القاهرة : جامعة الأزهر ، ١٤١٠ هـ .

• **صورة المرأة في إعلانات التلفزيون المصري**/عصام فرج .ـــ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الإعلام ١٤١٠ هـ .

• **عبد الله النسفي ومنهجه في التفسير**/أميمة بدر الدين ؛ إشراف عبد الحفيظ السطلي .ـــ دمشق : كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .

• **فلسطين من خلال كتابات بعض الرحالة العرب من أواخر القرن السادس عشر وحتى أواخر القرن التاسع عشر : دراسة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعمرانية**/بشرى خير بك ؛ إشراف عبد الكريم رافق .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ١٤١٠ هـ .

• **الكبائر في ضوء القرآن الكريم**/يسري المتولي .ـــ القاهرة : جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين (؟) ، ١٤١٠ هـ .

• **اللهجة الطائية وأثرها في العربية**/عبد الفتاح محمد ؛ إشراف عبد الحفيظ السطلي .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ .

• **المثقف والتقدم الاجتماعي**/كريم أبو حلاوة ؛ إشراف غانم هنا .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، شعبة علم الاجتماع ، ١٤١٠ هـ .

• **مفهوم الحداثة في الفكر العربي المعاصر**/أحسن بشاني ؛ إشراف طيب تيزيني .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، شعبة الفلسفة ، ١٩٨٩ م .

• **موقف انكلترا من قيام دولة عبد العزيز آل سعود حتى عام ١٩٢٧ م**/كاميليا أبو جبل ؛ إشراف خيرية قاسمية . دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ١٩٨٩ م .

• **النثر الفني عند الإمام علي بن أبي طالب**/مصطفى عبد الرحمن القاضي .ـــ القاهرة : (؟) ، ١٤١٠ هـ .

• **النفس الإنسانية في القرآن الكريم والدراسات النفسية المعاصرة**/علاء الدين سلطان .ـــ (؟) ، ١٤١٠ هـ .

• **الوقف في كتاب سيبويه**/جواد محمد الدخيل .ـــ الرياض : جامعة الملك سعود ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ .

• **يوسف الثالث ملك غرناطة : حياته وشعره**/سراب اليازجي ؛ إشراف عمر موسى باشا .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ .

ثانيا: الدكتوراه

- **أحكام الغائب في الفقه الإسلامي**/صالح بن عبد الله اللاحم ؛ إشراف عبد الكريم محمد اللاحم .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٠ هـ .
- **الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري**/سميرة سلامي ؛ إشراف أسعد علي .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .
- **الجملة بين النحو والمعاني**/محمد طاهر الحمصي ؛ إشراف عبد الحفيظ السطلي .ـــ دمشق : كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ .
- **دراسة سريرية حول أسباب وتدبير اضطرابات نظم القلب أثناء التخدير العام**/أمل نعوم .ـــ حلب : (؟) ، ١٤١٠ هـ .
- **الدلالة الاجتماعية في الشعر المغاربي : شعر السبعينات نموذجاً**/زينب الأعوج ؛ إشراف حسام الخطيب .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .
- **الديمقراطية مفهوماً وممارسة : أنموذج القطر العربي السوري** /عدنان مسلّم ؛ إشراف أحمد درغام .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، شعبة علم الاجتماع ، ١٩٨٩ م .
- **شرح ألفية ابن مالك لابن جابر الهواري دراسة وتحقيقا**/عبد الله بن عبد الرحمن المهوس ؛ إشراف فايز زكي دياب .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، ١٤١٠ هـ .
- **صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر فيما بين ١٩١٤-١٩٣٩م**/جمال النجار .ـــ القاهرة : (؟) ، قسم الصحافة والإعلام ، ١٤١٠ هـ .
- **الصورة الفنية في الشعر الحديث**/عبد الله عساف ؛ إشراف فؤاد المرعي .ـــ حلب : جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٨٩ م .
- **الظروف المناخية وعلاقتها بتقدير الحاجة المائية للزراعة في الجزيرة ووادي الفرات**/جهاد الشاعر ؛ إشراف نادر صيام .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الجغرافيا ، ١٩٨٩ م .
- **العلاقات الدولية في الإسلام**/عبد الله إبراهيم العريني ؛ إشراف فاروق عبد العليم مرسي .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المعهد العالي للقضاء ، ١٤١٠ هـ .
- **القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث**/سعد الدين كليب ؛ إشراف فؤاد المرعي .ـــ حلب : جامعة حلب ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .
- **المدائح النبوية في العصر المملوكي**/محمود سالم ؛ إشراف عمر موسى باشا .ـــ دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٨٩ م .